

أهات المعصومين (عليهم السلام)

السيد

محمد الحسيني الشيرازي

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

مركز الجواد للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ تقوران

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير،
محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد، فإنّ الذي يلاحظ صفحات التاريخ يجدها قد ضمّت بين طيّاتها العديد
من الأحداث التي قد لا تفيد البشرية في حياتها شيئاً.

فالكثير من كتب التاريخ ملئت بمخازي الحكام الطغاة، وكيف أنّهم كانوا
يحيون لئاليهم في اللهو والمجون، وإعاثة الفساد في البلاد الإسلامية. بل إنّ بعض
مقاطع التاريخ خصّصت حول سيرة المجهولين الذين لم يكن لهم أيّة خدمة
للبشرية، وإنّما المجرّد أنّهم كانوا من حاشية السلاطين أو من مرديهم.

ومع الأسف الشديد مقابل إفراط كهذا في تسليط الأضواء على بعض
الشخصيات الذين لا تستفيد البشرية من معرفتهم شيئاً، نجد أنّ الكثير من عظماء
التاريخ قد بخسوا حقّهم وضاعت سيرتهم المعطاءة التي كانت مركز إشعاع
واستفادة للناس.

وفي واقع الأمر إنّ المسؤولية في ذلك تعود إلى كتاب التاريخ الذين خضعوا
لأهوائهم واستسلموا لضغوط الحكومات التي ظلّت تدعوهم إلى طمس الحقائق
المفيدة التي يمكن أن تخدم الأجيال الصاعدة عبر العصور المختلفة.

ومن الذين بخسوا حقّهم وضاعت تفاصيل سيرتهم الوضّاءة هم (أمّهات
المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)) حيث تعمّد الكثير من مؤرخي التاريخ
بإيعاز من سلاطين الجور في إقصاء الحقائق المهمّة من حياتهنّ وعملوا جاهدين

من أجل تضييع كل ماير تبط بهن من قريب أو بعيد.

وبالفعل فقد نجحوا في ذلك بحيث إن الباحث اليوم لا يجد من تاريخ بعضهن شيئاً يذكر سوى بعض المقتطفات البسيطة التي لا تتجاوز الأسطر القليلة. وهنا تتجلى عظمة هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ حيث إنه جمع بين طيَّاته الكثير مما يمكن تحصيله حول سيرة أمَّهات المعصومين (عليهم السلام) خاصة أن مؤلفه هو سلطان المؤلفين ، ونابعة القرن العشرين الإمام الشيرازي (قدس سره) الذي خدم البشرية جمعاء بمؤلفاته المفيدة والمتنوعة والتي تجاوزت ١٣٠٠ كتاب.

يبقى القول إن هذا الكتاب هو بمثابة فتح الباب للبحث والتحري حول سيرة هؤلاء النسوة العظيمات التي أنجبن للعالم أفضل أئمة وخير هداة بقيت الأجيال قاطبة تسير على خطاهم وتستنير بهداهم على مر الزمان الطويل.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .
أمّا بعد ، فإنّ (أمّهات المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)) ، هنّ من أجلّ
النساء التي خلقهنّ الله سبحانه .

نعم ، إنّ الصديقة المعصومة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لا يصل إليها أحد
منهنّ ، حتّى السيّدة آمنّة (عليها السلام) والدة رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) .

كما أنّ أرحامهنّ الطاهرات - التي أهلها الله سبحانه لأن تكون محل نشوء
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الإمام (عليه السلام) - من أفضل أرحام
النساء ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه : ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾^(١) .

والظاهر أنّ كلّهنّ كنّ أبكاراً حتّى وصلن إلى أزواجهنّ ، وحتّى السيّدة خديجة
(عليها السلام) المختلف فيها^(٢) ، ولا يبعد أنّ الأقسام التي أرادت أن تميّز بعض
زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المعروفّة بالبكارة اخترعت عدم
بكارة السيّدة خديجة (عليها السلام) بزواج سابق .

ويؤيد ما ذكرناه تصريح والد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بعدم
ملازمة مولاها لها حيث قالت : كلّما أراد ذلك ظهر وجه يهيب به فيصرفه عن

(١) سورة الشعراء: ٢١٩ .

(٢) حيث قال البعض : بأنّها تزوجت قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت ثيبية .

الملازمة^(١).

وكذلك قصة السيّدة نرجس (عليها السلام) المعروفة^(٢).

أمّا مراتبهنّ النفسية فلا نعلم عنها شيئاً، إذ أنّ ذلك مرتبط بعلام الغيوب والمعصومين (عليهم السلام) ممّالم يصل إلينا شيء منهم، وما وصل كالذي ورد في السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) من: أن (من زارها وجبت له الجنّة)^(٣) يدلّ على رفعة نفسية هي فوق مدار كنا.

نسأل الله أن يعجل الفرج لولينا الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ويشرفنا بلقائه الذي من الممكن الاستفادة من علومه في هذا البعد أيضاً كسائر الأبعاد، بإذنه سبحانه وتعالى.

قم المقدسة / ١٤١٩ هـ

محمد الشيرازي

(١) انظر الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ح ١.

(٢) حيث أراد جدها أن يزوجه من ابن أخيه فلم يتمكن من ذلك، للتفصيل انظر الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٦٧ ح ٥.

الفصل الأول

السيدة أمّنة (عليها السلام)

والدة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

النسب الشريف

هي السيِّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، والددة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، يجتمع نسبها مع عبد الله زوجها والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلاب، حيث إنَّ أحد ابنيه قصي جدَّ عبد الله، والآخر زهرة جدَّ آمنة.

أمَّها: برة بنت عبد العزّي بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

فكانت آمنة (عليها السلام) من بنات أعمام عبد الله (عليه السلام).

فهي قرشية كلابية من الأبوين.

وقد تزوجها عبد الله وهو ابن ثلاثين سنة أو خمس وعشرين سنة.

الأصلاّب الطاهرة

من معتقدات الشيعة الإمامية في المعصومين (عليهم السلام) أنهم لم يتنقلوا إلا من صلب طاهر إلى رحم مطهر، وذلك من أبينا آدم (عليه السلام) وأمناء حواء (عليها السلام) حتى قدموا إلى هذه الحياة الدنيا.

فلا يمكن أن يودع المعصوم -والعياذ بالله- في صلب غير طاهر أو ليس بموحّد، أو أنه يبقى في رحم غير مطهر، وهذا ما دلّت عليه الروايات الشريفة:

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام».

قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟

قال: «قدّام العرش نسبّح الله تعالى ونحمده ونقدّسه ونمجّده».

قلت: على أي مثال؟

قال: «أشباح نور حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلمّا صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين فجعل نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج النصف الذي لي إلى أمانة والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني أمانة وأخرجت فاطمة علياً، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين يعني من النصفين جميعاً، فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة»^(١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم (عليه السلام) ثم نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات».

فقلنا: يا رسول الله، فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم؟

قال: «أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونمجّده».

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما عرج بي إلى السماء وعند سدرة المنتهى ودّعني جبرائيل (عليه السلام)، فقلت له: في هذا المكان تفارقني؟ فقال: إنني لا أجوزه فتحرق أجنحتي».

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «زجّ^(٢) بي في النور ما شاء الله، وأوحى الله

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٠٨ ب ١٥٦ ح ١١.

(٢) زجّ: رمي به، لسان العرب مادة زجج.

تبارك وتعالى إليّ: يا محمد إنني أطّلت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها
فجعلتك نبياً، ثم أطّلت ثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيّك ووارثك ووارث
علمك والإمام من بعدك، وأخرج من أصلابكما الذريّة الطاهرة والأئمّة
المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار، يا
محمد أتحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم.

فنوديت يا محمد ارفع رأسك.

فرفعت رأسي فإذا أنا بأبنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن
علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجّة بن الحسن يتألّأ وجهه من بينهم
نوراً كأنه كوكب دري، فقلت: يا ربّ ومن هؤلاء ومن هذا؟

قال: يا محمد هم الأئمّة من بعدك المطهّرون من صلبك وهذا الحجّة الذي يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين.

فقلنا: يا بآئنا وأمّهاتنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد قلت عجباً.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «وأعجب من هذا أن قوماً يسمعون منّي هذا
الكلام ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ويؤذونني فيهم، ما لهم، لا
أنالهم الله شفاعتي»^(١).

ونقرأ في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أشهد يا رسول الله أنك
كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية
بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»^(٢).

(١) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٤١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٨٧ ب ٣ زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) من البعيد.

وكذلك في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) (١).

إلى غير ذلك من الروايات والزيارات الشريفة التي تنصّ على أنّ المعصومين (عليهم السلام) لا يودعون إلاّ في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة، مضافاً إلى بعض الشواهد التاريخية المؤيِّدة لذلك.

نور النبوة

نقل المؤرخون أنّه كانت هناك امرأة تدعى فاطمة بنت مرة قد قرأت الكتب واطّلت على ما فيها من الوقائع المهمّة، وفي أحد الأيام التقت بعبد الله والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت له: أنت الذي فدك أبوك بمائة من الإبل؟ قال: نعم.

فعرضت عليه نفسها ولو بالحرام مقابل أن تعطيه مائة من الإبل.
فتشاءم عبد الله منها وأنشأ يقول:

أمّا الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأسستينه
فكيف بالأمر الذي تبغينيه

ثمّ إنّه ذهب مع أبيه فزوَّجه أمنة بنت وهب، فبقي عندها يوماً وليلة، فحملت بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد ذلك رأته فاطمة بنت مرة فلم تعرض عليه رغبتها الأولى، فتساءل منها عن سبب إعراضها بعد رغبتها؟

فأجابته: بأنّ ماذا صنعت بعد ذهابك عنّا؟

فأجابها عبد الله: تزوّجت أمنة بنت وهب.

وعندها قالت:

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٠٠ ب ١٨ زيارته صلوات الله عليه.

ثوبيك ما سلبت وما تدري لله ما زهرية^(١) سلبت
ثم قالت: رأيت في وجهك نور النبوة فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يضعه
حيث يحبّ، ثم قالت:

أمينة إذ للباه يعتلجان بني هاشم قد غادرت من أخيكم
فتايل قد شبّت له بدخان كما غادر المصباح بعد خبوه
بحرص ولا ما فاته بتواني^(٢) وما كل ما يحوي الفتى من نصيبه

مكانة الهاشمين

على الرغم من أنه كانت لبني هاشم عند العرب منزلة رفيعة جعلت كافة القبائل
في مختلف الأمصار تطمح في مناسبتهم ومواصلتهم منهم، إلا أن مثل عبد الله والد
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان في جبينه نور النبوة وعلى سيماء آثار
الصلاح وسمات الأولياء التي لم توجد إلا عند الأنبياء وأوصيائهم (عليهم
السلام) كان محط أنظار كافة الناس الذين عرفوه واطلعوا على جلالته وعظم شأنه.
فقد نُقل في الحديث أن عبد الله (عليه السلام) لمّا تزوّج السيّدة آمنه (عليها
السلام) ماتت العديد من النساء حسرة.

وكما في التاريخ أنه لما شبّ عبد الله تطاولت إليه أعناق الخطّاب، وبذلوا في
طلبه الكثير من الأموال رغبة في تحصيل نور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،
ولم يكن في عهده أحد أجمل ولا أكمل منه، وكان إذا مرّ بالناس نهاراً يشمّون منه
الروائح الطيبة، وإذا مرّ بهم ليلاً أضاءت من أنواره الظلم، حتّى أن أهل مكّة سمّوه

(١) المراد بالزهرية: آمنه (عليها السلام)، أي إنها لم تسلب ثوبيك فقط حين فاربتها وإنما سلبت منك
شيئاً عظيماً وهو نور النبوة التي كان في صلبك.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦.

الملائكة تحرس عبدالله (عليه السلام)

بالإضافة إلى كل ما ذكرنا من الصفات الحميدة والخصال الحسنة التي جعلت الخطاب يتنافسون من أجل الوصول إلى عبدالله (عليه السلام) إلا أن هناك حادثة خاصة جعلت وهب بن عبد المناف يقدم ابنته آمنة ويطلب بنفسه من عبد المطلب أن يكون عبدالله صهرآله.

فقد نقل أن عبدالله لما ترعرع واشتدّ ساعده، ركب يوماً ليصيد، وقد نزل بالبطحاء^(٢) قوم من اليهود كانوا قد قدموا القتل والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإطفاء نور الله المودع في صلبه، فنظروا إليه فرأوا سمات الأنبياء (عليهم السلام) فيه فقصدوه وكانوا ثمانين نفرًا حاملين السيوف، وكان والد السيدة آمنة في نفس المنطقة يصيد وقد رأى اليهود قد احتوشوا عبدالله ليقتلوه، فأراد أن يدفعهم عنه وإذا بجمع من الملائكة معهم الأسلحة قد طردوهم عنه، فتعجب من ذلك وجاء إلى عبد المطلب وقال له: زوج بنتي آمنة من عبدالله^(٣).

وهب يخطب عبد الله لابنته

في بعض التواريخ: إن اليهود لما عرفوا أنه سيخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلب عبدالله (عليه السلام) همّوا بقتل عبدالله (عليه السلام) فرآهم وهب بن عبد المناف في المعركة، فأتى الحرم المكي وأخبر بني هاشم،

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٩٠.

(٢) مسيل فيه دقاق الحصى، والجمع الأباطح والبطاح، معجم البلدان: ج ١ ص ٤٤٤.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٢٩.

فهبوا مسرعين لإنقاذ عبد الله.

ولما رآهم اليهود أيقنوا بالهلاك وتظاهر وأنهم لم يقصدوا أذيته إلا أنه لم يقبل منهم وطاردهم مع بني هاشم وتشابكوا معهم وقتلوا منهم قسماً والبقية أخذوهم إلى مكة أسارى وذلك لرغبتهم في إيصال بعض الأمانات التي كانت معهم إلى مكة. ثم أقبل عبد المطلب (عليه السلام) إلى ولده عبد الله (عليه السلام) وقال له: يا ولدي لولا وهب بن عبد مناف أخبرنا بأمرنا بأمرنا ولكن الله تعالى يحفظك.

فلما أشرفوا على مكة المكرمة خرج الناس يهنئونها بالسلامة وإذا باليهود مقيدين فأخذوا يرشقونهم بالحجارة، فقام عبد المطلب وقال: أرسلوا بهم إلى دار وهب حتى يستقصوا على أموالهم ولم يبق لهم شيء، فأرسلوهم إلى دار وهب. وفي نفس الليلة أقبل وهب على زوجته برة بنت عبد العزى وقال لها: لقد رأيت اليوم عجباً من عبد الله ما رأيت من أحد، رأيت وهو يكر على اليهود كالليث، وكلما رامهم بنبله قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً، فامضي إلى والده واخطبيه لآمنة واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة. فقالت له: يا وهب إن رؤساء مكة وأشرف العرب قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، فكيف يتزوج بابنتنا وهي قليلة المال؟

فقال لها: إن لي عليهم فضل حيث إنني أخبرتهم بأمر عبد الله مع اليهود. ثم إن والدته السيدة آمنة خرجت إلى دار عبد المطلب (عليه السلام)، فرحبت بها كثيراً وقال لها: لقد كان لزوجك اليوم علينا فضل لا نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى، فاذهبي إليه وأبلغيه عنا التحية والإكرام وقولي له: إن كانت له إلينا حاجة تُقضى إن شاء الله مهما كانت. فاسترت برة وقالت: قد علمنا أن ملوك الشام والعراق وغيرهم رغبوا في ولدكم

يطلبون أنواركم المضيئة ونحن أيضاً طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، وقد رجا وهب أن يكون عبد الله زوجاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلينا مانجملها به وهي هدية منا لابنك عبد الله.

فلما سمع عبد المطلب (عليه السلام) كلامها نظر إلى عبد الله وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع وقال له: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فوالله ما في بنات أهل مكة مثلها، فهي المحتشمة في نفسها، الطاهرة المطهرة.

فسكت عبد الله (عليه السلام) ولم يجب.

فعلم عبد المطلب (عليه السلام) أنه قد مال إليها، فقال: قد قبلنا دعوتكم ورضينا بابنتكم.

وحينذاك قالت فاطمة زوجة عبد المطلب: أنا أمضي معك إليها لأنظر إلى آمنة، فإن كانت تصلح لولدي رضينا بها.

فرجعت برة مسرورة بما سمعت، وقد سمعتها تنفأ في الطريق يقول: بخ بخ لكم، قد قرب خروج المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

فدخلت على زوجها، فقال: وما وراءك؟

فأخبرته الخبر وقالت له: اعلم أن عبد المطلب قد رضي بابنتك، إلا أن فاطمة والدته تريد أن تنظر إلى ابنتك آمنة، فإن رضيت بها وإلا لم يكن شيئاً، وإنني أخاف أن لا ترضى بها.

فقال لها وهب: أخرجني فوراً إلى ابنتك وزينيتها، فعسى أن ترغب فاطمة فيها؟!!

فعمدت برة إلى بنتها وألبستها أفخر ما عندها من الثياب وقالت لها: يا بنية إذا أتتك فاطمة فتأدبني معها بأحسن الأدب.

وبينما هما على ذلك إذ أقبلت فاطمة وخرج وهب من المنزل وإذا بعبد المطلب

(عليه السلام)، فأدخلوا فاطمة، فقامت لها السيّدة آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحّبت بها أحسن الترحيب.

فنظرت إليها فاطمة فأعجبت بها جداً وقالت لوالدتها: يا برة ما كنت عهدت أنّ آمنة على هذه الصورة؟ علماً أنّني كنت قد رأيتها قبل ذلك مراراً وكراراً. فقالت برة: يا فاطمة كل ذلك ببركتكم علينا.

فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله (عليهما السلام) وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارضيتها، وإن الله تعالى لا يودع هذا النور إلا في مثل هذه^(١).

الزواج الميمون

نقل العلامة المجلسي (رحمه الله) في (بحار الأنوار): أنه لما حضرت ساعة عقد عبد الله (عليه السلام) من آمنة (عليها السلام) قام عقيل بن أبي وقاص وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعلنا من نسل إبراهيم، ومن شجرة إسماعيل، ومن غصن نزار، ومن ثمرة عبد مناف، ثم أثنى على الله تعالى ثناء بليغاً وقال فيه جميلاً وعقد النكاح، ونظر إلى وهب وقال: يا أبا الوادح زوجت كريمتك آمنة من ابن سيّدنا عبد المطلب على صداق أربعة آلاف درهم بيض هجرية جياذ وخمسائة مثقال ذهب أحمر.

فقال: نعم.

ثم التفت إلى والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا عبد الله قبلت هذا الصداق يا أيها السيّد الخاطب؟

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٩٧.

قال: نعم، وعندها دعاهما بالخير والكرامة.

وأمر وهب أن تقدّم المائدة، فقدّمت مائدة خضرة فوضع الطعام وأكل الناس وشربوا، ونثر عبد المطلب (عليه السلام) على ولده قيمة ألف درهم من النثار وكان متّخذاً من مسك ومن عنبر ومن سكر ومن كافور، ونثر وهب كذلك بقيمة ألف درهم عنبراً وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً^(١).

ليلة الزفاف

عندما فرغ الناس من مراسم القران نظر عبد المطلب (عليه السلام) إلى والد السيّدة آمنه وطلب منه أن تزفّ آمنه إلى عبد الله (عليه السلام)، فاستغرب وقال: بهذه السرعة؟

فأعرب عبد المطلب (عليه السلام) عن شديد رغبته في رؤية زواج ابنه قبل وفاته.

فما كان من وهب إلا أن دخل على زوجته برّة وقال لها: اعلمي أن عبد المطلب (عليه السلام) راغب أن يجمع بين ولده عبد الله وزوجته آمنه.

فقامت المرأة من وقتها مع بعض النساء وأعددت السيّدة آمنه، وما أن غربت الشمس حتّى زفّت إلى بيت عبد الله. وفي نفس تلك الليلة جاء وهب وقال لعبد المطلب: أقدم على العروس.

فقام عبد المطلب (عليه السلام) إلى العروس وقبّل ما بين عينيها وقال لولده عبد الله: اجلس يا ولدي معها وافرح برؤيتها.

فقعد عبد الله (عليه السلام) إلى جنب العروس وفرح عبد المطلب (عليه

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨١.

(السلام)، وكان من عبد الله إلى أهله ما يكون من الرجال إلى النساء^(١).

من مؤامرات اليهود

وعندما جرى الكلام بين وهب وعبد المطلب في أمر السيِّدة آمنَة (عليها السلام)، قال وهب: يا أبا الحارث هي هدية منِّي إليك بغير صداق معجَّل ولا مؤجَّل.

إلَّا أنَّ عبد المطلب (عليه السلام) رفض وقال: جزيت خيراً يا وهب ولا بد من صداق ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا.

ثمَّ إنَّ عبد المطلب أراد أن يقدِّم إليه شيئاً من المال ليصلح به شأنها وإذابه يسمع همهمة وأصواتاً، فتحرَّى هو ووهب عن الخبر، وإذاب باليهود الذين كانوا محبوسين في دار وهب قد تآمر والقتل عبد المطلب وعبد الله، فساروا إلى دار وهب فكانوا يرون عبد الله والدة ووهب وهم لا يرونهم، فرموهم بالحجارة فرددَّها الله عزَّ وجلَّ عليهم.

ثمَّ إنَّ عبد المطلب خرج مع عبد الله وفاطمة إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان في الغد جمعنا قومنا وقومك ليشهدوا بما يكون من الصداق.

فقال: جزاك الله خيراً فلما طلع الفجر أرسل عبد المطلب إلى بني عمِّه ليحضروا خطبتهم، وجمع وهب أيضاً قرابته وبني عمِّه، فاجتمعوا في الأبطح. فلما أشرف عليهم الناس قاموا لإجلال عبد المطلب وأولاده، ثمَّ إنَّه لمَّا استقرَّ بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح وقام عبد المطلب فيهم خطيباً، فقال:

الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا وجعلنا لبيته

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨١.

جيراناً ولحرمة سكاناً وألقى محبتنا في قلوب عباده وشرفنا على جميع الأمم ووقانا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذي أحل لنا النكاح وحرّم علينا السفاح وأمرنا بالاتصال وحرّم علينا الحرام، اعلموا أنّ ولدنا عبد الله هذا الذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصدّق معجّل ومؤجّل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟

قال وهب: قد رضيتمنا منكم.

فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر.

ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس في مكة أربعة أيام^(١).

محاولة اغتيال السيدة آمنة

بعد أن قدمت زرقاء اليمامة^(٢) من الشام إلى مكة المكرمة واطلعت على النور العظيم الذي يحمله والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف إنّه انتقل إلى السيدة آمنة (عليها السلام) عمدت إلى تدبير مخطط تتخلّص من خلاله من آمنة (عليها السلام) وتطفأ النور الإلهي المودع في أحشائها.

وبالفعل، فقد أخذت تلك المرأة تفكّر في الحيلة التي تتخلّص من خلالها من السيدة فأنتهى فكرها إلى ما يلي:

أن تجهز من الماشطات حتى يقتلنها، فعثرت على امرأة من الخزرج اسمها «تكنا» وكانت ماشطة للسيدة آمنة، فلمّا كان في بعض الليالي استيقظت «تكنا» فرأت عند رأس الزرقاء شخصاً يحدثها ويقول:

ويلك يا زرقاء! لقد نزل بنا أمر عظيم، كنّا نصعد إلى السماء السابعة ونسترق

(١) راجع بحار الأنوار ج ١٥ ص ٩٧.

(٢) زرقاء اليمامة بنت مرهل كاهنة اليمامة وداهية الدهياء.

السمع، وفي هذه الأيام الأخيرة طردنا من السماء وسمعنا نادياً ينادي في السماوات: أن الله قد أراد أن يظهر المكسّر للأصنام ومظهر عبادة الرحمن فامتنعوا جملة الشياطين من السماء ورمتنا الملائكة بشهب من نار، وقد جئتكم لأحذركم.

فلما سمعت زرقاء كلامه قالت له: انصرف عني، فلا بد أن أجتهد في قتل هذا المولود.

ثم إنه فارقه و«تكنا» تسمع ما جرى بينهما، فأنت إلى الزرقاء وقالت لها: مالي أراك مغمومة؟

قالت لها: يا ويلك إن همي وحزني من حامل مولود يدعو إلى تكسير الأصنام ويذل السحرة والكهّان، فلو وجدت من يساعدي على قتل آمنة بذلت له الجزيل من الأموال والهدايا، وعمدت إلى كيس كان معها فأفرغته بين يدي «تكنا» وكان مالاً جزيلاً.

فلما نظرت «تكنا» إلى المال أغراها وراقها بريقتها، وقالت لها: يا زرقاء لقد ذكرت أمراً عظيماً إلا أنني سأفكر لك فيما ذكرت، ولكن كيف أجسر على ما وصفت والوصول إلى ما ذكرت؟

فقالت الزرقاء: إذا دخلت عليها وجلست عندها فاقبضي على ذوائبها^(١) واضربيها بهذا الخنجر فإنه مسموم، وإذا وقعت عليك التهمة أو وجبت عليك دية فأنا أقوم بخلاصك وأدفع عنك فما أنت قائلة؟

قالت: إنني أجبتك لكن أريد منك الحيلة بأن تشغلي بني هاشم عني.

فقالت الزرقاء: لا عليك أنا أشغلهم عنك.

ثم إن الزرقاء أعطت «تكنا» الخنجر المسموم وقالت لها: قومي إلى حاجتك،

(١) النؤابة: المصفورة من شعر، كتاب (العين) مادة ذأب.

فقامت ودخلت على السيِّدة آمنة (عليها السلام) فرحَّبت بها وسألتهَا عن أحوالها
وقالت: يا «تكنّا» لقد انقطعت عنّا؟

فقلت: اشتغلت بهمِّي وحزني، ولولا فضلكم علينا الكنّا بأقبح حال ولا أحد
أعزّ عليّ منك، هلمِّي يا بنية إليّ حتّى أزيّنك.

فجاءت السيِّدة آمنة (عليها السلام) وجلست بين يديها، فلمّا فرغت من تسريح
شعرها عمدت إلى الخنجر وأرادت أن تضربها به فحسّت كأنّ أحداً قبض على
قلبها فغشي على بصرها فسقط الخنجر من يدها إلى الأرض، فصاحت واحزنه.

فالتفت السيِّدة آمنة (عليها السلام) إليها وإذا الخنجر قد سقط من يدها،
فصاحت السيِّدة آمنة، فتبادرت النسوان إليها وقلن لها: ما دهاك؟

قلت: أما ترين ما جرى عليّ من «تكنّا»؟ لقد كادت أن تقتلني بهذا الخنجر
المسموم.

فقلن: يا «تكنّا» ما أصابك، ويلك تريد أن تقتلي آمنة؟

فقلت: نعم، لقد أردت قتلها.

فقلت لها النساء: يا «تكنّا» ما حملك على ذلك؟

قلت: لا تلو موني حملني طمع الدنيا والغرور، ثمّ أخبرتهنّ بالقصة وقالت
لهنّ: ويحكّ دونكنّ الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكنّ^(١).

نور وجه عبد الله (عليه السلام)

روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب
قال: ولد لأبي، عبد المطلب عبد الله فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس، فقال

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٢٢.

أبي: إن لهذا الغلام شأنًا عظيمًا.

قال: فرأيت في منامي أنه خرج من منخره طائر أبيض فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثم رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السماوات والأرض وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب.

فلما انتهت سألت كاهنة بني مخزوم، فقالت: يا عباس لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له.

قال أبي - أي العباس -: فهمني أمر عبد الله إلى أن تزوج بآمنة وكانت من أجمل نساء قريش وأتمها خلقاً، فلما مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتته فرأيت النور بين عينيه يزهر... الحديث (١).

فترة الحمل

إن مرحلة حمل السيدة آمنة (عليها السلام) بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مليئة بالخيرات والبركات وما يؤكده على قداسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى علو مقامه عند الله تعالى وارتفاع شأنه العالي لديه. فقد نقل العلامة المجلسي (قدس سره) قائلاً:

لما مر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بطن أمه شهران أمر البارئ تعالى منادياً في السماوات والأرضين، أن ناد في السماوات والأرض والملائكة: أن استغفروا للمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته، كل هذا ببركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما أتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بطن أمه ثلاثة أشهر كان

(١) كمال الدين: ج ١ ص ١٧٥ ح ٣٣.

أبو قحافة راجعاً من الشام، فلما بلغ مشارف مكة وضعت ناقته جمجمتها على الأرض ساجدة وكان بيده قضيب فضربها، فلم ترفع رأسها، فقال أبو قحافة: فما أرى ناقه تركت صاحبها، وإذا بهاتف يقول: لا تضرب يا أبا قحافة من لا يطيعك ألا ترى أن الجبال والبحار والأشجار سوى الآدميين سجدوا لله!.

فقال أبو قحافة: يا هاتف وما السبب في ذلك؟

قال: ستري يا أبا قحافة إن شاء الله تعالى.

يقول أبو قحافة: فوقفت ساعة حتى رفعت الناقة رأسها وجئت إلى عبد المطلب فأخبرته.

ولما أتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة أشهر كان زاهد على الطريق من الطائف وكان له صومعة^(١) بمكة على مرحلة قال: فخرج الزاهد وكان اسمه حبيباً فجاء إلى بعض أصدقائه بمكة، فلما بلغ أرض الموقف إذا بصبي قد وضع جبينه على الأرض وقد سجد على جمجمته، فدنا حبيب منه وأخذه وإذا بهاتف يهتف ويقول: خلّ عنه يا حبيب ألا ترى إلى الخلائق من البر والبحر والسهل والجبل قد سجدوا لله شكراً^(٢).

البشرى بمولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

كثيرة كانت البشارات التي بشرت بنبي آخر الزمان (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي سينقذ الأمة من ظلمات الجاهلية الأولى ويدخلها في عزّ الوحدانية والتوحيد. فمن قبل أن تنعقد نطفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان الأنبياء والصلحاء (عليهم السلام) بل وحتى المنجمين وغيرهم ممن يعتقد بهم بعض الناس يخبرون

(١) الصومعة: منار الراهب، (لسان العرب) مادة صمع.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨٤.

عن قرب ظهور نبي آخر الزمان ويشيدون بفضائله ومكانته الرفيعة عند الله تبارك وتعالى.

وربما لا نبالغ إذا ما ذهبنا بالقول إن استعراض مثل هذه المبشرات يحتاج إلى مجلد ضخم إلا أن الذي يهمننا في بحثنا هذا هو البشارات المرتبطة بأُمَّهات المعصومين (عليهم السلام).

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟

قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب.

فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب (عليه السلام)، فقال لهما: مالكما من أي شيء تعجبان؟

فأخبرته فاطمة بالنور الذي قدرأت.

فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟

فقالت: بلى.

فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود^(١).

الميلاد المبارك

ومن الأمور المهمة التي دونها المؤرخون في سيرة السيدة آمنة (سلام الله عليها) هي لحظات ولايتها المباركة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٠٢ ح ٤٦٠.

يشهد التاريخ مثلها قطّ.

فقد رافقت تلك الولادة الميمونه أحداث ووقائع مهمّة تدلّ على عظمة ذلك المولود المبارك الذي أطلّ على الوجود، فملاً العالمين ضياءً وغطّى الكون الواسع بركة وجلالة.

لقد شاءت إرادة السماء أن تهدي للبشرية هديتها العظمى التي لم ولن يُعرف قدرها إلى قيام يوم الدين، فها هو سيّد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي طالما بشرت به الرسالات السابقة وأكّدت على جلالة قدره وعظمة شأنه الرفيع يطرق الأبواب ليحلب معه أنوار الهداية إلى البشرية جمعاء.

فما أعظم تلك اللحظات!؟

وما أقدمس جلالة قدرها!؟

فقد روي أن السيّدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت حاضرة في الليلة التي ولدت فيها السيّدة آمنة بنت وهب أم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأت مثل الذي رآته، فلمّا كان الصبح انصرف أبو طالب (عليه السلام) من الطواف فاستقبلته، ثم قالت له: لقد رأيت الليلة عجباً.

قال لها: ما رأيت؟

قالت: ولدت آمنة بنت وهب مولوداً أضاءت له الدنيا بين السماء والأرض نوراً حتّى مددت عيني فرأيت سعفات (١) هجر (٢).

فقال لها أبو طالب (عليه السلام): انتظري سبتاً تأتين بمثله، فولدت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ثلاثين سنة، وهكذا روي أن السبت ثلاثون سنة (٣).

(١) السعفات جمع سعفة بالتحريك: جريدة النخل ما دامت بالخصوص. (مجمع البحرين) مادة سعف.

(٢) هَجَرَ: بلدة باليمن واسم لجميع أرض البحرين وقرية كانت قرب المدينة، كتاب (العين) مادة هجر.

(٣) روضة الواعظين: ج ١ ص ٨١.

وقد روي عن السيِّدة آمنَة (سلام الله عليها) إنّها قالت: لمّا اقتربت ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب الرعب عني وأوتيت بشربة بيضاء وكنت عطشى فشربتها فأصابني نور عال. ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً تحدّثني، وسمعت كلاماً يشبه كلام الأدميين حتّى رأيت كالديباج الأبيض قد ملأ بين السماء والأرض وقائل يقول: خذوه من أعزّ الناس.

ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق.

ورأيت مشارق الأرض ومغاربها.

ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوتة قد ضرب بين السماء والأرض في ظهر الكعبة فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رافعاً إصبعه إلى السماء.

ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتّى غشيتها، فسمعت نداءً: طوفوا المحمّد شرق الأرض وغربها والبحار لتعرفوه باسمه ونعته وصورته، ثمّ انجلت عنه الغمامة فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وقائل يقول: قبض محمّد على مفاتيح النصر والريح والنبوة.

ثمّ أقبلت سحابة أخرى فغيّبتة عن وجهي أطول من المرّة الأولى، وسمعت نداءً: طوفوا بمحمّد الشرق والغرب واعرضوه على روحاني الجنّ والإنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقّة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وكمال يوسف وبشرى يعقوب وصوت داود وزهد يحيى وكرم عيسى (عليهم السلام).

ثمّ انكشف عنه فإذا أنا به وبیده حريرة بيضاء قد طويت طياً شديداً وقد قبض عليها وقائل يقول: قد قبض محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الدنيا كلّها فلم

يبقى شيء إلا دخل في قبضته.

ثم إن ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم، في يد أحدهم إبريق فضة ونافجة^(١) مسك، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء لها أربع جوانب من كل جانب لؤلؤة بيضاء وقائل يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله، فقبض على وسطها، وقائل يقول: قبض الكعبة، وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطوية فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرات ثم ضرب الخاتم على كتفيه وتفل في فيه فاستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال إلا أنه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً و يقيناً وعقلاً وشجاعة، أنت خير البشر، طوبى لمن أتبعك وويل لمن تخلف عنك، ثم أدخل بين أجنحتهم ساعة وكان الفاعل به هذا رضوان، ثم انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشر يا عز الدنيا والآخرة، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار نوراً، ورأيت حولي من القطا^(٢) أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها^(٣).

البشارة العظمى

على الرغم من أن ولادة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) رافقها العديد من المبشرات من الأحداث المهمة التي تدل على عظمته (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن هناك بشارة عظيمة تفوقها جميعها، ألا وهي البشارة بقدوم مكمل الرسالة وهادي الناس من الضلالة وصي المصطفى المختار ووالد الأئمة الأطهار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام).

(١) النافجة المسك: سميت بذلك لنفاستها، (مجمع البحرين) مادة نفع.

(٢) القطا: طائر معروف سمي بذلك لثقل مشيه، (لسان العرب) مادة قطو.

(٣) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٧٢.

فعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالته آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا إنك تحبلين وتلدن بوصييه ووزيره»^(١).

إرهاصات الولادة

من المسلمات المشهورة أن لدى ولادة معظم الأنبياء والأوصياء الصالحين (عليهم السلام) وكذا في أيام حملهم تظهر إرهاصات وعلامات مهمة تدل على عظمة شأن المولود ومدى قداسته عند الله تبارك وتعالى.

وقد أحيطت ولادة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكثير من الأحداث المهمة المشيرة إلى علو مكانته العظيمة عند الباري عز وجل.

ونحن نشير إلى بعض تلك الأحداث والإرهاصات حيث قد نقلتها والدة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السيدة آمنة (عليها السلام) فقالت:

نظرت إلى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا هو مكتحل العينين، منقّط الجبين والذقن، وقد أشرق من وجنتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نور ساطع في ظلمة الليل ومر في سقف البيت وشق السقف.

ورأت آمنة (عليها السلام) من نور وجهه كل منظر حسن وقصر بالحرم، وسقط في تلك الليلة أربعة وعشرون شرفاً من إيوان كسرى، وأحمدت في تلك الليلة نيران فارس، وأبرق في تلك الليلة برق ساطع في كل بيت وغرفة في الدنيا ممن قد علم الله تعالى وسبق في علمه أنهم يؤمنون بالله ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يسطع في بقاع الكفر بأمر الله تعالى، وما بقي في مشارق الأرض

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٤ باب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام) ح ٣.

ومغاربها صنم ولا وثن إلا وخرت على وجوهها ساقطة على جباهها خاشعة،
وذلك كله إجلالاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

وفي حديث آخر نقل عن السيدة أمينة (عليها السلام) أنها قالت: لما حملت
برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصاب النساء
من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأن آتياً أتاني وقال لي: قد حملت بخير الأنام.
فلما حان وقت الولادة خفت ذلك علي حتى وضعت (صلى الله عليه وآله وسلم)
وسلم) وهو يتقي الأرض بيديه وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوذ به
بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد، فولدت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وسلم) عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول يوم الإثنين.

أقول: هذا على رواية، وهو يؤيد القائلين بأن ميلاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
وسلم) كان في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، إلا أن المشهور بين الإمامية هو
السابع عشر من شهر ربيع الأول كما ذكرناه في كتاب (ولأول مرة في تاريخ
العالم) (٢).

فقالت السيدة أمينة (عليها السلام): لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه
وركبتيه ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضاء ما بين السماء والأرض،
ورميت الشياطين بالنجوم وحجبا عن السماء.

ورأت قریش الشهب والنجوم تسير في السماء ففزعو لذلك وقالوا: هذا قيام
الساعة، واجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة فأخبروه بذلك وكان شيخاً كبيراً مجرباً،
فقال: انظروا إلى هذه النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر، فإن كانت قد زالت
فهو قيام الساعة، وإن كانت هذه ثابتة فهو لأمر قد حدث.

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨٧.

(٢) انظر أيضاً: وسائل الشيعة: ج ١٠ ص ٤٥٦ ح ١٣٨٣٥، وبحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٤٨ ح ١.

وأبصرت الشياطين ذلك فاجتمعوا إلى إبليس فأخبروه بأنهم قد منعوا من السماء ورموا بالشهب، فقال: اطلبوا فإنّ أمراً قد حدث.

فجالوا في الدنيا ورجعوا، فقالوا: لم نر شيئاً.

فقال: أنا لهذا، فخرق ما بين المشرق والمغرب فانتهى إلى الحرم، فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة، فلما أراد أن يدخل صاح به جبرئيل، فقال: اخسأ يا ملعون.

فجاء من قبل فصار مثل الصر^(١) قال: يا جبرئيل ما هذا؟

قال: هذانبي قد ولد وهو خير الأنبياء.

قال: هل لي فيه نصيب؟

قال: لا.

قال: ففي أمته؟

قال: نعم.

قال: قدر ضيت^(٢).

المشركون يقرون بالإرهاصات

إنّ الأحداث العظيمة التي حصلت عند ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقرب بها الموحّدون فحسب، بل حتّى المشركين على عنادهم وإلحادهم أقرّوا بها وشهدوا للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بطيب الولادة وعظم الشأن لدى الله تعالى.

ورد عن عمرو بن أمية - وكان من أزجر أهل الجاهلية - أنّه قال: انظروا هذه

(١) الصر: عصفور أو طائر، (مجمع البحرين) مادة صرر.

(٢) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٦٩.

النجوم التي يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة^(١)، وغاضت بحيرة ساوه، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان^(٢) في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب وسموا آل الله عز وجل. قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام»^(٣).

العباس يخبر عن المولد الشريف

وقد روى العباس بن عبد المطلب (عليه السلام) عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن لسان السيدة آمنة (عليها السلام) عظمة تلك الأحداث التي صاحبت ميلاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال:

«لما مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتته فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرست في وجهه فوجدت منه ريح المسك،

(١) الشرفة: ما يوضع على أعالي القصور والمدن، انظر (لسان العرب) مادة (شرف).

(٢) الموبدان للمجوس: كقاضي القضاة للمسلمين، انظر (لسان العرب) مادة (موبذ).

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٢٨٥ المجلس الثامن والأربعون ح ١.

وصرت كأنّي قطعة مسك من شدة ريحي ، فحدّثتني آمنة وقالت لي : إنّه لما أخذني الطلق واشتدّ بي الأمر سمعت جلبة^(١) وكلاماً لا يشبه كلام الأدميين ، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتّى بلغ السماء ، ورأيت قصور الشامات كأنّها شعلة نار نوراً ، ورأيت حولي من القطة أمر أعظيماً قد نشرت أجنحتها حولي ، ورأيت شعيرة الأسدية قد مرّت وهي تقول : آمنة مالقيت الكهّان والأصنام من ولدك ، ورأيت رجلاً شاباً من أتمّ الناس طولاً وأشدّهم بياضاً وأحسنهم ثياباً ما ظننته إلاّ عبد المطلب قد دنا منّي فأخذ المولود فتفل في فيه واستنطقه ، فنطق فلم أفهم ما قال إلاّ أنّه قال : في أمان الله أنت خير البشر ، طوبى لمن اتّبعك ، وويل لمن تخلف عنك ، وأخرج صرّة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب على كتفيه ثمّ قال : أمرني ربّي أن أنفخ فيك من روح القدس ، فنفخ فيه وألبسه قميصاً وقال : هذا أمانك من آفات الدنيا فهذا ما رأيت يا عباس بعيني .

قال العباس : وأنا يومئذ أقرأ فكشفت عن ثوبه فإذا خاتم النبوة بين كتفيه فلم أزل أكتّم شأنه وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامي حتّى ذكرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،^(٢).

في مجلس معاوية

على الرغم من أن معاوية بن أبي سفيان كان يكنّ الحقد والعداء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرة (عليهم السلام) إلاّ أنّه أكثر من مرّة اضطر لكي يسمح للآخرين بأن يذكروا فضائلهم (عليهم السلام) وذلك من أجل كسب السمعة

(١) الجلبة: الأصوات ، لسان العرب مادة جلب.

(٢) كمال الدين: ج ١ ص ١٧٥ ح ٣٣.

وتغطية بغضه لهم (عليهم السلام) ولو في بعض الأحيان.

والواقعة التالية هي من مصاديق ذلك:

يقول ليث بن سعد، قلت لكعب وهو عند معاوية: كيف تجدون صفة مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وهل تجدون لعترتة فضلاً؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هو، فأجرى الله عز وجل على لسانه، فقال: هات يا أبا إسحاق رحمك الله ما عندك.

فقال كعب: إنني قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلها ووجدت في كلها ذكر مولده (صلى الله عليه وآله وسلم) ومولد عترته وإن اسمه لمعروف وإنه لم يولد نبي قط فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد (صلى الله عليهما)، وما ضرب على آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة أم أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما وكت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أم المسيح (عليها السلام) وآمنة أم أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان من علامة حملة أنه لما كانت الليلة التي حملت آمنة به (صلى الله عليه وآله وسلم) نادى مناد في السماوات السبع: أبشر وافقد حمل الليلة بأحمد، وفي الأرضين كذلك حتى في البحور، وما بقي يومئذ في الأرض دابة تدب ولا طائر يطير إلا علم بمولده، ولقد بني في الجنة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر وسبعون ألف قصر من لؤلؤ رطب، فقيل: هذه قصور الولادة، ونجدت^(١) الجنان وقيل لها: اهتزي وتزيني فإن نبي أولياك قد ولد، فضحكت الجنة يومئذ، فهي ضاحكة إلى يوم القيامة، وبلغني أن حوتاً من حيتان البحر يقال له: طموساً وهو سيد الحيتان له سبعمائة ألف ذنب يمشي على ظهره سبعمائة ألف ثور الواحد منها أكبر من الدنيا

(١) أي تزينت. انظر لسان العرب: مادة (نجد).

لكل ثور سبعمائة ألف قرن من زمر دأخضر لا يشعر بهن اضطرب فرحاً بمولده، ولولا أن الله تبارك وتعالى ثبته لجعل عاليها سافلها، ولقد بلغني أن يومئذ ما بقي جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة ويقول: لا إله إلا الله، ولقد خضعت الجبال كلها لأبي قبيس كرامة لمولده (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد قدّست الأشجار أربعين يوماً بأنواع أفنانها وثمارها فرحاً بمولده (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد ضرب بين السماء والأرض سبعون عموداً من أنواع الأنوار لا يشبه كل واحد صاحبه، وقد بشر آدم (عليه السلام) بمولده فزيد في حسنه سبعين ضعفاً، وكان قد وجد مرارة الموت وكان قد مسّه ذلك فسري عنه ذلك، ولقد بلغني أن الكوثر اضطرب في الجنة واهتز فرمى بسبعمائة ألف قصر من قصور الدرّ والياقوت نثاراً لمولد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد زمّ^(١) إبليس وكُبل^(٢) وألقي في الحصن أربعين يوماً وغرق عرشه أربعين يوماً، ولقد تنكّست الأصنام كلها وصاحت وولولت، ولقد سمعوا صوتاً من الكعبة يا آل قريش لقد جاءكم البشير، جاءكم النذير، معه العزّ الأبد والربح الأكبر وهو خاتم الأنبياء، ونجد في الكتب أن عترته خير الناس بعده وأنه لا يزال الناس في أمان من العذاب ما دام من عترته في دار الدنيا خلق يمشي.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق ومن عترته؟

قال كعب: ولد فاطمة (عليها السلام).

فعبس وجهه وعضّ على شفتيه وأخذ يعبث بلحيته.

فقال كعب: وإنا نجد صفة الفرخين المستشهدين، وهما فرخا فاطمة (عليها

السلام) يقتلهما شرّ البرية.

(١) أي شدّ، (لسان العرب) مادة (زمم).

(٢) أي القيد الضخم، (لسان العرب) مادة (كبل).

قال: فمن يقتلها؟

قال: رجل من قريش.

فقام معاوية وقال: قوموا إن شئتم، فقمنا^(١).

حال الأبالسة

إن من العلامات الحتمية التي أكدها الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في مختلف أحاديثهم والتي تدلّ على قداسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعظمة مولده المبارك هو أن الأبالسة بعد أن كانت تخترق السماوات السبع حبست فور ميلاده (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك، ومنعت من التجسّس واستراق السمع.

بل إن الأبالسة اضطربت يوم ميلاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وراعها هول الأحداث العظيمة التي حدثت إثر ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «صاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفرعك ياسيدنا؟»

فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى ابن مريم (عليهما السلام)، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث؟

فافتروا ثم اجتمعوا إليه، فقالوا: ما وجدنا شيئاً.

فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر، ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراك لعنك الله؟

(١) الأماوي للصدوق: ص ٦١ المجلس الثامن والثمانون ح ١.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل ، ماهذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟

فقال له: ولد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال له: هل لي فيه نصيب؟

قال: لا.

قال: ففي أمته؟

قال: نعم.

قال: رضيت^(١).

وفي حديث آخر: إن إبليس (لعنه الله تعالى) لما رأى ذلك وضع التراب على رأسه وجمع أولاده وقال لهم: يا أولادي اعلّموا أنني ما أصابني منذ خلقت مثل هذه المصيبة.

قالوا: وما هذه المصيبة؟

قال: اعلّموا أنه قد ولد في هذه الليلة مولود اسمه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبطل عبادة الأوثان ويمنع السجود للأصنام ويدعو الناس إلى عبادة الرحمن.

فنشروا التراب على رؤوسهم ، ودخل إبليس (لعنه الله تعالى) في البحر الرابع وقعد فيه للمصيبة هو وأولاده مكرهين أربعين يوماً^(٢).

(١) الأماشي للصدوق: ص ٢٨٦ المجلس الثامن والأربعون ح ١.

(٢) الفضائل: ص ١٨.

الملائكة والحوار تستبشر

وبعد أن ولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأُطلِّ بمحيّاه الشريف على الدنيا أخذته الحوريات ولففته في منديل رومي ووضعته بين يدي آمنة (عليها السلام) ورجعن إلى الجنة يبشّرن الملائكة في السماوات بمولده (صلى الله عليه وآله وسلم).

ونزل جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) ودخلا البيت على صورة آدميين وهما شابان، ومع جبرئيل طشت من ذهب، ومع ميكائيل إبريق من عقيق أحمر، فأخذ جبرئيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغسّله، وميكائيل يصبّ الماء عليه، فغسّلاه، و آمنة (عليها السلام) في زاوية البيت قاعدة.

فقال لها جبرئيل: يا آمنة لا نغسّله من النجاسة، فإنّه لم يكن نجساً ولكن غسّله من ظلمات بطنك.

فلما فرغوا من غسله وكحلوا عينيه ونقّطوا جبينيه بزرقة كانت معهم مسك وعنبر وكافور مسحوق بفضه ببعض فذروه فوق رأسه (صلى الله عليه وآله وسلم).

قالت آمنة (عليها السلام): وسمعت كلاماً على الباب، فذهب جبرئيل إلى الباب فنظر ورجع إلى البيت وقال: ملائكة سبع سماوات يريدون السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاتّسع البيت ودخلوا عليه^(١).

وفاة والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

بقي عبد الله (عليه السلام) بعد زواجه من السيّدة آمنة (عليها السلام) أربعين يوماً لا يخرج من داره، ثمّ خرج فنظر أهل مكة إليه وإذا بالنور الذي كان يشرق في

(١) الفضائل: ص ١٩.

جبينه قد فارق موضعه.

ولمّا أتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شهر واحد في بطن أمّه نادى الجبال والأشجار والسموات بعضها بعضاً مستبشرين قائلين: ألا إن محمّداً قد سقط في رحم أمّه آمنة وقد مضى عليه شهر، ففرح بذلك الجبال والبحار والسموات والأرضون.

آنذاك ورد على عبد المطلب (عليه السلام) كتاب من يشرب يخبره بموت فاطمة بنت عبد المطلب، وكان ممّا في طيّاته أنّها ورثت مالا كثيراً خطيراً، فاخرج أسرع ما تقدر عليه.

فقال عبد المطلب لولده عبد الله: يا ولدي لا بدّ لك أن ترافقني إلى المدينة، فسافر مع والده ودخلا مدينة يثرب فاستلم عبد المطلب المال. ولمّا مضى من على دخولهما المدينة عشرة أيام اعتلّ عبد الله علّة شديدة، وبقي خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر مات عبد الله، فبكى عليه أبوه عبد المطلب بكاءً مرّاً وشقّ سقف البيت لأجله في دار فاطمة بنت عبد المطلب آنذاك، وبينما كان عبد المطلب غارق في أحزانه إذا بهاتف يهتف ويقول: قد مات من كان في صلبه خاتم النبيين وأي نفر لا يموت، فقام عبد المطلب فغسله وكفنه ودفنه في محلّة يقال لها (شين) وبنى على قبره قبة عظيمة من جص و آجر^(١).

وفي رواية: إن عبد الله خرج إلى الشام في غير^(٢) من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثمّ انصرفوا، فمرّوا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجّار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكّة، فسألهم عبد المطلب عن عبد

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨٣.

(٢) العير: القافلة، (لسان العرب) مادة عير.

الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض.
فبعث إليه عبدالمطلب أعظم ولده الحارث فوجده قد توفي في دار النابغة
فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد^(١) عليه عبدالمطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً
ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفي خمس
وعشرون سنة^(٢).

السيدة آمنة (عليها السلام) تفجع بزوجها

عندما وصل خبر وفاة عبد الله إلى السيدة آمنة (عليها السلام) بكّت بكاءً مرّاً
وحزنت عليه حزناً شديداً، ودعت بالنائحات ينحن عليه ويندبنه.
وقد جاءها بعد ذلك عبدالمطلب (عليه السلام) إلى دارها وطيب خاطرها وهداً
من روعها، ووهب لها ألف درهم بيض وتاجين قد اتّخذهما عبد مناف لبعض
بناته وقال لها: يا آمنة لا تحزني فإنك عندي جليدة لأجل من في بطنك ورحمك فلا
تهتك أمرك^(٣).

وفاة السيدة آمنة (عليها السلام)

روي إنه لما كبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردّته مرضعته السيدة
حليمة السعدية إلى أمّه فافتطمته وأخذته إلى أخواله من بني عدي بن النجار
بالمدينة، ثم رجعت به حتّى بلغا «الأبواء»^(٤) فماتت بها (سلام الله عليها) فيتم

(١) الوجد: الحزن، كتاب (العين) مادة وجد.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٢٥.

(٣) راجع الفضائل: ص ١٤.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً،
معجم البلدان: ج ١ ص ٧٩.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان عمره آنذاك ست سنين..
 فرجعت به (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أيمن إلى مكة المكرمة وكانت تحضنه.
 وورث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من والدته كل من: أم أيمن وخمسة
 جمال أو داء^(١) وقطيعة غنم، فلما تزوج بخديجة (عليها السلام) أعتق أم أيمن^(٢).
 وروي أن السيدة آمنة (عليها السلام) لما قدمت برسول الله (صلى الله عليه وآله
 وسلم) المدينة نزلت به في دار النابغة وهو رجل من بني عدي بن النجار، فأقامت
 بها شهراً، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر له أموره وأمره فكانت تدل على
 سمو مقامه ورفعة درجته عند الله تعالى.
 منها: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: نظرت إلى رجل من اليهود يختلف
 وينظر إلي ثم ينصرف عني، فلقيني يوماً خالياً، فقال لي: يا غلام ما اسمك؟
 قلت: أحمد. فنظر إلي ظهري فسمعته يقول: هذانبي هذه الأمة، ثم راح إلى
 أخوالي فخبّرهم الخبر، فأخبروا أمي فخافت علي وخرجنا من المدينة^(٣).

من فضائل السيدة آمنة (عليها السلام)

مما يؤسف له حقاً أن سيرة أمّهات المعصومين (عليهم السلام) وفضائلهم
 الرفيعة مجهولة في التاريخ عادة، وعند المسلمين أيضاً، ففي أهم المصادر
 التاريخية لا يكاد يجد الإنسان شيئاً إلا القليل عن تاريخ هؤلاء النسوة الأخيار،
 وكيف أنهن كن يخدمن المعصومين (عليهم السلام) ويجهدن بكل ما لديهن من
 طاقة من أجل رعاية أبنائهن المعصومين (عليهم السلام) وإن كانت عناية السماء

(١) أي السمينية (لسان العرب) مادة ودك.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١١٦ ح ٦١.

(٣) العدد القوية: ص ١٢٦.

ترعاهم وتسددهم قبلهم.

ولكن القرائن الكثيرة هي التي تدل على عظيم مقامهن ، فالسيّدة آمنّة (عليها السلام) يمكن معرفة شيء من عظمتها وجلالتها عبر هذه القرائن وغيرها:

١: إنّها (عليها السلام) كانت في سلسلة الأرحام المطهّرة التي ورد ذكرها في الروايات الشريفة.

٢: إنّها (عليها السلام) كانت زوجة لعبد الله (عليه السلام) والد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا توفيق خاص لا تناله إلاّ من كانت لها حظّ عظيم.

٣: إنّها (عليها السلام) حملت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت له وعاء ضمّته تسعة أشهر.

٤: إنّها (عليها السلام) أصبحت أمّاً لسيّد الكونين ورسول العالمين محمّدين عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٥: إنّها (عليها السلام) كانت تكنف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وترعاه من كيد المناوئين طيلة أيام حياتها.

٦: إنّها (عليها السلام) قد ترحمّ عليها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وزار قبرها وبكى عليها عند ذلك.

ففي التاريخ إنّهُ لما توفّيت آمنّة رجعت أمّ أيمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكّة ، ثمّ إنّهُ لمّا مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إنّ الله قد أذن لي في زيارة قبر أمّي فأتاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

عليه وآله وسلم) فقليل له ، فقال: أدر كنتني رحمة رحمتها فبكيت (١).

٧: إنها (عليه السلام) يستحب الطواف عنها لقضاء الحوائج.

ففي الحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يدل بوضوح على أنّ للسيدة آمنة (عليها السلام) مقاماً عظيماً عند الله وأنّها من صفوة أولياء الله الذين يتوسّل بهم لقضاء الحوائج.

فعن داود الرقيّ قال: (دخلت على أبي عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولي على رجل مال قد خفت تواه فشكوت إليه ذلك ، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه ، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين ، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين ، ثمّ ادع أن يردّ عليك مالك ، قال: ففعلت ذلك ، ثمّ خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني تعال اقبض مالك) (٢).

دفع شبهة

ممّا يؤسف له أنّ البعض من الناس يذهب إلى أنّ السيدة آمنة بنت وهب (عليها السلام) والدة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن مؤمنة ، ويزعمون أنها قد ماتت على ذلك ، ولولا أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استشفع لها واستوهبها من الله فوهبها له ، لكانت من المخلّدين في الجحيم! .

ولم يقتصر هؤلاء على ذلك وإنما أخذوا يفسرون بعض الروايات كما يشاؤون ويستدلون بتفسيرهم على ذلك.

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٦٢.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٥٤٤ باب النوادر ح ٢١.

منها: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني مستوهب من ربي أربعة، وهو واهبهم لي إن شاء الله تعالى: أمانة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطلب وأبو طالب بن عبد المطلب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحمة»^(١).

ولكن في المقابل ينبغي الالتفات إلى الأمور التالية:

أولاً: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه يصرح في أكثر من حديث أنه كان يتنقل من الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، وهذا ينافي الشرك الذي هو دنس ورجس، ففي الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»^(٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله أخرجني ورجلاً معي من طُهر إلى طُهر، من صلب آدم حتى خرجنا من صلب أبينا، فسبقته بفضل هذه على هذه - وضم بين السبابة والوسطى - وهو النبوة»^(٣).

فقليل له: ومن هو يا رسول الله؟

قال: «علي بن أبي طالب»^(٤).

فكيف يصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الرحم الذي كان فيه بالطهر والحال أن الآية الكريمة تصرح بنجاسة المشركين فتقول: {إنما المشركون نجس}^(٥)، فيعلم من هذا أن أمانة (عليها السلام) كانت مؤمنة بالله عز وجل وموحدة لرب العالمين على دين إبراهيم (عليه السلام).

(١) قرب الإسناد: ص ٢٧.

(٢) القصص للجزائري: ص ١٠٨.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٣٤٠ المجلس الثاني عشر.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٣٤٠ المجلس الثاني عشر.

(٥) سورة التوبة: ٢٨.

ثانياً: نفس الحديث الذي استدلّوا به يدلّ على إيمان السيّدة آمنه (عليها السلام)، إذ أنّه كيف يستوهب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لمشرك وإن كانت أمّه، والحال إنّ الله قد نهى عن موادّتهم والشفاعة أو الدعاء لهم.

ثالثاً: ممّا يؤيّد القول بإيمان السيّدة آمنه (عليها السلام) هي الروايات الصريحة التي تنصّ على أنّ الله قد حرّم النار على بطن حمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول: إنّني قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فأمنة بنت وهب، وأمّ الحجر الذي كفلك فحجر أبي طالب»^(١).

وعن أنس بن مالك قال: أتى أبو ذرّ يوماً إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ما رأيت كما رأيت البارحة.

قالوا: وما رأيت البارحة؟

قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببابه، فخرج ليلاً فأخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد خرجا إلى البقيع، فمازلت أقفوا أثرهما إلى أن أتيا مقابر مكّة، فعدل إلى قبر أبيه فصلّى عنده ركعتين، فإذا بالقبر قد انشقّ وإذا بعبد الله جالس وهو يقول: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

فقال له: من وليك يا أبة؟

فقال: وما الولي يا بني؟

قال: هو هذا علي.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٤٦ باب مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاته ح ٢١.

قال: وإن علياً وليي.

قال: فارجع إلى روضتك.

ثم عدل إلى قبر أمه، فصنع كما صنع عند قبر أبيه، فإذا بالقبر قد انشق، فإذا هي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت نبي الله ورسوله.

فقال لها: من وليك يا أمه؟

فقالت: ومن الولي يا بني؟

فقال: هو هذا علي بن أبي طالب.

فقالت: إن علياً وليي.

فقال: ارجعي إلى حفرتك وروضتك.

فكذبوه، ولبيبه^(١)، وقالوا: يا رسول الله كذب عليك اليوم.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وما كان من ذلك؟

قالوا: إن جندب حكى عنك كيت وكيت.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء

على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)^(٢).

وهذا يؤيد بوضوح أنها (عليها السلام) كانت مؤمنة، وقد كمل إيمانها بالإقرار بولاية علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن الله تعالى أوجب النار على المشركين والكفار كما دلّت عليه الآيات والأخبار.

رابعاً: زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقبرها وترحمه عليها يدل أيضاً على أنها كانت مؤمنة بالله عز وجل، ففي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) لبيبه: أحنوا بتلابيبه، (مجمع البحرين) مادة: لبيب.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٧٦ ح ١.

وسلم) أنه قال: «استأذنت ربي في زيارة أمي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت»^(١).

وهذا وغيره أيضاً يدل على استحباب زيارة القبور، على تفصيل مذكور في محله.

بناء الأضرحة والقباب

قبر السيدة آمنة بنت وهب (عليها السلام) في منطقة الأبواء، وهي قرية بين مكة والمدينة، وقد ولد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بها.

ومن اللازم أن يسعى المؤمنون والمسلمون كافة لبناء ضريح السيدة آمنة (عليها السلام) والدة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن ترك القبر هكذا لا يليق بشأنها العظيم وشأن ولدها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد زار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبر أمه، وأمر بزيارتها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

(١) كشف الغمّة ج ١ ص ١٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

الفصل الثاني

السيدة خديجة (عليها السلام)

والدة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

النسب الشريف

هي السيّدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

وعلى هذا فإن السيدة خديجة تلتقي بنسبها مع النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الجد الأكبر (قصي).

من مقامات السيدة خديجة (عليها السلام)

من الأمور المتفق عليها عند الجميع أنّ السيدة خديجة (عليها السلام) كانت خير نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بتصريح من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من مرّة، وهذا إنما يدل على علو مقامها وجلالة قدرها (سلام الله عليها).

فعن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة السن!

قالت: فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غضب غضباً شديداً، فسقطت في يدي فقلت: اللهم إنك إن أذهبت بغضب رسولك (صلى الله عليه وآله وسلم) لم أعد بذكرها بسوء ما بقيت.

قالت: فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، ورزقت مني الولد حيث حرمتموه.

قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً^(١).

وفضلاً عن ذلك كله ، فهناك العديد مما يدل على علو مقام السيدة خديجة (عليها السلام) نشير إلى بعضها:

١: اصطفاء الباري تعالى لها ، حيث جعلها من النساء المختارات.

عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله اختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة»^(٢).

٢: إنها (عليها السلام) أوّل من أسلمت من النساء وآمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهن ، وأوّل من صلّت خلفه (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣).

عن عفيف قال: كنت امرأ تاجرأ فقدمت منى أيام الحج وكان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرأ فأتته أبتاع منه وأبيعه ، قال: فبينما نحن إذا خرج رجل من خبأ يصلي فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي وخرج غلام يصلي معه ، فقلت: يا عباس ما هذا الدين ، إن هذا الدين ما ندري ما هو؟

فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر يستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به^(٤).

وروى السيد بن طاوس عن كتاب الوصية لعيسى بن المستفاد عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: سألت عن بدء الإسلام كيف أسلم علي (عليه السلام) وكيف أسلمت خديجة؟

(١) كشف الغمّة: ج ١ ص ٥١٢.

(٢) الخصال: ج ١ ص ٢٢٥ باب الأربعة ح ٥٨.

(٣) راجع مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٤٥٥ باب ٤ ح ٧٢٢١.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٨ ب ١.

فقال: «تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه، أما والله إنك لتسأل تفقها».

ثم قال: «سألت أبي (عليه السلام) عن ذلك فقال لي: لما دعاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا علي ويا خديجة أسلمتما لله وسلمتما له، وقال: إن جبرئيل عندي يدعو كما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا».

فقالا: «فعلنا وأطعنا يا رسول الله».

فقال: «إن جبرئيل عندي يقول لكما: إن للإسلام شروطا وعهودا ومواثيق فابتدئاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، لم يتخذ ولدا ولم يتخذ صاحبة، إلهاً واحداً مخلصاً، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أن الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور».

قالا: «شهدنا» الحديث^(١).

٣: تخصيص الباري لها بالسلام، فقد بلغ من قداسة السيدة خديجة (عليها السلام) عند الله تعالى أنه عز وجل كان يخصها بالسلام.

ففي الحديث أن جبرئيل أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أن ربها يقرؤها السلام^(٢).

وروي أنه أتى جبرئيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٣).

٤: بشارة الله وجبرائيل لها ببيت عظيم في الجنة، كما مر في الحديث الشريف

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٣٢- ٢٣٣ ب ١.

(٢) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٢٦٩ مجلس في مناقب آل محمد عليهم السلام.

(٣) كشف الغمّة: ج ١ ص ٥٠٨.

السابق.

٥: كثرة ثناء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على السيدة خديجة (عليها السلام) كما مر في الحديث عن عائشة.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت السيدة خديجة (عليها السلام) عزيزة عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتتمتع بمكانة خاصة في قلبه، حيث كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبها حباً جماً، ويعتزّبها، ويقدر مواقفها المشرفة، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

إنّ عجوزاً دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة، فقال: «إنّها كانت تأتينا في زمن خديجة وإنّ حسن العهد من الإيمان»^(١).

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: «ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة يوماً وهو عند نسائه، فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟

فقال: صدّقني إذ كذبتكم، و آمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتكم.

قالت عائشة: فما زلت أتقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذكرها»^(٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «لمّا توفيت خديجة (عليها السلام) جعلت فاطمة (عليها السلام) تلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدور حوله وتقول: يا أبت أين أمّي؟

قال: فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال له: ربّك يأمرك أن تقرّ فاطمة السلام

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨.

وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران.

فقال فاطمة (عليها السلام): إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام^(١).

وعن عبد الرحمن بن ميمون عن أبيه قال: سمعت ابن عباس يقول: (أول من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال علي (عليه السلام) ومن النساء خديجة (عليها السلام))^(٢).

بل إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - وكما في التاريخ - أطلق على العام الذي توفيت فيه السيدة خديجة وأبو طالب (عليهما السلام) (عام الحزن)^(٣)، وهذا خير دليل على معزته (صلى الله عليه وآله وسلم) لهما.

النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر بفضائلها

وليس ذلك فحسب، وإنما بقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد أن توفيت السيدة خديجة (عليها السلام) يتذكرها ويترحم عليها ويشيد بفضائلها الكثيرة ويدافع عنها.

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة (عليها السلام) تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟ ما هي إلا كبعضنا.

فسمع مقالها فاطمة (عليها السلام)، فلما رأت فاطمة رسول الله (صلى الله عليه

(١) الأماي للطوسي: ص ١٧٥ المجلس السادس ح ٤٦.

(٢) الأماي للطوسي: ص ٢٥٩ المجلس العاشر ح ٤٦٧.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ١٦.

وآله وسلم) بكت.

فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟

قالت: ذكرت أمي فتنقّصتها، فبكيت.

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ثم قال: مه يا حميراء، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً^(١).

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصبرها

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على خديجة حين مات القاسم أبناها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: درّت دريرة فبكيت.

فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيء إلى باب الجنة وهو قائم فياخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن، إن الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها أبداً^(٢).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لما توفي طاهر ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة عن البكاء.

فقالت: بلى يا رسول الله ولكن درّت عليه الدريرة فبكيت.

فقال لها: أما ترضين أن تجديه قائماً على باب الجنة فإذا رآك أخذ بيدك فأدخلك

(١) الخصال: ج ٢ ص ٤٠٤ باب السبعة ح ١١٦.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢١٩ باب المصيبة بالولد ح ٢.

أطهرها مكاناً وأطيبها؟

قالت: وإن ذلك كذلك؟

قال: فإن الله أعز وأكرم من أن يسلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر ويحتسب ويحمد الله عز وجل ثم يعذبه^(١).

حاجة جبرائيل

عن أبي سعيد الخدري: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن جبرئيل (عليه السلام) قال لي ليلة أسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟

قال: حاجتي أن تقر أعلی خديجة من الله ومني السلام.

وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقيها نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها الذي قال جبرئيل، قالت: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرئيل السلام^(٢).

خير النساء

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير نساؤها خديجة وخير نساها مريم)^(٣).

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط ثم قال: (خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت

(١) الكافي: ج ٣ ٢١٩ باب المصيبة بالولد ح ٧.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٧٩ ح ١٢.

(٣) كشف الغمّة: ج ١ ص ٥٠٧.

محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) (١).

معرفة خديجة بمقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

يذكر أن الأخبار كانوا يترددون على السيدة خديجة (عليها السلام) وذلك لمكانتها الاجتماعية والاقتصادية، وكانت (عليها السلام) تكرمهم وتفيض عليهم من خيراتها الطائلة.

وفي أحد الأيام وبينما كان أحد الأخبار في بيتها وهي جالسة مع جماعة من نساءها وجواريتها إذا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يمر، فنظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة قدم الآن بدارك شاب حدث السن، فأمرني من يأتي به.

فأرسلت إليه جارية من جواريتها وقالت: يا سيدي مولاتي تطلبك.

فأقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل منزل خديجة.

فقلت: أيها الحبر هذا الذي أشرت إليه؟

قال: نعم هذا محمد بن عبد الله.

وقال: طوبى لمن تكون له بعلاً وتكون له زوجة وأهلاً، فقد حازت شرف الدنيا والآخرة.

فتعجبت السيدة خديجة، وانصرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد اشتغل قلبها بحبه، وكانت السيدة خديجة ملكة عظيمة ولها من الأموال والثروة الطائلة ما لا يحصى، فقلت: أيها الحبر بم عرفته أنه نبي؟

قال: وجدت صفاته في التوراة أنه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه وأمه ويكفله جدّه وعمّه وأنه سيتزوج بامرأة من قريش سيدة قومها وأشار بيده إليها، ثم قال لها:

(١) الخصال: ج ١ ص ٢٠٦ باب الأربعة ح ٢٣.

احفظني ما أقول لك يا خديجة.

فلما سمعت السيِّدة خديجة ما نطق به الحبر تعلَّق قلبها بالنبِي (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر وكتمت أمرها.

فلما أراد الخروج من عندها قال: اجتهدِي أن لا يفوتك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الشرف في الدنيا والآخرة^(١).

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتاجر بأموال خديجة

كان أبو طالب (عليه السلام) قد كبر وضعف عن السفر وترك ذلك منذ أن كفَّل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي أحد الأيام دخل عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجده حزينا مهموماً، فقال: مالي أراك ياعم مهموماً؟

فقال: يا بن أخي إنه لا مال لنا وقد ضاق بنا الزمان وليس لنا مادة وقد كبرت وضعف جسمي وقل ما بيدي وأرى أن الأجل قد قرب منِّي ولأحب أن أموت قبل أن أرى لك زوجة يا ولدي لتسكن إليها.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هو الرأي عندك ياعم؟

قال: اعلم يا بن أخي أن خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس وهي تعطي أموالها لجميع من يسألها ليسافر والتجارة به، فهل لك يا بن أخي أن تمضي معي إليها ونسألها أن تعطيك مالاً تتجر فيه؟

فقال: نعم، قم إليها وافعل ما بدالك^(٢).

وبعد أن اتَّفَق أبو طالب مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن يعمل في تجارة خديجة، أشار عليه أعمامه بأن يذهب معهم إلى دارها ليخبروها بالخبر.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٠ ح ١٩.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢١.

وبالفعل فقد قصد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعمامه دار السيدة خديجة وطر قوا الباب، فاستقبلتهم استقبالاً حافلاً.

وبعثت إليهم (ميسرة) ليرحب بهم ويقدم لهم مستلزمات الضيافة اللازمة فأكلوا وشرعوا في الحديث.

فقلت لهم السيدة خديجة من وراء الحجاب: لعل لكم حاجة فتقضى، فإن حوائجكم مقضية.

فقال أبو طالب (عليه السلام): جئناك في حاجة يعود نفعها إليك وبركتها عليك.

قلت: وما ذلك؟

قال: جئناك في أمر ابن أخي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت: أين هو محمد حتى نسمع ما يقول؟

فقال العباس: أنا آتيكم به.

فنهض وسار يبحث عنه فلم يجده، فالتفت يميناً وشمالاً، فتساءل منه الناس وقالوا: ما تريد؟

فقال: أريد محمداً.

فقالوا له: في جبل حري^(١).

فسار إليه فإذا هو فيه، نائماً في مرقد إبراهيم الخليل (عليه السلام) ملتفّاً ببردة وعلى رأسه ثعبان عظيم، فلمّا نظر إليه العباس قال: خشيت عليه من الثعبان فسלת سيفي وهممت بالثعبان فحمل عليّ، ولمّا رأى العباس ذلك صاح برفع صوته: أدركني يابن أخي.

(١) حراء جبل بمكة، (لسان العرب) مادة حري.

ففتح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه فذهب الثعبان.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): مالي أرى سيفك مسلولاً ياعم؟

قال: رأيت هذا الثعبان عندك فسللت سيفي وقصدته خوفاً عليك منه فخشيت

على نفسي الغلبة فصحت بك ولما فتحت عينك ذهب كأنه لم يكن.

فتبسّم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ياعم ليس هذا بثعبان، ولكنّه

ملك من الملائكة ولقد رأيتك مراراً وخاطبتك جهاراً وقال لي: يا محمد إنني ملك من

عند ربّي موكل بحراستك في الليل والنهار من كيد الأعداء والأشرار.

فقال العباس: ما ينكر فضلك يا محمد؟

فقال له: لنذهب إلى دار خديجة بنت خويلد لتكون أميناً على أموالها.

فسارا معاً إلى دارها، فجاءت السيّدة خديجة لتتنظر إلى النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم)، فلما دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له وأجلسوه في أوساطهم،

فلما استقرّ بهم المجلس قدّمت لهم الطعام فأكلوا ورحّبت بالنبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) وقالت: أترضى أن تكون أميناً على أموالي تسير بها حيث شئت؟

قال: نعم رضيت.

ثم قال: أريد الشام.

قالت: ذلك إليك.

ثم إن السيّدة خديجة خاطبت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلة: تحسن

أن تشدّ على الجمل وترفع عليه الأحمال؟

قال: نعم.

فقالت: يا ميسرة إيتني ببعير حتى أنظر كيف يشدّ عليه محمد؟

فخرج ميسرة وأتى ببعير قوي لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرج منه من بين الإبل

لشدّة بأسه فأدناه ليركبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهدر البعير واحمرت عيناه.

فقال العباس لميسرة: ما كان عندك غير هذا البعير لتمتحن به ابن أخينا؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): دعه يا عم، فلما سمع البعير حديثه برك على قدميه وأخذ يمرّغ وجهه على قدمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونطق بلسان فصيح وقال: من مثلي وقد لمس ظهري سيد المرسلين!.

فقلن النسوة اللاتي كن عند خديجة: ما هذا إلا سحر عظيم.

فقالت لهن السيّدة خديجة: ليس هذا سحراً وإنما هو آيات بينات وكرامات ظاهرات^(١).

خديجة تعتنى بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

بعد أن تعاهدت السيّدة خديجة (عليها السلام) مع أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آلهم، على أن تخوّله أموالها وتضع كل مالديها تحت اختياره، عمدت (سلام الله عليها) إلى غلمانها وجعلت توصيهم به وتحثّهم على طاعته وخدمته طيلة سفرهم وحضرهم، الأمر الذي يدلّ على عظم معرفتها بقدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آلهم.

فقد نقل المؤرخون أنه: لما خرج أولاد عبد المطلب وأخذوا في أهبة السفر التفتت السيّدة خديجة (عليها السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: ألا تملك غير هذه الثياب؟ فليست هذه تليق للسفر.

فقال: لست أملك غيرها.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٥.

فبكت خديجة وقالت: عندي ما يصلح للسفر غير أنهنَّ طوال فانتظر حتى أقصرها لك.

فقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وكان إذ لبس القصير يطول، وإذ لبس الطويل يقصر كأنه مفصل عليه.

فأخرجت له ثوبين من قباطي^(١) مصر، وجبة^(٢) عدنية، وبردة^(٣) يمنية، وعمامة عراقية، وخفّين من الأديم، وقضيب خيزران، فلبس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الثياب وخرج كأنه البدر في تمامه.

ثم إن السيدة خديجة (عليها السلام) قالت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أعندك ما تركب عليه؟

قال: إذا تعبت ركبت أي بعير أردت.

فقالت: لا، كانت الأموال دونك.

ثم قالت لعبيدها ميسرة: إيتني بناقتي الصهباء حتى يركبها، فأتى بها ميسرة وقد كانت لا يلحقها في سيرها تعب ولا يصيبها نصب.

ثم إنَّها التفتت إلى غلاميها ميسرة وناصح وقالت لهما: اعلما أنني قد أرسلت إليكما أميناً على أموالي وأنه سيد قريش فلا تخالفا أمره، فإن باع لا يمنع، وإن ترك لا يؤم، وليكن كلامكم له بلطف وأدب، ولا يعلو كلامكم على كلامه.

فقال ميسرة: والله يا سيدتي إنَّ لمحمد عندي محبة عظيمة قديمة والآن قد تضاعف لمحبّتك له.

ثم إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودّع السيّدة خديجة وركب راحلته

(١) القباطي: ثياب إلى الدقة والرقّة والبياض، (لسان العرب) مادة قبط.

(٢) الجبة: من الملابس، (مجمع البحرين) مادة جيب.

(٣) البردة: كساء يلتحف به، (لسان العرب) مادة برد.

وخرج وميسرة وناصح بين يديه^(١).

من معاجز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

عندما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشام للتجارة شاهد مرافقوه معاجز كثيرة أرشدتهم إلى عظمة شخصه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى قداسته عند الله تعالى ، ونحن إذا أردنا التطرق إلى هذه المعاجز لطال بنا المقام ولكن نذكر الشيء القليل منها موضحين كيف أن مثل هذه المعاجز للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلت السيدة خديجة (عليها السلام) تتعرف على شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر فأكثر^(٢).

فقد روى المؤرخون أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سار مجدداً للسير إلى الأبطح فوجد القوم منتظرين قدومه ، فلما نظروا إلى جماله (صلى الله عليه وآله وسلم) استر المحبّ واغتم الحاسد.

ثم إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) شاهد أموال السيّدة خديجة على الأرض ولم يحمل منها شيء فنادى في العبيد وقال: ما الذي منعكم عن شدّ رحالكم؟ قالوا: يا سيدنا قلّة عددنا وكثرة متاعنا.

فأبرك (صلى الله عليه وآله وسلم) راحلته ونزل وصار يصيح بالبعير فيقول: بإذن الله تعالى ، فتعجّب الناس من فعله.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٨.

(٢) تطرّق الإمام المؤلّف ُرضيَ اللهُ عنهُ إلى الكثير من معاجز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابه القيم «من معاجز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» الذي جمع فيه أكبر قدر استطاع جمعه من معاجزه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يقع الكتاب في خمسة مجلدات وهي مخطوطة عند مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ، بيروت لبنان.

فنظر العباس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد احمرت وجهه ، فقال: كيف أترك الشمس تتعرض لهذا الوجه الكريم ، فعمد إلى خشبة وقال: لأتخذن منها جحفة تظلله من حرارة الشمس.

فأمر الباري تعالى الأمين جبرئيل (عليه السلام) أن يأمر رضوان كي يخرج الغمامة المختصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل خلق آدم (عليه السلام) بألفي عام ، فلما رأى الناس الغمامة شخصت أبصارهم نحوها وقال العباس: إن محمداً الكريم على ربه ولقد استغنى عن جحفتي.

ثم إن القوم ساروا حتى نزلوا بجحفة الوداع وحطّوا رحالهم ليلحق بهم المتأخرون ، فقال أحدهم: يا قوم إنكم سائرون إلى أرض كثيرة الأوعار^(١) وليس لكم من تستشيرونه وترجعون إلى أمره ، والرأي عندي أنكم تقدمون عليكم رجلاً لتستندوا إلى رأيه وترجعوا إلى أمره.

فاختلف القوم كل يريد أن يقدم زعيمه ، إلى أن قال ميسرة: والله ما نقدم إلا سيدنا محمد بن عبد الله ، وقال بنو هاشم: ونحن أيضاً نقدم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأراد أبو جهل أن يعارض في ذلك فانبرى له حمزة سيد الشهداء (عليه السلام) وحال دون مراده فتشاداً.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه حمزة: يا عمّاه دعوا القوم يسيرون أول النهار ونحن نسير آخره ، فإنّ التقدّم لقريش^(٢).

(١) الوعر: ضدّ السهل (مجمع البحرين) مادة وعر.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٠.

في وادي الأمواه

ثم إنهم ساروا إلى أن بعدوا عن مكة فنزلوا بوادي يقال له (وادي الأمواه) لأنه مجتمع السيول وأنهار الشام ومنه تنبع عيون الحجاز، فنزلوا وخطوا رحالهم وإذا بالسحب قد اجتمعت، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أخشى على أهل هذا الوادي أن يباغتهم السيل فيذهب بأموالهم، والرأي عندي أن نلوذ إلى هذا الجبل.

فقال له العباس: نعم ما رأيت يا بن أخي.

فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينقلوا رحالهم إلى الجبل، ففعلوا إلا رجلاً من جمح وكان له مال كثير فأبى أن يتغير من مكانه وقال: ما أضعف قلوبكم تفرون من شيء لم تروه؟!!

فما استتم كلامه إلا وتراكت السحب ونزل السيل وامتأ الوادي وأصبح الرجل كأنه لم يكن.

وقد مكث القوم في ذلك المكان أربعة أيام والسيل يزداد، فقال ميسرة: يا سيدي هذه السيول لا تنقطع إلى شهر وإن أقمناها هنا ننفذ أذننا، والرأي عندي أن نرجع إلى مكة.

فلم يجبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ذلك.

ثم إنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) نام فرأى في منامه ملكاً يقول له: يا محمد لا تحزن إذا كان غداة غد مرقومك بالرحيل وقف على حافة الوادي فإذا رأيت الطير الأبيض قد خط بجناحه فاتبع الخط وأنت تقول: (بسم الله بالله) وأمر قومك أن يقولوا هذه الكلمة فمن قالها سلم ومن لم يقلها غرق.

فاستيقظ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو فرح مسرور، ثم أمر ميسرة أن ينادي في الناس بالرحيل فرحلوا.

فقال الناس: ياميسرة وكيف نسير وهذا الماء لا تقطعه إلا السفن؟

فقال: أمّا أنا فإن سيّدي أمرني وأنا لا أخالفه.

فقال القوم: ونحن أيضاً لا نخالفه.

فسار القوم، وتقدّم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووقف على حافة الوادي وإذا بالطير الأبيض قد أقبل من قمة الجبل وخطب بجناحيه خطأً أبيض يلمح، فشمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أذياه واقتحم الماء وهو يقول: بسم الله وبالله، فلم يصل الماء إلى نصف ساقه، ونادى: أيّها الناس لا يدخل أحد منكم الماء حتى يقول هذه الكلمة فمن قالها سلم، ومن لم يقلها هلك.

فاقتحم القوم الماء وهم يقولون الكلمة ولم يتأخر منهم إلا رجلين، فقال أحدهما: بسم الله وبالله. وقال الآخر: بسم اللات والعزى، فغرق الثاني وأمواله، وسلم الآخر وأمواله.

فقال القوم للأول: ما بال صاحبك غرق؟

قال: إنه قد خالف قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغرق.

فاغتم أبو جهل وقومه من ذلك وقالوا: ما هذا إلا سحر عظيم.

فقال له بعض أصحابه: ما هذا بسحر ولكن والله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أفضل من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

كرامة أخرى

ثم إنهم ساروا حتى نزلوا على بئر كانت تنزل عنده العرب في طريقها إلى الشام، فعمد أبو جهل إلى الرمل والحصى وملاّ حجره وطمّ به البئر، فقال له أصحابه:

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٠.

ولم تفعل ذلك؟

فقال: أريد دفنها حتى إذا جاء بنو هاشم وقد أجهدهم العطش فيموتوا عن آخرهم.

ففعل القوم مثل فعله ولم يتركوا للبئر أثراً.

فقال أبو جهل: الآن قد بلغت مرادي، ثم التفت إلى عبده اسمه فلاح وقال له: خذ هذه الدابة وهذه القربة والزاد واختف تحت الجبل فإذا جاء ركب محمد وقد أجهدهم العطش والنصب ولم يجدوا للبئر أثراً فيموتوا فأتني بخبرهم فإذا بشرتني بموتهم أعتقتك وزوجتك بمن تريد من أهل مكة.

فقال الغلام: سمعاً وطاعة وحباً وكرامة.

ثم سار أبو جهل وبقي العبد كما أمره، وماهي إلا ساعات وإذا بركب بني هاشم قد أقبل يتقدمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتبادر القوم إلى البئر فلم يجدوا له أثراً، فضاقت صدورهم وأيقنوا بالهلاك فلاذوا بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لهم: هل كان هنا موضع فيه ماء؟

قالوا: نعم، كانت هناك بئر قد ردمت بالرمل والحجارة.

فمشى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وقف على حافة البئر، فرفع طرفه نحو السماء ودعا الله أن يسقيهم، فإذا بالحجارة والرمل قد تفرقت ونبعت عين الماء وجرى الماء من تحت أقدامه.

فسقى القوم دوابهم وملئوا قربهم وساروا، وسار العبد إلى أبي جهل وقال: ما وراءك؟

فقال: والله ما أفلح من عادي محمداً، وحدثهم بما شاهدته منه.

فامتلاً غيظاً وقال له: غيَّب وجهك عني فلا أفلحت أبداً^(١).

وادي ذبيان

ثم إن الركب سار حتى بلغ وادي آمن أو دية الشام يقال له (ذبيان)^(٢) وكان كثير الأشجار، فخرج منه ثعبان كبير بحيث إن ناقة أبي جهل خافت منه ورمته فغشي عليه، فلما أفاق قال لعبيده: تأخر واجانباً فإذا جاء ركب بني هاشم يتقدمهم محمد قدموه علينا لترى ناقتة الثعبان، فعسى أن ترميه إلى الأرض فيموت!

وبالفعل فقد امتثل العبيد ما أمرهم به، وإذا بركب بني هاشم قد أقبل يتقدمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: أراكم قد نزلتم وليس هو وقت نزولكم؟

فقال له أبو جهل: لقد استحييت أن أتقدم عليك فتقدم، فلعن الله من يبغضك.

ففرح العباس بذلك وأراد أن يتقدم، فنهاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقدم أمامهم ودخل إلى ذلك الشعب وإذا بالثعبان قد ظهر، فارتعدت منه ناقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فزعق بها (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم التفت إلى الثعبان وقال له: ارجع من حيث أتيت.

فنطق الثعبان بقدره الله تعالى وقال: السلام عليك يا محمد.

فأجاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سلامه.

فقال الثعبان: يا محمد ما أنا من هوام الأرض وإنما أنا ملك من ملوك الجن وقد آمنت على يد أبيك إبراهيم الخليل (عليه السلام) وسألته الشفاعة، فقال: هي لولد

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٣.

(٢) ذبيان: بلد قاطع الأردن ممّا يلي البلقاء، (معجم البلدان) للحموي: ج ٣ ص ٤.

يظهر من نسلي يقال له محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ووعدني أن أجمع بك في هذا المكان، وقد شاهدت المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) ليلة عرج به إلى السماء وهو يوصي الحواريين باتباعك والدخول في ملتك والآن قد جمع الله شملي بك فلا تنسني من الشفاعة يا سيد المرسلين.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لك ذلك عليّ فعد من حيث جئت ولا تتعرض لأحد من الركب.

فغاب الثعبان، فلمّا نظر القوم إلى كلامه عجبوا من ذلك، وازداد أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقيناً بنبوءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرحاً^(١).

نبح الماء من بين أصابعه (صلى الله عليه وآله وسلم)

ثم إنهم ساروا ونزلوا وادياً كانوا يستفيدون من الماء الذي فيه منذ القدم فلم يجدوا فيه شيئاً، فشمّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذراعيه وغمس كفيّيه في الرمل ورمق بطرفه السماء ودعا بكلمات، فنبح الماء من بين أصابعه وجرت على الأرض أنهار.

فقال العباس: أمسك يا بن أخي أخشى أن تغرق أموالنا، فشرّبوا جميعاً وملئوا قربهم وسقوا دوابهم.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لميسرة: إذا كان عندك شيء من التمر فأحضره، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل التمر ويغرس النوى في الأرض، فقال له العباس: لم تفعل ذلك يا بن أخي؟
قال: يا عم أريد أن أغرسها نخلاً.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٥.

فقال العباس: ومتى تأكل ثماره؟

قال: الساعة نأكل منها ونتزوّد إن شاء الله تعالى.

فقال العباس: إن النخلة إذا غرست تثمر في خمس سنين؟!

قال: ياعم سوف ترى من آيات ربّي الكبرى.

وبعد ذلك ساروا حتى غابوا عن الوادي، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ياعم ارجع إلى الموضع الذي غرست فيه النخلات واجمع لنا ما نأكله.

فعاد العباس فرأى النخلات قد أثمرت، فملاً منها راحلته والتحق بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يأكل منه ويطعم القافلة.

آنذاك غضب أبو جهل وقال: لا تأكلوا يا قوم ممّا يصنعه محمّد الساحر.

فأجابوه قائلين: ما هذا بسحر.

مع الراهب النصراني

وما هي إلا ساعة حتى تحرّك الراكب إلى أن وصلوا عقبة أيلة^(١) وكان بها دير^(٢) وقد كان مملوؤاً رهباناً، وكان فيهم راهب يرجعون إليه قد طالع الكتب وعنده سفر^(٣) قديم فيه صفة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من عهد عيسى بن مريم (عليه السلام).

وكان إذا قرأ الإنجيل على الرهبان ووصل إلى صفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) بكى وقال: متى تبشّر وني بمجىء البشير النذير الذي يبعثه الله من تهامة^(٤)

(١) أيلة: قرية عربية فيما بين مصر والشام، (لسان العرب) مادة أيل.

(٢) الدير: البيعة أي الكنيسة، كتاب (العين) مادة دير.

(٣) السفر: الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، (مجمع البحرين) مادة سفر.

(٤) تهامة: اسم مكة، (لسان العرب) مادة تههم.

متوجّاً بتاج الكرامة تظله الغمامة يشفع في العصاة يوم القيامة؟
فقال له الرهبان: لقد قتلت نفسك بالبكاء والأسف على هذا الذي تذكره وعسى
أن يكون قد قرب وقته.

فقال: إي والله إنه قد ظهر بالبيت الحرام ودينه عند الله الإسلام فمتى تبشروني
بقدومه من أرض الحجاز؟

فبقي الراهب على تلك الحال حتى قدم بعض الرهبان وقد أشرفت الأنوار من
جبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنظر الرهبان إلى نوره، فقالوا: يا أبا الرهبان
هذا ركب قد أقبل من الحجاز.

فقال: يا أولادي كثيرًا ما مررت بنا الركبان.

فقالوا: يا أبانا قد رأينا نوراً قد علا.

فرمق بطرفه نحو السماء وقال: إلهي بجاه هذا المحبوب الذي زاد فيه تفكّري إلا
ما رددت عليّ بصري.

فما استتم حديثه حتى ردّ الله عليه بصره، فقال للرهبان: كيف رأيتم جاه هذا
الرسول عند علام الغيوب؟

ثم إنّه قال لمن حوله: إن كان النبي المبعوث في هذا الركب فلا بد أن ينزل تحت
هذه الشجرة فإنّها تخضّر وتثمر، فقد جلس تحتها العديد من الأنبياء وهي من عهد
عيسى بن مريم (عليه السلام) يابسة، وهذه البئر لم نر فيها ماء، فإنه يأتي إليها
ويشرب منها.

فما هي إلا ساعة وإذا بالركب قد أقبل ونزلوا عند البئر وحطّوا رحالهم وكان
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبّ الخلوة بنفسه فجلس تحت الشجرة
فاخضرت وأثمرت من ساعتها.

فما استقرّ بهم المجلس حتى قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمشى إلى

البئر وكانت قد جفّت، فنظر إليها وتفل فيها فتفجّرت منها عيون كثيرة ونبع منها ماء معين.

فلما رأى الراهب ذلك قال: يا أولادي هذا هو المطلوب، فإنه سيد الأنام لناخذ منه الذمّة لبقية الرهبان.

فبادروا وهيئوا الولا ثم فرحاً به وانزلوا إلى سيّد القافلة وقولوا له: إنّ أبانا يسلم عليك وهو يدعوك إلى وليمته.

فنزل بعضهم ولم ير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخبر أباهم بما قاله الراهب، فنادى في العرب إنّ هذا الراهب قد صنع لأجلي وليمة وأريد أن تجيبوا دعوته.

فقال القوم: من نترك عند أموالنا؟

فقال أبو جهل: اجعلوا محمداً عندها فهو الصادق الأمين.

وبالفعل، فقد جاء القوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسألوه أن يجلس عند متاعهم وذهبوا إلى الراهب يتقدّمهم أبو جهل.

فلما دخلوا على الدير رحّب بهم وقدم لهم الطعام، فشرعوا بالأكل وأخذ الراهب ينظر إليهم رجلاً بعد الآخر، فلم ير صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحدهم، فقال: واخيبتاه إنّ الذي انتظرناه لم نجده.

ثم قال بعد ذلك: يا أسياد قريش هل بقي منكم أحد؟

فقال أبو جهل: نعم بقي صبي صغير أجير على أموال بعض نساءنا.

فنهزه حمزة سيد الشهداء (عليه السلام) وقال: لم لا قلت: تأخر منّا البشير النذير والسراج المنير، تركناه عند متاعنا لأمانته وليس فينا أصلح منه.

ثم التفت حمزة (عليه السلام) إلى الراهب وقال: أرني السفر وأخبرني بما فيه.

ولمّا لاحظوا الصفات التي فيه قال العباس: يا راهب إذا رأيتته تعرفه؟

قال: نعم.

قال: سر معي إلى الشجرة فإن صاحب هذه الصفة تحتها.

فخرج الراهب من الدير مجدداً في خطواته حتى بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رآه نهض قائماً وقال: مرحباً، السلام عليك يا رسول الله.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وعليك السلام يا عالم الرهبان ويا ابن اليونان.

فقال الراهب: وما أدراك أنني ابن اليونان.

قال: الذي أخبرك أنني أبعث في آخر الزمان.

فانكب الراهب على قدميه يقبلهما.

ثم إنه اصطحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى وليمته، ولما أشرف على القوم قاموا له إجلالاً وأجلسوه في أوساطهم في أعلى مكان.

ووقف الراهب بين يديه والرهبان حوله، فرمق الراهب بطرفه السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي أرني خاتم النبوة.

فأرسل الله عز وجل جبرئيل ورفع ثيابه عن ظهره، فظهر خاتم النبوة بين كتفيه فسطع منه نور ساطع.

فلما رآه الراهب خرّ ساجداً هيبته من ذلك النور، ثم رفع رأسه وقال: هو أنت حقاً^(١).

محاولة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لا يخفى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرض في حياته أكثر من مرة

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٨.

لمحاولة اغتيال من قبل اليهود وغيرهم، ومنها عند ما نزل (صلى الله عليه وآله وسلم) في الشام التي قدم إليها للتجارة في أموال السيدة خديجة (سلام الله عليها).

ففي التاريخ أن قافلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت أرض الشام ونزلوا بها تبادر أهل المدينة واشتروا بضاعتهم وباعت قريش بضائعها بأعلى الأثمان، وأما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه لم يبع شيئاً من بضاعته، حتى أن أبا جهل أخذ يسخر به.

فلما أصبح الصباح نادى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العرب، فلما أقبلوا يريدون البضائع لم يجدوا إلا بضائع خديجة فاشتروها بأضعاف ما باعت قريش، فاغتم أبو جهل لذلك غمماً شديداً، ولم يبق من بضائع خديجة إلا حمل بعير فجاء رجل من أحبار اليهود وكهانهم وكان قد اطلع على صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما نظر إليه عرفه بالنور وقال: هذا الذي يسفّه أحلامنا ويعطلّ أدياننا ويرمّل نسواننا، ولذا فإنه قصد قتله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدنا منه وقال: بكم هذا الحمل؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بخمس مائة درهم لا ينقص منها شيء.

قال: اشتريت بشرط أن تسير معي إلى منزلي.

فقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسارا إلى منزله، فلما قرب اليهودي من منزله هرع إلى زوجته وقال لها: أريدك منك أن تعينيني على قتل هذا الذي يعطلّ أدياننا.

فقلت: وماذا أصنع به؟

قال: خذي فرجة الرحي واجلسي على باب الدار فإذا رأيتيه قبض منّا الثمن وخرج، ارميها عليه لتقتله ونستريح منه.

وبالفعل فقد أخذت زوجة اليهودي الرحي وصعدت إلى سطح الدار، فلما

خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) همت أن تلقيها عليه فأمسك الله يديها
ورجف قلبها وغشي عليها وكان لها ولدان قائمان بفناء الدار فسقطت الرحي
عليهما فماتا.

فلما نظر اليهودي إلى ماجرى على أولاده نادى قومه برفيع صوته ، فأجابوه من
كل حدب و صوب وقالوا له : ماذا بك ؟

فقال : اعلموا أنه قد حل ببلدكم هذا الرجل الذي يعطل أديانكم ويسفّه
أحلامكم وقد دخل منزلي وقتل أولادي .

فلما سمعوا ذلك منه ركبوا خيولهم وجرّوا سيوفهم وحملوا على قريش كافة .
فلما نظر أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليهود ، همّوا بهم وارتفع
الصياح .

وآنذاك وبعد أن رأى اليهود بأس قريش أجمعوا على أن يبعثوا بعض رؤسائهم
مجرّدين عن السلاح .

فلما رأتهم قريش من غير سلاح قالوا ما شأنكم ؟

قالوا : إنّ هذا الرجل الذي معكم - يعنون بذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) -
أول من يبدئ بخراب دياركم وقتل رجالكم وتحطيم أصنامكم ، والرأي عندنا أن
تسلّموه لنا حتى نقتله ونستريح منه نحن وأنتم .

فلما سمع حمزة الكلام قال : يا ويلكم هيهات هيهات أن نسلّمه إليكم ، فهو
نورنا وسراجنا ولو تلفت فيه أرواحنا فهي فداه دون أموالنا .

فيئس اليهود من بلوغ مرادهم ورجعوا على أعقابهم^(١) .

(١) راجع بحار الأنوار : ج ١٦ ص ٤٤ .

عودة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة

ينقل المؤرخون أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما أشرف على مشارف مكة المكرمة بعث المخبرين كي يبشروا بقدومه إلى مكة... وبالفعل، فقد أخذ المبشرون يبشرون بقدومه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخبرون الناس عن عظيم تجارته ومدى موفقيته في سفره، وكيف أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حاز على الكثير من البركات في هذه السفرة الشاقّة. ولذا فإنهم لما علموا بالخبر خرجوا مبادرين يسبقهم عبيد خديجة وجواريتها، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمر على عبد من عبيد خديجة إلا يعقر ناقة فرحاً بقدومه.

ثم تفرق الناس إلى منازلهم ونظرت السيّدة خديجة (عليها السلام) إلى جمالها وقد أقبلت سالمة وكانت قد اعتادت أن يموت بعضها في كل سفرة ويجرب البقية إلا في هذه السفرة، فإنها لم تنقص منها شعرة، فوقف الناس متعجبين من ذلك وأخذوا يتساءلون لما تمرّبهم الجمال: لمن هذه؟

فيقال: هذا ما أفاده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لخديجة من الشام. فذهلت عقولهم.

ولما اجتمعت أموال السيّدة خديجة فكّوا رحالها وعرضوا الجميع عليها وكانت جالسة خلف الحجاب والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس وسط الدار و (ميسرة) يعرض عليها الأمتعة شيئاً فشيئاً.

فدهشت من بركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعثت إلى أبيها تخبره بذلك وترغبه في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

فما هي إلا ساعة واحدة وإذا بخويلد قد أقبل ودخل منزل السيّدة خديجة وإذا بها تقوم له إجلالاً وتجلسه إلى جنبها وتبدأه بالترحيب به، ثم أخذت تعرض عليه

البضائع وهي تقول: يا أبت هذا كله ببركة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والله يا أبتاه إنه مبارك^(١).

طلب الزواج من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

هناك الكثير من المؤيّدات التي تدل على أن السيدة خديجة (عليها السلام) لم تكن على دين أهل مكة من الشرك، بل كانت مؤمنة على دين إبراهيم الخليل (عليه السلام)، منها: حرصها الشديد على أن تكون هي صاحبة الشرف العظيم في أن تكون زوجة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذا إنما يدل على عمق معرفتها وتقديسها للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يحمل في جبينه نور الرسالة الخاتمة.

نعم، فلمّا عرفت السيدة خديجة مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واطمأنت بأنه نبي آخر الزمان بذلت كل مالديها كي تنال شرف الزواج منه.

ففي التاريخ أنّها (عليها السلام) عرضت نفسها عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت له: قم إلى عمومتك وقل لهم يخطبوني لك من أبي، ولا تخش من كثرة المهر فهو عندي.

فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من عندها ودخل على عمّه أبي طالب (عليه السلام) والسرور في وجهه، فوجد أعمامه مجتمعين

فنظر إليه أبو طالب (عليه السلام) وقال: يا ابن أخي يهنؤك ما أعطتك خديجة وأظنّها قد غمرتك من عطاياها؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عم لي إليك حاجة.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥١.

قال: وماهي؟

قال: تنهض أنت وأعمامي هذه الساعة إلى خويلد وتخطبون لي منه خديجة.

فاختلف أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين مؤيد ومخالف.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا معشر الأعمام قد أطلتكم الكلام فيما لا فائدة فيه، قوموا واطلبوا لي خديجة من أبيها فما عندكم من العلم مثل ما عندي منها^(١).

ميسرة يتحدث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

من الذين أشادوا بفضائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحدثوا السيدة خديجة (عليها السلام) عن عظيم مقاماته هو (ميسرة) خادمها الذي رافق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة سفره إلى الشام وشاهد بعينه كل المعاجز والكرامات المحمودة التي اتفقت له أثناء الطريق.

فلما عاد ميسرة من السفر التفتت إليه السيدة خديجة وقالت: حدثني كيف كان سفركم؟ وما الذي عاينتم من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقال: يا سيدتي وهل أطيق أن أصف لك بعضاً من صفاته وما عاينت منه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم أخبرها بحديث السيل والبئر والثعبان والنخل وما أخبره الراهب وما أوصاه إلى خديجة.

فقال: حسبك يا ميسرة اذهب فأنت حرّ لوجه الله، وزوجتك وأولادك، ولك عندي مائتا درهم وراحتان وخلعت عليه خلعة سنية^(٢) وقد امتلأ سروراً وفرحاً.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥٦.

(٢) سنينة: رقيقة (لسان العرب) مادة سنو.

ثم إن السيِّدة خديجة (عليها السلام) التفتت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: يا سيدي كيف كان سفركم؟ فأخذ (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدِّثها بما باعه وما شراه. فرأت خديجة ربحاً عظيماً، وقالت: يا سيدي لقد فرحتني بطلعتك وأسعدتني برؤيتك فلا لقيت بؤساً ولا رأيت نحوساً^(١).

السيدة صفية تخطب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

ولمّا علمت السيِّدة صفية عمّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برغبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الزواج من السيدة خديجة (عليها السلام) وبعد أن اطّلت أن السيِّدة خديجة هي التي عرضت نفسها عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أرادت أن تطمأن لصدق الخبر، لعلمها أن السيِّدة خديجة (عليها السلام) كانت قد ردّت الكثير من أسيا د قريش وخشيت أن تكون السيِّدة خديجة (عليها السلام) غير جادة في رغبتها، ولذا فإنّها (رضوان الله عليها) قالت لأعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): سأذهب إليها وأبين لكم الأمر.

فسارت إلى دار خديجة، فلقيتها بعض جوار يها في الطريق فسبقتها إلى الدار وأخبرت السيِّدة خديجة بقدمها.

وكانت السيِّدة خديجة تريد النوم فنهضت وهيأت لها المكان.

فطرق صفية الباب، ففتح وجاءت إلى السيِّدة خديجة، فرحبت بها كثيراً.

فقال السيِّدة صفية: يا خديجة جئت أسألك عن كلام أهو صحيح أم لا؟

فقال خديجة: بل هو صحيح إن شئت تخفيه أو شئت تبديه، وأنا قد خطبت

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥٢.

محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) لنفسه وتحملت عنه مهري وإني قد علمت أنه مؤيد من رب السماء.

فتبسّمت صفيية من كلامها واسترّت منه.

ولمّا عزمت السيّدة صفيية على الخروج من الدار، قالت لها السيّدة خديجة: انتظري قليلاً، وقالت: يا صفيية بالله عليك إلّا ما أعنتيني على حاجتي.

فرجعت صفيية إلى أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا إخوتي قوموا إن كنتم قائلين فوالله إنّ لها في ابن أخيكم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رغبة، ففرحوا بذلك^(١).

أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقصدون خويلد

وعندما عادت السيّدة صفيية وأخبرت أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برغبة السيّدة خديجة في الزواج منه (صلى الله عليه وآله وسلم) عمد أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وألبسه أحسن الثياب وأفخرها وقلده سيفاً وأركبه على جواده وأحذق به عمومته من كل جانب، ثم سار واحتّى وصلوا منزل خويلد فسبقتهم الجواري إليه.

فلمّا نظر خويلد إلى بني هاشم قام لهم ورحّب بهم.

فقال أبو طالب (عليه السلام) له: يا خويلد ما جئنا إلّا للحاجة وأنت تعلم قربنا منكم ونحن في هذا الحرم أبنا أب واحد وقد جئنا خاطبين ابنتك خديجة لسيدنا ونحن لها راغبون.

فقال خويلد: ومن الخاطب منك؟ ومن المخطوبة مني؟

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥٧.

فقال أبو طالب: الخاطب منا محمد ابن أخي والمخطوبة خديجة.
فلما سمع ذلك خويلد تغير لونه وقال: والله إن فيكم الكفاية وأنتم أعز الخلق
علينا ولكن خديجة قد ملكت نفسها وعقلها أو فر من عقلي^(١).

ورقة يرغب خديجة في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وقد كانت السيدة خديجة (سلام الله عليها) تقدّس عمّها ورقة بن نوفل وتحترم
آراءه كثيراً بل - وكما في التاريخ - أنّها كانت تستشيريه في أمورها الصعبة المهمة.
وكما ورد في التاريخ أنّها (عليها السلام) لمّا رغبت في الزواج من رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اطّلع ورقة على حالها وقد كان مطلعاً على أحوال نبي
آخر الزمان وكيف أنه يتزوج بامرأة تسود قومها، فرغّبها في الزواج منه وأشار
عليها بفضائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى قداسة المرأة التي ستكون
زوجة له.

فقد نقل العلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) في (البحار) أنه: كان لخديجة
عم يقال له ورقة، وكان قد قرأ الكتب كلّها وكان عالماً حبراً، وكان يعرف صفات
نبي آخر الزمان، وكان عنده أنه يتزوج بامرأة سيدة من قريش تسود قومها وتنفق
عليه مالها وتمكّنه من نفسها وتساعد على كل الأمور، فعلم ورقة أنه ليس بمكة
أكثر مالاً من خديجة، فرجا ورقة أن تكون ابنة أخيه خديجة وكان يقول لها:
يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض والسماء^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥٩.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢١.

مهر السيدة خديجة (عليها السلام)

لقد كانت السيّدة خديجة (عليها السلام) عظيمة الشأن، عارفة بقداسة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلّعة على جلالته قدره وارتفاع مقامه الشامخ، ولذا فإنّها (عليها السلام) كانت تبذل الغالي والنفيس حتّى تحظى بزواجها منه (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقد دفعت مبلغ المهر للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنّها (عليها السلام) رفضت الزواج من أسياذ العرب وزعمائهم. وهذا إنما يدل على غور معرفتها ومدى رغبتها في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولذا فإنّ عمّها ورقة لما قال: نريد مهرها وهو كذا وكذا، أجابه أبو طالب (عليه السلام) قائلاً: رضينا بذلك.

فقال خويلد: قد زوجت خديجة بمحمد على ذلك.

فقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد النكاح.

فنهض حمزة وكان معه دراهم فنشرها على الحاضرين.

وفي نفس الوقت قام أحد الحاضرين وقال: يا قوم رأينا الرجال يمهرون النساء،

ولم نر النساء يمهرن الرجال؟

فنهض أبو طالب (عليه السلام) وأجابه قائلاً: مثل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) يحمل إليه ويُعطى ومثلك من يهدي ولا يقبل منه.

ثم إنّه سمع الناس منادياً ينادي من السماء: إنّ الله تعالى قد زوج بالطاهر الطاهرة

وبالصادق الصادقة.

وأمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن يرسل على الناس الطيّب على البرّ والفاجر.

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذهب إلى منزل عمّه أبي طالب (عليه السلام) وقد أحرق به أعمامه من كل حذب وصوب فاجتمعوا في دار خديجة (عليها السلام).

وقد بعثت السيّدة خديجة (عليها السلام) أربعة آلاف دينار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: ابعتها إلى عمّك العباس ليرسلها إلى أبي ، وأرسلت مع المال خلعة^(١) سنّية ، فسار بها كل من العباس وأبو طالب إلى منزل خويلد وألبسها الخلعة.

فقام خويلد من ساعته إلى دار ابنته السيّدة خديجة وقال: يا بنية ما الانتظار بالدخول؟ جهّزي نفسك فهذا مهرك أرسلوه إليّ وأعطوني هذه الخلعة.

آنذاك التفتت السيّدة خديجة (عليها السلام) إلى عمّها ورقة وقالت: خذ هذه الأموال إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقل له: هذه هدية لك تصرف فيها كيف تشاء ، وقل له: إن مالي وعبيدي وجميع ما أملك وما هو تحت يدي فقد وهبته له (صلى الله عليه وآله وسلم) إجلالاً وإعظاماً.

فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنّها قد وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والصدّاق والهدايا لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميع ما بذل لها مقبول منه وهو هدية منها إليه إجلالاً له وإعظاماً ورغبة فيه ، فكونوا عليها من الشاهدين.

وبعد ذلك قصد ورقة منزل أبي طالب (عليه السلام) وكانت خديجة (عليها السلام) قد بعثت جارية ومعها خلعة سنّية وقالت: أدخلها إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا دخل عليه عمّي ورقة يخلعها عليه ليزداد عمّي فيه حباً.

(١) الخلعة: ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب منحة ، (مجمع البحرين) مادة خلع.

فلما دخل ورقة عليهم قدّم المال إليهم وقال الذي قالته خديجة، فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكساه الخلعة وزاده خلعة أخرى. فلما خرج ورقة تعجّب الناس من حسنه وجماله.

ثم إن السيّدة خديجة أخذت في جهازها، فلما كانت الليلة الثالثة دخل عليها عمّات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واجتمع السادات والأكابير في اليوم الثالث كعادتهم^(١).

خطب في عقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

من عادة العرب أنّهم إذا أشرفوا على أمر مهم أن يقدّموا الخطابة ويتفاخروا بفضائلهم وخصالهم أمام الآخرين.

ففي الزواج مثلاً كانوا يتباهون بأنسابهم وأحسابهم ويؤكّدون على محاسنهم ومزاياهم الخيرة التي ترفع من شأنهم لدى الملاء العام.

وهذا ما حصل تماماً لدى خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للسيّدة خديجة، فقد أخذ الطرفان يتفاخران ولكن بفضائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخصاله الحميدة التي أقرّها المؤلف والمخالف.

فقد أخذ والد السيّدة خديجة (خويلد) يفتخر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منادياً بأعلى صوته: يا معاشر العرب، والله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بأفضل من محمد ولقد رضيت لابنتي بعلاً وكفو أفكونوا على ذلك من الشاهدين^(٢).

ثم قام العباس وقال: يا معاشر العرب لم تنكرون الفضل لأهله، هل سقيتم

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٦٩.

الغيث إلا بآبن أخي؟ وهل اخضرّ زرعكم إلا به؟ وكم له عليكم من إياد كتمتموها ولزمتم له الحسد والعناد؟ وبالله أقسم ما فيكم من يعادل صيانتته ولا أمانته واعلموا أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخطب خديجة لجمالها ولا جمالها، إن المال زائل...

ولمّا خطب الجميع أقبل خويلد وجلس إلى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمسك الناس عن الكلام حتى يسمعوا ما يقول خويلد، فقال خويلد: يا أبا طالب ما الانتظار عمّا طلبتم اقضوا الأمر فإن الحكم لكم وأنتم الرؤساء والخطباء والبلغاء والفصحاء فليخطب خطيبكم ويكون العقد لنا ولكم. فنهض أبو طالب (عليه السلام) وخطب خطبة جميلة نقلها المؤرخون في مصنفاتهم^(١).

وهكذا تم هذا الزواج المبارك.

عمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين الزواج

قيل: كان عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين تزوّج بالسيدة خديجة (عليها السلام) إحدى وعشرين سنة. وقيل: إن عمره (صلى الله عليه وآله وسلم) كان خمساً وعشرين سنة^(٢). وقد أقامت معه أربعاً وعشرين سنة وشهراً. ولم يتزوّج عليها غيرها، إلا بعد أن توفيت (عليها السلام)^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٩٧ باب الولي والشهود والخطبة والصدّاق ح ٤٣٩٨.

(٢) انظر إعلام الوري: ص ١٣٩ الفصل الأول في ذكر أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولاده (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣) انظر بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٠٠ ب ٢٠٠ ح ٢٠٠.

والظاهر أن السيدة خديجة (عليها السلام) لم تتزوج بغير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث إنها قد بشرت بزواجهما من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم تقبل أي واحد كزوج لها.

هذا وقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتزوج بكرراً غير عائشة، ولكن خالفهم في ذلك جمهرة منهم: أبو القاسم الكوفي وأحمد البلاذري في كتابيهما، وعلم الهدى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص، على ما حكاه عنهم في البحار، فقالوا: أنها كانت عندما تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عذراء. وإنه لم يبق من أشرف قريش ومن ساداتهم وذوي الجدة منهم إلا وخطب السيدة خديجة ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك.

فلما تزوج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غضبن عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها: خطبك أشرف قريش وأمرائهم فما تزوجت أحداً منهم وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له؟ فكيف يجوز في نظرهم أن تكون خديجة يتزوجها يتيم لا مال له وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على أموالهم الكثيرة.

المهر القليل

المهر القليل مما أكد عليه الإسلام، وذلك تسهياً لأمر الزواج، وقد ورد أن خير نساءكم أقلهن مهراً^(١)، وهكذا كان زواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) بمهر قليل. فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج خديجة (عليها السلام) ومهرها -

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٦١ ب ٥ ضمن ح ١٦٣٨.

حسب بعض الروايات - اثنتا عشرة أوقية ونش^(١).

عن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قال أبي: ما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش، يعني نصف أوقية»^(٢).

وفي حديث آخر: «ما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من نسائه، ولا زوج شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش، والأوقية أربعون درهما والنش عشرون درهما»^(٣).

إسلام السيدة خديجة (عليها السلام)

من الأمور المتفق عليها لدى الجميع أن السيدة خديجة (عليها السلام) هي أول امرأة أسلمت و آمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد بقيت تصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سرّاً ما شاء الله، فعن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس، فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلاً، فمالبت إلا يسيراً حتى جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم مالبت إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب، فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع رأسه الغلام ورفعت المرأة رأسها، ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجداً وخرّت المرأة، قال:

(١) انظر إعلام الوري: ص ١٣٩ الفصل الأول في ذكر أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولاده (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٩٧-١٩٨ ب ٢ ح ١٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٩٨ ب ٢ ح ١٤.

فقلت: يا عباس إنني أرى أمرًا عظيمًا.

فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري من هذا الشاب؟

قلت: لا ما أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، هل تدري من هذه؟

قلت: لا أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، إن ابن أخي هذا الذي ترى حدثنا إن ربّه ربّ السماوات والأرض، أمره بهذا الدين الذي هو عليه، والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(١).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لخديجة (عليها السلام) ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينبأ به، وما يراه في منامه، وتخبره هي بقول ورقة، فلمّا أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت، كما أسلم علي (عليه السلام) فكانا أوّل مسلمين به^(٢).

معزة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للسيدة خديجة (عليها السلام)

كانت للسيدة خديجة (عليها السلام) معزة خاصة في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك لمناصرته له وإيمانها السريع به وتصديقها إيّاه و...

فعن عائشة قالت: سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صوت هالة بنت

(١) شواهد التنزيل: ج ١ ص ١١٢ ح ١٢٥.

(٢) قال ابن عباس: أوّل من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال علي (عليه السلام)، ومن النساء خديجة (عليها السلام). الأمالي للطوسي: ص ٢٥٩ المجلس العاشر ح ٤٦٧. بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢ ح ٢٨ ص ٢٤٦، نهج البلاغة: ص ٣٠١ كشف الغمّة: ج ١ ص ٨٦، العدد القوية: ص ٢٤٥.

خويلد... فقال: ما رأيت كالليوم صوتاً أشبه بصوت أم هند - يعني خديجة - من هذا الصوت.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله ما يذكرك عجوزاً من عجائز قريش! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غضباً شديداً لم أره غضب مثله قبله ولا بعده، ثم قال: لا تذكري أم هند، فقد كانت لها منِّي اثنتان، أول من آمنت بي ورزقت منِّي الولد، وحرمتيه^(١).

بل إنَّها كانت أحبَّ أزواجه إليه وأكرمهنَّ عليه وأفضلهنَّ عنده وأمَّ بنيه وبناته ومسلتيه - كما ذكر (صلى الله عليه وآله وسلم) - ومفرجة غمومه، ولم يكن بينه وبينها اختلاف أيام حياتها حتى قبضت وهو عنها راضٍ ولها شاكر، رحمة الله ورضوانه تعالى عليها.

أولاد السيدة خديجة (عليها السلام)

إنَّ أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كلَّهم من السيدة خديجة (عليها السلام) إلا إبراهيم.

أمَّا إبراهيم فهو من السيدة مارية القبطية، وقد ولد بالمدينة وعاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ومات بالمدينة ودفن في البقيع^(٢).

فأنجبت السيدة خديجة (عليها السلام) من الأولاد: القاسم والطيب، وقد ماتا بمكة صغيرين.

وأنجبت من البنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة.

وكلَّهن متن من أثر الضرب في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عدا

(١) راجع شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ١٦١.

السيدة الزهراء (عليها السلام) التي ماتت شهيدة مظلومة بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت أول من التحق به من أهل بيته.

وفاة السيدة خديجة (عليها السلام)

توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة (عليها السلام) بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة.

وقد حزن عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً.

وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشرها بمكانها في الجنة، فإنه لما حضرتها الوفاة دخل عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها: تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله من الكره خيراً.

وعند دفنها نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في الحجون^(١).

فكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تبعتها مصائب وكوارث تحمّلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برباطة جأش وصبر على المكاره ورضاء من الحق عز وجل.

وقد كانت وفاة السيدة خديجة (عليها السلام) وأبي طالب (عليه السلام) في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب^(٢).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «ما اغتممت بغم أيام حياة أبي طالب وخديجة».

(١) الحجون: بفتح الحاء جبل بمكة وهي مقبرة، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٩٧.

(٢) راجع كتاب بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٠.

لما كان أبو طالب (عليه السلام) يدفعه عنه وخديجة (عليها السلام) تعزيه
وتصبره وتهون عليه ما يلقاه في ذات الله عز وجل^(١).
ولذا عندما توفي عمه أبو طالب وزوجته خديجة سمي ذلك العام بعام الحزن^(٢).
فرضوان الله تعالى عليها.

(١) راجع شرح الأخبار: ج ٣ ص ١٧.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥.

الفصل الثالث

السيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام)

والدة الإمام علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين (عليه السلام)

نسبها وزواجها

هي السيّدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

تقدّم أبو طالب (عليه السلام) إلى والدها أسد بن هاشم وخطبها منه، ولمّا حضرت الوفود لخطبة الزواج والاحتفال بالعروسين، قام أبو طالب وقال:

(الحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً، وسدنة، وعرفاء، وخلصاء، وحجّته بهاليل، أطهار من الخنى والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل).

ثم قال: تزوّجت فاطمة بنت أسد وسقت المهر ونفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا.

فقال أبوها أسد: زوّجناك ورضيناك، ثم أطعم الناس^(١).

ثم انتقلت السيّدة فاطمة بنت أسد إلى بيت أبي طالب، المؤمن الموحد، الذي أقام للشريعة الحنفيه أساسها، وركّز للقرآن الكريم دعائمه، وفدى نفسه من أجل حياة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأباد بحكمته وثباته وأولاده ودفاعه عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قواعد الكفر والشرك، وأذنب الشيطان، رحمة الله تعالى وبركاته وتحياته على روحه وبدنه الطاهر إلى أن يبعث حياً.

وقد عاشت السيّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) إلى جانب أبي طالب (عليه السلام)، وقامت بأعباء المسؤولية في إدارة بيته وتدبير شؤون منزله، بصبر وصدق وإخلاص، وطهارة وصفاء ومحبة وإيمان وطيب، وأنجبت له أولاداً بين ذكور

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٧١.

وإنّاهم:

١: طالب.

٢: عقيل.

٣: جعفر.

٤: علي (عليه السلام).

٥: أم هانئ.

٦: جمانة^(١).

فاطمة تتحدّث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

عن السيّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام)، قالت: لمّا ظهرت أمارّة وفاة عبدالمطلب، قال لأولاده: من يكفل محمداً؟

قالوا: هو أكيس^(٢) منّا، فقل له يختار لنفسه.

فقال عبدالمطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعمّاتك تريد أن يكفلك؟

فنظر في وجوههم ثمّ زحف إلى عند أبي طالب (عليه السلام).

فقال له عبدالمطلب: يا أبا طالب إنّي قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له.

قالت: فلمّا توفيّ أخذه أبو طالب، وكنت أخدمه وكان يدعوني الأم.

قالت: وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أول إدراك الرطب، وكان أربعون

(١) إعلام الوري: ص ١٤٤.

(٢) أكيس: أي أعقل، النهاية في غريب الحديث: ج ٤ ص ٢١٧.

صبيّاً من أتراب^(١) محمّد، يدخلون علينا كل يوم في البستان، ويلتقطون ما يسقط، فما رأيت قطّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ رطبة من يد صبي سبق إليها، والآخرون يختلس بعضهم من بعض، وكنت كل يوم ألتقط لمحمد حفنة^(٢) فما فوقها، وكذلك جاريتي، فاتّفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً، ونسيت جاريتي، وكان محمّد نائماً، ودخل الصبيان وأخذوا كل ما سقط من الرطب، وانصرفوا فنمت فوضعت الكم^(٣) على وجهي حياءً من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قالت: فانتبه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض، فانصرف، فقالت له الجارية: إننا نسينا أن نلتقط شيئاً، والصبيان دخلوا وأكلوا جميع ما كان قد سقط.

قالت: فانصرف محمد إلى البستان، وأشار إلى نخلة، وقال: أيّتها الشجرة أنا جائع!

قالت: فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب، حتى أكل منها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أراد، ثم ارتفعت إلى موضعها.

قالت فاطمة: فتعجّبت، وكان أبو طالب قد خرج من الدار، وكل يوم إذا رجع وقرع الباب كنت أقول للجارية حتى تفتح الباب، فقرع أبو طالب الباب فعدوت حافية إليه وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت.

فقال: هو إنما يكون نبياً، أنت تلدين وزيره بعد ثلاثين، فولدت علياً (عليه السلام) كما قال^(٤).

(١) أتراب: أقران، (مجمع البحرين) مادة ترب.

(٢) الحفنة: مالا الكفين، (لسان العرب) مادة حفن.

(٣) الكم: من الثوب مدخل اليد ومخرجها، (لسان العرب) مادة كم.

(٤) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٣٨.

إن فاطمة بنت أسد ولدت طالباً، ولم نعرف له خبراً وقالوا: إنه لا عقب له، وقد توفي قبل أن يهاجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاث سنين. كما ولدت عقيلاً وجعفرأوعلياً، وكل واحد أسنُّ من الآخر بعشر سنين. وولدت من البنات: أم هانيء واسمها (فاخته)، وجمانة.

البشارة بهيلاذ الأمير (عليه السلام)

سبق أن الكثير بشّر وابعمىلاذ النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشاروا إلى صفاته وخصاله الحميدة، وكذلك كان الحال بالنسبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فقد بشّر وابعمىلاذ الشريف وصرّحوابعظيم شأنه (عليه السلام). فمما جاء في الروايات الشريفة:

أن السيّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) قبل أن ترزق ولداً كانت يوماً جالسة مع الفواطم تتحدّث، إذ أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنوره الباهر وسعده الظاهر وقد تبعه بعض الكهّان ينظر إليه، إلى أن أتى إليهن فسألهن عنه.

فقلن: هذا محمد ذو الشرف الباذخ والفضل الشامخ.

فأخبرهن الكاهن بما يعلمه من رفيع قدره وبشّرهن بما سيكون من مستقبل أمره، وأنه سيبعث نبياً وينال منالاً علياً، وقال: إن التي تكفله منكنّ في صغره سيكفل لها ولداً يكون عنصره من عنصره، يختصّه بسرّه وبصحبتّه، ويحبوه بمصادقته وأخوتّه.

فقال له السيّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) أنا التي كفلتّه وأنا زوجة عمّه الذي يرجوه ويؤمله.

فقال: إن كنت صادقة فستلدين غلاماً معلماً مطواعاً لربّه هماماً، اسمه على ثلاثة أحرف، يلي هذا النبي في جميع أموره، وينصره في قليله وكثيره، حتى يكون

سيفه على أعدائه وبابه لأولياؤه، يفرج عن وجهه الكربات ويجلو عنه حندس الظلمات، تهاب صولته أطفال المهاد، وترتعد من خيفته، له فضائل شريفة ومناقب معروفة وصلة منيعة ومنزلة رفيعة، يهاجر إلى النبي في طاعته ويجاهد بنفسه في نصرته وهو وصيه الدافن له في حجرته.

قالت أم علي (عليه السلام): فجعلت أفكر في هذا القول، فلما كان الليل رأيت في منامي كأن جبال الشام قد أقبلت تدبّ وعليها جلابيب الحديد وهي تصيح من صدورها بصوت مهول فأسرعت نحوها جبال مكة وأجابتها بمثل صياحها وأهول وهي كالشرد المحمر وأبو قبيس^(١) ينتفض كالفرس ونصال تسقط عن يمينه وشماله والناس يلتقطون ذلك، فلقطت معهم أربعة أسياف وبيضة جديدة مذهبة، فأول ما دخلت مكة سقطت منها سيف في ماء فغمر، وطار الثاني في الجو واستمرّ، وسقط الثالث إلى الأرض فانكسر، وبقي الرابع في يدي مسلولاً، فبيناً أنابه أصول إذا صار السيف شبلاً فتبيّنته فصار ليثاً مهولاً فخرج عن يدي ومرّ نحو الجبال يجوب بلاطحها^(٢) ويحرق صلا دحها^(٣) والناس منه مشفقون ومن خوفه حذرون، إذ أتى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبض على رقبتة فانقاد له كالظبية الألوفا فانتبعت وقد راعني الزمع^(٤) والفرع، فالتمست المفسرين والمخبرين فقالوا: أنت تلدين أربعة أولاد ذكور وبنات بعدهم، وإن أحد البنين يغرق والآخر يقتل في الحرب والآخر يموت ويبقى له عقب والرابع يكون إماماً للخلق صاحب سيف وحق ذا فضل وبراعة يطيع النبي المبعوث أحسن طاعة.

فقال السيّد فاطمة: فلم أزل مفكّرة في ذلك ورزقت بني الثلاثة عقياً وطالباً

(١) أبو قبيس: هو اسم الجبل المشرف على مكة، (معجم البلدان) للحموي: ج ١ ص ٨٠

(٢) بلاطح: أتباع، (تاج العروس): ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) صلح: هو الحجر العريض، كتاب (العين) مادة صلح.

(٤) الزمع: أي التعب والدهش، (مجمع البحرين) مادة زمع.

وجعفرًا ثم حملت بعلي (عليه السلام)، فلما كان الشهر الذي ولدته فيه رأيت في منامي كأن عمود حديد قد انتزع من أم رأسي ثم سطع في الهواء حتى بلغ السماء ثم رد إلي فقلت: ما هذا؟

فقيل لي: هذا قاتل أهل الكفر وصاحب ميثاق النصر بأسه شديد يفرز من خيفته وهو معونة الله لنبيه وتأيدته على عدوه.
قالت: فولدت علياً (عليه السلام) (١).

إنها تتحدث عن ولادتها

من أكبر فضائل السيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) أن الله اختارها من بين نساء العالمين لتلد مولودها الطاهر في بيته الحرام، حيث استضافها الله تعالى في جوف الكعبة ثلاثة أيام فولدت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) في ذلك المكان الطاهر.

روى الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملة بأمير المؤمنين تسعة أشهر وكان يوم التمام.

قال: فوقف بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت:

أي ربّ إنني مؤمنة بك وبما جاء به من عندك الرسول وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلته، وإنني مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل وإنه بنى بيتك العتيق،

(١) راجع كنز الفوائد: ج ١ ص ٢٥٢.

فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه وبهذا المولو الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسنني بحديثه وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك ، لما يسرت عليّ ولا دتي .

قال العباس بن عبدالمطلب ويزيد بن قعنب: لمّا تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى ، فرمنا أن نفتح الباب لتصل إليها بعض نساءنا فلم يفتح الباب ، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى ، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام .

قال: وأهل مكة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك وتحدّث المخدّرات في خدورهنّ .

قال: فلمّا كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه ، فخرجت فاطمة وعلي (عليه السلام) على يديها ، ثم قالت:

معاشر الناس إنّ الله عزّ وجلّ اختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممّن مضى قبلي ، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنّها عبدت الله سرّاً في موضع لا يحبّ أن يعبد الله فيها إلّا اضطراراً ، ومريم بنت عمران حيث اختارها الله ويسرّ عليها ولادة عيسى فهزّت الجذع اليابس من النخلة في فلاة^(١) من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنيّاً ، وإنّ الله تعالى اختارني وفضلني عليهما وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأنّي ولدت في بيته العتيق وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأوراقها ، فلمّا أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سمّيه عليّاً ، فأنا العلي الأعلى وإنّي خلقتة من قدرتي وعزّ جلالتي وقسط عدلي واشتقت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي وفوضت إليه أمري ووقفته على غامض علمي وولد في بيتي وهو أول من يؤدّن فوق بيتي ويكسر الأصنام ويرميها على

(١) الفلاة: الأرض التي لا ماء فيها ولا أنيس ، (لسان العرب) مادة فلو .

وجهها ويعظمني ويمجدني ويهللني وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي ووصيه، فطوبى لمن أحبه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقه.

قال: فلما رآه أبو طالب سرّاً، وقال له علي (عليه السلام): السلام عليك يا أباه ورحمة الله وبركاته.

ثم دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين (عليه السلام) وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(١) إلى آخر الآيات.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾^(٢).

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت والله أميرهم تميزهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة: اذهبي إلى عمّه حمزة فبشّريه به.

فقالت: فإذا خرجت أنا فمن يرويه؟

قال: أنا أرويه.

فقالت فاطمة: أنت ترويه؟

(١) سورة المؤمنون: ١-٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠-١١.

قال: نعم، فوضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسانه فيه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.

قال: فسُمِّي ذلك اليوم يوم التروية، فلَمَّا أن رجعت فاطمة بنت أسد رأت نوراً قد ارتفع من علي (عليه السلام) إلى عنان السماء، قال: ثم شدَّتَه وقمطته بقمط فبتر القمط.

قال: فأخذت فاطمة قمطاً جيداً فشدَّتَه به فبتر القمط، ثم جعلته في قمطين فبترهما، فجعلته ثلاثة فبترها، فجعلته أربعة أقمطة من رقٍّ مصر لصلابته فبترها، فجعلته خمسة أقمطة ديباج لصلابته فبترها كلَّها، فجعلته ستة من ديباج وواحد من الأدم، فتمطَّى فيها، فقطعها كلَّها بإذن الله ثم قال بعد ذلك: يا أمة لا تشدِّي يدي فإني أحتاج أن أبصص^(١) لرَبِّي بإصبعي.

قال: فقال أبو طالب عند ذلك: إنه سيكون له شأن ونبأ.

قال: فلَمَّا كان من غد دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة فلَمَّا بصر عليّ (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سلَّم عليه وضحك في وجهه وأشار إليه أن خذني إليك واسقني بما سقيتني الأمس.

قال: فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت فاطمة: عرفه وربّ الكعبة.

قال: فلكلام فاطمة سمِّي ذلك اليوم يوم عرفة، يعني أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلَمَّا كان اليوم الثالث وكان العاشر من ذي الحجَّة أذَّن أبو طالب في الناس أذاناً جامعاً وقال: هلمُّوا إلى وليمة ابني علي.

(١) البصبصة: هي أن ترفع سبابتيك إلى السماء وتحركهما وتدعو، (مجمع البحرين) مادة بصبص.

قال: ونحر ثلاثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم وأتخذ وليمة عظيمة وقال: معاشر الناس ألا من أراد من طعام علي ولدي فهلمّوا وطوفوا بالبيت سبعاً وادخلوا وسلّموا على ولدي علي فإن الله شرفه، ولفعل أبي طالب شرف يوم النحر^(١).

وفي حديث آخر: وضعت أمه بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففتح فاه بلسانه وحنكه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، فعرف الشهادتين وولد على الفطرة^(٢).

ميلاد الإمام علي (عليه السلام)

من الأمور المتفق عليها أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد ولد في جوف الكعبة، وهي منزلة عظيمة من مختصات التي انفرد بها دون سواه من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) فضلاً عن الناس العاديين^(٣).

ففي الحديث عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإنه بنى البيت العتيق فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت

(١) الأماشي للطوسي: ص ٧٠٦ المجلس ٢٣ ح ١٥١١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٨١ ضمن ح ١٤.

(٣) لمزيد من التفصيل راجع كتاب (علي (عليه السلام) وليد الكعبة) لمؤلفه الشيخ محمد علي ابن ميرزا أبو القاسم الأردوبادي المتوفى عام ١٣٨٠هـ.

عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من الله تعالى.

ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) الحديث^(١).

إيمان فاطمة بنت أسد (عليها السلام)

ويستفاد من هذه الرواية وغيرها أن فاطمة بنت أسد (عليها السلام) كانت مؤمنة بالله عز وجل وموحدة له تعالى على دين إبراهيم (عليه السلام) ولم تكن تعبد الأصنام أبداً كسائر الجاهليين، فلما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت من السابقات إلى الإسلام والمؤمنات بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم).

من عظمة المولود

لا يخفى أن الإمام علي (عليه السلام) هو أعظم شخصية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما نصت عليه الأدلة المتواترة عند العامة والخاصة، ولذا فإنه (عليه السلام) كان أعظم ولد أبي طالب وأشرفهم منزلة، ومن هنا فقد أشرنا إلى كيفية ولادته (عليه السلام) دون سائر أخوته، خاصة أن الروايات الشريفة ومصنفات التاريخ قد أشارت إلى ولادته بالتفصيل، ومن ذلك:

ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري حيث قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: إن الله تبارك وتعالى خلقني وعلياً من نور واحد قبل أن يخلق الخلق بخمسمائة ألف عام، فكنا نسبح الله ونقدسّه، فلما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) قذف بنا في صلبه

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٣٥ ب ١١٦ ح ٣.

واستقررت أنا في جنبه الأيمن وعلي في الأيسر، ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطهارات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتى أطلعني الله تبارك وتعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثم أطلع الله تبارك وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبو طالب واستودعني خير رحم وهي فاطمة بنت أسد، ثم قال: يا جابر ومن قبل أن وقع علي (عليه السلام) في بطن أمه كان في زمانه رجل عابد راهب يقال له المشرم بن دعيب بن الشيقتم وكان مذكوراً في العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة ولم يسأله حاجة، فسأله ربه أن يريه وليأله، فبعث الله تبارك وتعالى بأبي طالب إليه، فلما أن بصره به المشرم قام إليه فقبل رأسه وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمك الله؟

قال: رجل من تهامة.

فقال: من أي تهامة؟

قال: من مكة.

قال: ممن؟

قال: من عبد مناف.

قال: من أي عبد مناف؟

قال: من بني هاشم.

فوثب إليه الراهب وقبل رأسه ثانياً، وقال: الحمد لله الذي أعطاني مسألتني ولم يمتني حتى أراني وليه.

ثم قال: أبشر يا هذا فإن العلي الأعلى قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك.

قال أبو طالب: وما هو؟

قال: ولد يخرج من صلبك هو ولي الله تبارك اسمه وتعالى ذكره وهو إمام المتقين ووصي رسول رب العالمين، فإن أدركت ذلك الولد فأقرئه مني السلام

وقل له: إن المشرم يقرأ عليك السلام.

فبكى أبو طالب وقال له: ما اسم هذا المولود؟

قال: اسمه علي.

فقال أبو طالب: إنني لا أعلم حقيقة ما تقوله إلا ببرهان بين ودلالة واضحة.

قال المشرم: فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك في مكانك ما يكون دلالة لك؟

قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا.

فدعا الراهب بذلك، فما استتم دعاؤه حتى أتى بطبق عليه من فاكهة الجنة رطبة وعنبية ورمّان، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته حتى رجع إلى منزله فأكلها، فتحوّلت ماء في صلبه فجامع فاطمة بنت أسد فحملت بعلي (عليه السلام) وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة وفزعوا وقالوا: قوموا بالهتكم إلى ذروة أبي قبيس حتى نسألهم أن يسكنوا منزل بكم وحلّ بساحتكم. فلما اجتمعوا على ذروة جبل أبي قبيس فجعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم صمّ الصخور وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجهها، فلما بصروا بذلك قالوا: لا طاقة لنا بما حلّ بنا.

فصعد أبو طالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة وخلق فيها خلقاً إن لم تطيعوه ولم تقرّوا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكن. فقالوا: يا أبا طالب! إننا نقول بمقاتلتك.

فبكى أبو طالب ورفع يده إلى الله عزّ وجلّ وقال: إلهي وسيدي أسألك بالمحمّدية المحمودة وبالعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلا تفضّلت على

تهامة^(١) بالرأفة والرحمة، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائد هافي الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها^(٢).

فلما قربت ولادته أتت السيِّدة فاطمة إلى بيت الله وقالت: ربّ إنني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم (عليه السلام) فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي، فانفتح البيت ودخلت فيه، فإذا هي بحواء ومريم وآسية وأمّ موسى وغيرهن، فصنعن مثل ما صنعن برسول الله وقت ولادته، فلما ولد سجد على الأرض يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله وأشهد أن علياً وصي محمّد رسول الله، بمحمّد يختم الله النبوة وبني تتم الوصية وأنا أمير المؤمنين، ثمّ سلّم على النساء وسأل عن أحوالهنّ وأشرقت السماء بضياؤه، فخرج أبو طالب يقول: أبشر وافقد ظهر ولي الله يختم به الوصيين وهو وصي نبي ربّ العالمين^(٣).

الحيدرة

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال يوم خيبر:
أنا الذي سمّني أمي حيدرة كليث غابات شديد قسورة
فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا ولد سمّته أمّه (السيِّدة فاطمة بنت أسد) أسداً باسم أبيها، فلما رجز الإمام علي (عليه السلام) يوم خيبر ذكر الاسم الذي سمّته به أمّه.

(١) تهامة: اسم مكّة، كتاب (العين) مادة تهم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٧٢.

وحيدرة اسم من أسامي الأسد، وهي أشجعها، كأنه قال: أنا الأسد^(١).

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلقى الأمير (عليه السلام)

فور ما ولدت السيدة فاطمة بنت أسد علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرجت به من الكعبة الشريفة جاء جبرئيل الأمين إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنأه بهذا المولد المبارك وأشار عليه أن يذهب لاستقباله..

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - في خبر طويل - قال: لقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة علي (عليه السلام) فقال: يا حبيب الله العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويهنئك بولادة أخيك علي ويقول: هذا أوان ظهور نبوتك وإعلان وحيك وكشف رسالتك إذاً يدتك بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ومن شددت به أزرك وأعلنت به ذكرك، فقم إليه واستقبله بيدك اليمنى فإنه من أصحاب اليمين وشيعته الغر المحجلون.

فقامت مبادراً، فوجدت فاطمة بنت أسد أم علي وقد جاء لها المخاض وهي بين النساء والقوايل حولها.

فقال حبيبي جبرئيل: يا محمد نسجف بينها وبينك سجفاً^(٢) فإذا وضعت بعلي تتلقاه، ففعلت ما أمرت به. ثم قال لي: أمد يدك يا محمد، فمدت يدي اليمنى نحو أمه فإذا أنا بعلي على يدي واضعاً يده اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذن ويقيم بالحنيفية ويشهد بوحدانية الله عز وجل وبرسالتي، ثم اتثنى إلي وقال: السلام عليك يا رسول الله.

ثم قال لي: يا رسول الله اقرأ؟

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ١٤.

(٢) سجف: أي الستر، (لسان العرب) مادة سجف.

قلت: اقرأ فو الذي نفس محمد بيده لقد ابتداء بالصحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم، فقام بها ابنه شيث فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها حتى لو حضر شيث لأقرّله أنه أحفظ له منه، ثم تلا صحف نوح، ثم صحف إبراهيم، ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضر موسى لأقرّله بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ زبور داود حتى لو حضر داود لأقرّله بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ إنجيل عيسى حتى لو حضر عيسى لأقرّله بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ القرآن الذي أنزل الله عليّ من أوله إلى آخره، فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أن أسمع منه آية.

ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب الأنبياء الأوصياء (عليهم السلام) ثم عاد إلى حال طفوليته وهكذا أحد عشر إماماً من نسله، فلم تحزنون وماذا عليكم من قول أهل الشك والشرك؟

بالله هل تعلمون أنني أفضل النبيين وأن وصيي أفضل الوصيين وأن أبي آدم لما رأى اسمي واسم علي وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأسماء أولادهم (عليهم السلام) مكتوبة على ساق العرش بالنور، قال: إلهي وسيدي هل خلقت خلقاً هو أكرم عليك مني؟

فقال: يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ولا خلقتك يا آدم.

فلما عصى آدم ربه وسأله بحقنا أن يتقبل توبته ويغفر خطيئته فأجابته، وكنا الكلمات تلقاها آدم من ربه عز وجل فتاب عليه وغفر له، فقال له: يا آدم أبشر فإن هذه الأسماء من ذريتك وولدك، فحمد آدم ربه عز وجل وافتخر على الملائكة بنا، وإن هذا من فضلنا وفضل الله علينا.

فقام سلمان ومن معه وهم يقولون: نحن الفائزون، فقال رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم): أنتم الفائزون ولكم خلقت الجنة ولأعدائنا وأعدائكم النار^(١).

وفاة السيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام)

وحيث بلغ بنا الحديث إلى ذكر مناقب هذه السيدة الجليلة فلا بأس بالإشارة إلى بعض المقتطفات التي تدل على مقامها الشامخ ومكانتها الرفيعة، وذلك في حديث وفاتها (سلام الله عليها).

فعن عبد الله بن عباس قال: أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باكياً وهو يقول: إن الله وأنا إليه راجعون. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مه يا علي.

فقال علي: يا رسول الله ماتت أمي فاطمة بنت أسد!

قال: فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها كانت لك أمًّا فقد كانت لي أمًّا، خذ عمامتي هذه وخذ ثوبي هذين فكفنها فيهما ومر النساء فليحسن غسلها ولا تخرجها حتى أجيء فإلي أمرها.

قال: وأقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ساعة وأخرجت فاطمة أم علي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصلى عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرة، ثم دخل إلى القبر فتمدّ فيه، فلم يسمع له أنين ولا حركة..

ثم قال: يا علي أدخل، يا حسن أدخل، فدخلوا القبر، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي أخرج يا حسن أخرج، فخرجا، ثم زحف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صار عند رأسها ثم قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فإن أتاك منكرو ونكير فسألك من ربك فقولي الله ربّي ومحمد نبيي والإسلام ديني

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٩ ح ١٥.

والقرآن كتابي وابني إمامي ووليي.

ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت.

ثم خرج من قبرها وحثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما ثم قال: والذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي.

فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فذاك أبي وأمي يا رسول الله لقد صلّيت عليها صلاة لم تصلّ على أحد قبلها مثل تلك الصلاة.

فقال: يا أبا اليقظان وأهل ذلك هي مني؟

لقد كان لها من أبي طالب (عليه السلام) ولد كثير ولقد كان خيرهم كثيراً وكان خيرنا قليلاً فكانت تشبعتني وتجيّعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم.

قال: فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟

قال: نعم يا عمار التفت عن يميني فنظرت إلى أربعين صفًا من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة.

قال: فتمدّدك في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة؟

قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عرأة ولم أزل أطلب إلى ربّي عزّ وجلّ أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها ومصباحين من نور عند يديها ومصباحين من نور عند رجليها وملكيها الموكّلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة^(١).

وفي بعض الروايات أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كبر على جنازتها سبعين تكبيرة ممّا يدلّ على عظمتها، ففي الحديث أنّه لمّا حانت وفاة السيّدة

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٧٠ ع ٤.

فاطمة بنت أسد صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها وكبر سبعين تكبيرة ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة، إلى أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وأما تكبيرى سبعين تكبيرة فإنما صلى عليها سبعون صفًا من الملائكة^(١).

وإلى جانب ذلك، فإن عظم التجليل الذي أولاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها عند وفاتها وتشييعها ودفنها يدل بوضوح على عظم مقامها الرفيع.

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عرأة كما ولدوا، فقالت: واسوأ تاه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فإنني أسأل الله أن يبعثك كاسية.

وسمعت يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنه: فإنني أسأل الله أن يكفيك ذلك.

وقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً: إنني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار، فلما مرضت أو صت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمرت أن يعتق خادمها واعتقل لسانها فجعلت تومي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إيماءً، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصيبتها.

فبينما هو (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم قاعد إذ أتاه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يبكي، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك؟ فقال: ماتت أمي فاطمة.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٢٦٦ ب ٦ ح ١٩٢٩.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وأُمِّي والله، وقام مسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى.

ثم أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء أن يغسلنها وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلما فرغن أعلمنه بذلك فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهن أن يكفننها فيه، وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لم فعلته.

فلما فرغن من غسلها وكفنها دخل (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردھا قبرھا، ثم وضعھا ودخل القبر فاضطجع فيه.

ثم قال: فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكبّ عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك ابنك (ابنك)، ثم خرج وسوى عليها ثم انكبّ على قبرها، فسمعوه يقول: لا إله إلا الله اللهم إني أستودعها إليك، ثم انصرف.

فقال له المسلمون: إننا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم؟

فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها، وإني ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عرّاة، فقالت: واسوأ تاه، فضمنت لها أن يعثها الله كاسية، وذكرت ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك فكفنتها بقميصي، واضطجعت في قبرها لذلك وانكبت عليها فلقتتها ما تسأل عنه، فإنها سُئلت عن ربّها فقالت، وسُئلت عن رسولها فأجابت، وسُئلت عن وليّها وإمامها فارتجّع عليها، فقلت: ابنك ابنك (ابنك) (١).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٣ باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه ح ٢.

باب للحوائج إلى الله

وقد أصبحت السيّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) لمقامها الرفيع وإخلاصها الشديد من أولياء الله الذين يتوسّل بهم في قضاء الحوائج المستعصية، والمؤيّدات على ذلك كثيرة، إلا أنّنا نقتصر على ما يلي:

عن داود الرقيّ قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) ولي على رجل مال قد خفت تواه، فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن أمّنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين، ثم أدع أن يرّد عليك مالك، قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا وإذ اغريمي واقف يقول: يا داود حبستني تعال اقبض مالك^(١).

قبرها الشريف

قبرها الشريف في البقيع الغرق قد بقرب قبور أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد هدم الوهابيون تلك القباب الطاهرة، ويجب على المسلمين السعي لإعادة تلك القباب الشريفة.

قال السمهودي: إنّ قبرها في موضع من البقيع كان يعرف بحمام أبي قطيفة، بجهة مشهد سيدنا إبراهيم، وعليه قبّة، واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام، وإنّ مشهد فاطمة معروف.

وعن عيسى بن عبد الله، عن أبيه عن جدّه، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٤ باب النوادر ح ٢١.

وسلم) دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب بالروحاء مقابل حمام أبي قطفة (١).

زيارتها الشريفة

ومن خصائص السيِّدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) أنه قد وردت في حقِّها زيارة خاصَّة دون سائر أمَّهات المعصومين ما عدا الصديقة الزهراء (عليها السلام) والسيِّدة نرجس (عليها السلام)، ومما يدلُّ على عظم شأنها وجلالة قدرها هي العبارات الرفيعة التي وردت في زيارتها وهي:

«السلام على نبي الله، السلام على رسول الله، السلام على محمد سيِّد المرسلين، السلام على محمد سيِّد الأولين، السلام على محمد سيِّد الآخرين، السلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على فاطمة بنت أسد الهاشمية، السلام عليك أيُّها الصديقة المرضية، السلام عليك أيُّها النقية النقيَّة، السلام عليك أيُّها الكريمة المرضية المرضية، السلام عليك يا كافلة محمد خاتم النبيين، السلام عليك يا والدة سيِّد الوصيين، السلام عليك يا من ظهرت شفقتها على رسول الله خاتم النبيين، السلام عليك يا من تربيتها لولي الله الأمين، السلام عليك وعلى روحك وبدنك الطاهر، السلام عليك وعلى ولدك، ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك قد أحسنت الكفالة، وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضات الله، وبالغت في حفظ رسول الله، عارفة بحقه، مؤمنة بصدقته، معترفة بنبوته، مستبصرة بنعمته، كافلة بتربيته، مشفقة على نفسه، واقفة على خدمته، مختارة رضاه، مؤثرة هواه، وأشهد أنك مضيت على الإيمان، والتمسك بأشرف الأديان، راضية مرضية، طاهرة زكية، تقية نقية،

(١) راجع علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٦٩ باب النوادر.

فرضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك ومأواك، اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وانفعني بزيارتها، وثبتني على محبتها، ولا تحرمني شفاعتها، وشفاعة الأئمة من ذريتها، وارزقني مرافقتها، واحشرنني معها ومع أولادها الطاهرين، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي إياها، وارزقني العود إليها أبدا، ما أبقيتني، وإذا توفيتني فاحشرنني في زمرتها، وادخلني في شفاعتها، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم بحقها عندك، ومنزلتها لديك، اغفر لي ولوالدي، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وآنسني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا برحمتك عذاب النار،^(١).

(١) مفاتيح الجنان: ص ٤٢١.

الفصل الرابع والخامس:

الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

والدة الإمامين الحسن والحسين

(عليهما السلام)

النسب الشريف

هي السيدة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بن عبد الله بن عبد المطلب.

أمها: السيدة خديجة سيدة نساء العرب، وأبوه السيد البشرية أجمعين من الأولين والآخرين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولدت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان بعد مبعثه بخمس سنين.

أمّا فضائلها ومناقبها (سلام الله عليها)، فهي كثيرة لا يمكن استقصاؤها، وبيان شيء منها بحاجة إلى كتاب مستقل إلا أننا نقتصر على ما يلي:

عند ما خلق الله آدم (عليه السلام)

الروايات المتواترة تنصّ على أن أهل البيت (عليهم السلام) خلقوا قبل سائر الخلق وكانوا أنواراً محدقين حول العرش يسبحون الله تعالى ويهللونه ويمجدونه، وهناك روايات أخرى تصرّح بمكانة الصديقة الزهراء (عليها السلام) الرفيعة ومرتبها العالية وجاهها العظيم عند الله عز وجل، منها:

ماروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لما خلق الله آدم وحواء تبخترافي الجنة، فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله إلى جبرئيل: ائت بعبيد الفردوس الأعلى، فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من

درانيك^(١) الجنة وعلى رأسها تاج من نور وفي أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من نور وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟

فقال: هذه فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي من ولدك يكون في آخر الزمان.

قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟

قال: بعلمها علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟

قال: ولداها الحسن والحسين (عليهما السلام).

قال آدم: حبيبي أخلقوا قبلي؟

قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة^(٣).

نور الكون

ويستفاد من الأخبار الشريفة أن الصديقة فاطمة (عليها السلام) كانت نوراً قبل أن يخلق الله سبحانه الكون، وقد نور الله بها السماوات والأرضين، ثم جعل ثواب تسبيح الملائكة وتقديسهم لها ولمحببيها، وهذه الروايات مما تدل على عظمتها وعظمة محبتها وفضيلة المحبين لها (عليها السلام).

(١) الدرانيك تكون سترأوفرشاً والدرنوك فيه الصفرة والحضرة، (لسان العرب) مادة درنك.

(٢) قال ابن خالويه: البعل في كلام العرب خمسة أشياء: الزوج والصنم منه قوله: «أتدعون بعلاً» سورة الصافات: ١٢٥، والبعل اسم امرأة وبها سميت بعلبك، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقي، والبعل السماء، والعرب تقول السماء بعل الأرض.

(٣) كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٥٦.

فقد ورد عن سلمان الفارسي أنه قال: كنت جالساً عند النبي المكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم، فردّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه ورحب به، فقال: يا رسول الله! بم فضل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمعادن واحدة؟

فقال له النبي المكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذ أخبرك ياعم، إن الله تبارك وتعالى خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار، ولا لوح ولا قلم، ولما أراد الله تعالى بدو خلقنا فتكلم بكلمة فكانت نوراً، ثم تكلم بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما فاعتدلا فخلقني وعلياً منهما، ثم فتق من نوري نور العرش فأنا أجل من نور العرش، ثم فتق من نور علي (عليه السلام) نور السماوات فعلي أجل من نور السماوات، ثم فتق من نور الحسن (عليه السلام) نور الشمس، ومن نور الحسين (عليه السلام) نور القمر، فهما أجل من نور الشمس ومن نور القمر، وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسّه وتقول في تسبيحها: سبح قدّوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى، فلما أراد الله جلّ جلاله أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة فكانت الملائكة لا ينظر أولها من آخرها ولا آخرها من أولها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقنا ما رأينا مثل ما نحن فيه فنسألك بحق هذه الأنوار إلا ما كشفت عنا.

فقال الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي لأفعلنّ، فخلق نور فاطمة (عليها السلام) يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، ومن أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء، وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسّه.

فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعليها وبنيتها.

قال سلمان: فخرج العباس فلقية أمير المؤمنين (عليه السلام) فضمّه إلى صدره

فقبّل ما بين عينيه ، فقال بأبي عترة المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله (١).

حوراء إنسية

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «خلق نور فاطمة (عليها السلام) قبل أن يخلق الأرض والسماء».

فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟

فقال: «فاطمة حوراء إنسية».

قالوا: يا نبي الله ، وكيف هي حوراء إنسية؟

قال: «خلقها الله عز وجلّ من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح ، فلمّا خلق الله عز وجلّ آدم عرضت على آدم».

قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟

قال: «كانت في حقة تحت ساق العرش».

قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟

قال: «التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد»

تفاحة الجنة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث عن فاطمة (عليها السلام): «فلمّا خلق الله عز وجلّ آدم وأخرجني من صلبه وأحبّ الله عز وجلّ أن يخرجها من صربي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل (عليه السلام) ، فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد».

(١) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٤٠٣.

قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد! إن ربك يقرؤك السلام.

قلت: منه السلام وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد! إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة، فأخذتها

وضممتها إلى صدري.

قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها.

ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه.

فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور للمنصورة في

السماء وهي في الأرض فاطمة.

قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟

قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن

حبها، وهي في السماء المنصورة وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ

﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني نصر فاطمة لمحبيها، (١)، (٢).

وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «معاشر الناس

تدرون لما خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «خلقت فاطمة حوراء إنسية لا إنسية، قال: خلقت من عرق جبرئيل ومن

زغبه» (٣).

قالوا: يا رسول الله اشتكل ذلك علينا تقول حوراء إنسية لا إنسية ثم تقول من

(١) سورة الروم: ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٤.

(٣) زغب: صغار الريش، كتاب العين مادة: زغب.

عرق جبرئيل ومن زغبه؟

قال: ﴿إِذَا أَنْبَأْتُكُمْ، أَهْدِي إِلَيَّ رَبِّي تَفَاحَةً مِنَ الْجَنَّةِ أَتَانِي بِهَا جِبْرَائِيلُ (عليه السلام) فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ فَعَرَقَ جِبْرَائِيلُ (عليه السلام) وَعَرَقَتِ التَّفَاحَةُ فَصَارَ عَرَقُهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

قلت: وعليك السلام يا جبرئيل.

فقال: إِنَّ اللَّهَ أَهْدَى إِلَيْكَ تَفَاحَةً مِنَ الْجَنَّةِ فَأَخَذْتُهَا فَقَبَّلْتُهَا وَوَضَعْتُهَا عَلَى عَيْنِي وَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ كُلْهَا.

قلت: يا حسيبي يا جبرئيل هدية ربي تؤكل.

قال: نعم قد أمرت بأكلها، فأفلقتها فرأيت منها نوراً ساطعاً ففزعت من ذلك النور.

قال: كل، فإن ذلك نور المنصورة فاطمة.

قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة؟

قال: جارية تخرج من صلبك واسمها في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة.

فقلت: يا جبرئيل ولم سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟

قال: سميت فاطمة في الأرض لأنه فطمت شيعتها من النار وفطموا أعداؤها عن حبها وذلك قول الله في كتابه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾^(١) بنصر فاطمة (عليها السلام)﴾^(٢).

(١) سورة الروم: ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٨.

إنها (عليها السلام) هدية السماء

من الخصائص المهمة للسيدة الزهراء (عليها السلام) هو اصطفاء الباري تعالى لنطفتها واستخلاصه لها وانتخابها من صفوة ثمار الجنة.

فقد تميّزت الصديقة فاطمة (سلام الله عليها) عن سواها من النساء حتى في نطفتها، حيث إن الله تعالى أتحف رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها من الجنة.

فعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل (عليه السلام) فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صليبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة (عليها السلام) فحملت بفاطمة (عليها السلام)، ففاطمة حوراء إنسية فكلمّا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»^(١).

وعن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقبل فاطمة (عليها السلام)، فقالت له: أتحبّها يا رسول الله؟

قال: أما والله لو علمت حبي لها لأزددت لها حباً، إنه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثم قيل لي: أذن يا محمد.

فقلت: أتقدّم وأنت بحضرتي يا جبرئيل؟

قال: نعم إن الله عزّ وجلّ فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلك أنت خاصة.

فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة، ثم التفت عن يميني فإذا أنا بإبراهيم (عليه السلام) في روضة من رياض الجنة وقد اكتنفها جماعة من الملائكة، ثم إني صرت إلى السماء الخامسة ومنها إلى السادسة فنوديت: يا محمد نعم الأب أبوك إبراهيم

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ج ١ ص ١١٥ ح ٣.

ونعم الأخ أخوك علي..

فلما صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل (عليه السلام) بيدي فأدخلني الجنة، فإذا أنا بشجرة من نور أصلها ملكان يطويان الحلل والحلي فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذه الشجرة؟

فقال: هذه لأخيك علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذان الملكان يطويان له الحلي والحلل إلى يوم القيامة.

ثم تقدمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأطيب رائحة من المسك وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها فتحوّلت الرطبة نطفة في صلبني، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية فإذا اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة (عليها السلام) ^(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: قيل يا رسول الله إنك تلثم ^(٢) فاطمة وتلتزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟

فقال: (إن جبرئيل (عليه السلام) أتاني بتفاحة من تفاح الجنة فأكلتها فتحوّلت ماء في صلبني ثم واقعت خديجة فحملت بفاطمة فأنا أشم منها رائحة الجنة) ^(٣).

الذرية الطاهرة

إن الله تعالى قد منح الصديقة الطاهرة (عليها السلام) تلك الذرية المباركة، حيث جعل منها الأئمة المعصومين الأطهار (عليهم السلام) وهذا مما يدل على شرافتها.

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٣ ب ١٤٧ ح ٢.

(٢) اللثم: القبلة، (لسان العرب) مادة لثم.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٥٤٣ ح ٤.

عن سلمان الفارسي أنه قال: دخلت على فاطمة (عليها السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام) يلعبان بين يديها، ففرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً.

فقال: يا سلمان ليلة أسري بي إلى السماء أدارني جبرئيل في سماواته وجنّاته، فبينما أنا أدير قصورها وبساتينها ومقاصيرها^(١) إذ شممت رائحة طيبة فأعجبني تلك الرائحة، فقلت: يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنة كلّها؟ فقال: يا محمد تفاحة خلقها الله تبارك وتعالى بيده^(٢) منذ ثلاثمائة ألف عام ما ندري ما يريد بها.

فبينما أنا كذلك إذ رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة، فقالوا: يا محمد ربنا السلام يقرأ عليك السلام وقد أتحنفك بهذه التفاحة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فأخذت تلك التفاحة فوضعتها تحت جناح جبرئيل، فلمّا هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفاحة فجمع الله ماءها في ظهري، فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة من ماء تلك التفاحة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن قد ولد لك حوراء إنسية فزوج النور من النور، فاطمة من علي، فإني قد زوجتها في السماء وجعلت خمس الأرض مهرها وستخرج فيما بينهما ذرية طيبة وهما سراجا الجنة الحسن والحسين ويخرج من صلب الحسين أئمة يُقتلون ويُخذلون فالويل لقاتلهم وخاذلهم^(٣).

وفي خبر طويل نذكر محل الحاجة منه، قال هارون العباسي للإمام

(١) مقاصير: نواحي، (لسان العرب) مادة قصر.

(٢) اليد: القدرة، (لسان العرب) مادة يدي.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٢٤٠.

الكاظم (عليه السلام): أريد أن أسألك عن العباس وعلي، بم صار علي (عليه السلام) أولى بميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من العباس والعباس عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنو أبيه؟

فقال له موسى (عليه السلام): اعفني.

قال: والله لا أعفيتك فأجيني.

قال: فإن لم تعفني فأمني.

قال: أمنتك.

قال موسى (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، إن أباك العباس آمن ولم يهاجر وإن علياً (عليه السلام) آمن وهاجر وقال الله: ﴿الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾^(١).

فالتمع^(٢) لون هارون وتغير وقال: ما لكم لا تنسبون إلى علي وهو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جدكم؟

فقال موسى (عليه السلام): ﴿إن الله نسب المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) إلى خليله إبراهيم (عليه السلام) بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسه بشرفي قوله ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾^(٣) فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم (عليه السلام) كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون (عليهم السلام) بأبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى (عليه السلام) ومنزلة

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) التمع لونه: ذهب وتغير، (لسان العرب) مادة لمع.

(٣) سورة الأنعام: ٨٤-٨٥.

رفيعة بأمه وحدها، وذلك قوله في قصة مريم (عليها السلام) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) بالمسيح من غير بشر، وكذلك اصطفى ربنا فاطمة (عليها السلام) وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة^(٢).

كيفية ولادتها (عليها السلام)

بعد أن صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أمره الله تعالى به أخذ مشركو قريش في أذيته وعكفوا على تفريق الناس من حوله، حتى آل الأمر بهم إلى فرض حصار شديد عليه وعلى جماعته وذلك في شعب أبي طالب.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب، بل شمل كل من انتمى إليه وإلى دينه وعلى رأسهم السيدة خديجة صاحبة الجاه الرفيع والمقام العالي.

فقد هجرته النساء قريش لنصرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتضحيتها الجلييلة من أجل إعلاء راية الحق خفاقة.

وتشاء إرادة السماء أن تبقى هذه السيدة الجلييلة وحيدة فريدة بلا مؤنس سوى جنينها «الزهراء (عليها السلام)» التي كانت تؤنس وحشتها بحدِيثها إيّاها.

بل في أشدّ الأوقات حين أخذ المخاض من بنت خويلد مأخذاً عظيماً بعثت إلى بعض نساء قريش كي يلينها ما تلي النساء من النساء فأبين أن يأتين إليها..

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) كيف كان ولادة فاطمة (عليها السلام)؟

(١) سورة آل عمران: ٤٢.

(٢) تحف العقول: ص ٤٤.

قال: «نعم إن خديجة (عليها السلام) لما تزوج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة (عليها السلام) تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فسمع خديجة (عليها السلام) تحدث فاطمة (عليها السلام)، فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟

قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسي.

قال: يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمةً ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تنزل خديجة (عليها السلام) على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبنو هاشم أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء، فأرسلن إليها أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقير لا مال له فلسنا نجية ولا نلي من أمرك شيئاً.

فاغتمت خديجة (عليها السلام) لذلك، فبيناهي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن.

فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، أرسلنا ربك إليك ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء.

فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها فوضعت فاطمة (عليها السلام) طاهرة مطهرة.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن وأطيب ريحا من المسك والعنبر، فلقتها بواحدة وقعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أباي رسول الله سيد الأنبياء وأن بعلي سيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة (عليها السلام)، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة، زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة وألقتها ثديها فدر عليها، فكانت فاطمة (عليها السلام) تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة^(١).

لماذا سميت بفاطمة؟

لا يخفى أن الأسماء لها دلالاتها وآثارها الخاصة على النفوس والنفسيات، ولذا أمر الشارع المقدس بانتخاب الأسماء الحسنة، وجعله من مسؤوليات الوالد بالذات^(٢).

وبالرغم من أن انتخاب أسماء الأبناء - للناس العاديين - يكون من مسؤولية

(١) الأمل للصدوق: ص ٥٩٤ مجلس ٨٧ ح ١.

(٢) في وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي عليه السلام قال: «يا علي حق الولد على والده أن يحسن اسمه»، وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٣٨٩ ح ٢٧٣٧٧.

والوالدين إلا أن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يختلفون عن غيرهم في ذلك، إذ أن السماء تختار أسماءهم، وقد تم انتخاب هذه الأسماء الطاهرة قبل خلق الخليقة وهذا ما تؤكده الروايات الشريفة.

فعن ابن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء، ثم قال: أتدري أي شيء تفسير فاطمة (عليها السلام)؟»

قلت: أخبرني يا سيدي؟

قال: فطمت من الشر.

قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوّجها ما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه^(١).

وذكر ابن شيرويه في الفردوس عن جابر الأنصاري قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنما سمّيت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها وفطم محبيها عن النار»^(٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا فاطمة أتدريين لم سمّيت فاطمة؟»

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله لم سمّيت؟

قال: لأنها فطمت هي وشيعتها من النار»^(٣).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لما ولدت فاطمة (عليها السلام) أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمّاها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمّ، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لقد

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٧٨ ح ٣ ب ١٤٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام): ج ٣ ص ٣٣٠.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١٧٩ ب ١٤٢ ح ٥.

فطمها الله بالعلم وعن الطمث في الميثاق»^(١).

كما روي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن أنه قال: قال لي أبو الحسن لم سميت فاطمة فاطمة؟

قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء.

قال: إن ذلك لمن الأسماء ولكن الاسم الذي سميت به، إن الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه فعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتزوج في الأحياء وأنهم يطمعون في وراثته هذا الأمر من قبله فلما ولدت فاطمة سماها الله تبارك وتعالى فاطمة لما أخرج منها وجعل في ولدها فطمهم عمّا طمعواف بهذا سميت فاطمة لأنها فطمت طمعهم ومعنى فطمت قطعت»^(٢).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إني سميت فاطمة لأنها فطمت وذريتها من النار، من لقي الله منهم بالتوحيد والإيمان بما جئت به»^(٣).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾^(٤) (رحمه الله) الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها»^(٥).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٠ باب مولد الزهراء (عليها السلام) ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٣٢ ح ٧.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٥٧٠ المجلس ٢٢ ح ١١٧٩.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ص ٥٨١ ح ٧٤٧.

لماذا سمّيت بالزهراء؟

من سيرة العقلاء المتداولة أنهم يضعون الألفاظ بإزاء المعاني عند وجود علاقة بينهما، فترى أن هناك علاقة خاصة بين الألفاظ ومعانيها عادة، بحيث تصل هذه العلاقة إلى مرحلة يذوب اللفظ في المعنى ويندك فيه حتى أن الناس ينظرون إلى المعنى ويهملون اللفظ.

وفي أسماء الأشخاص كذلك، فلوجود مثل هذه العلاقة المتينة نجد أن كثيراً من الأسماء توضع.

ومن هنا سميت الصديقة فاطمة، بالزهراء (عليها الصلاة والسلام).

وقد سئل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) عن هذه العلاقة فأجابوا وأشاروا به إلى عظمة السيدة فاطمة (عليها السلام).

فعن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن فاطمة لم سمّيت الزهراء؟

فقال: «لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»^(١).

وعن أبان بن تغلب قال: قلت: لأبي عبد الله (عليه السلام) يا بن رسول الله لم سمّيت الزهراء (عليها السلام) زهراء؟

فقال: «لأنها تزهر لأمر المؤمنين (عليه السلام) في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة (عليها السلام)، فيأتون

(١) معاني الأخبار: ص ٦٥ باب معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة (عليهم السلام) ح ١٥.

منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتبت للصلاة زهر وجهها (عليها السلام) بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة (عليها السلام) فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها صلوات الله عليها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمر وجه فاطمة (عليها السلام) فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكر الله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة (عليها السلام)، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين (عليه السلام) فهو يتقلب في جوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة من أهل البيت إمام بعد إمام^(١).

وعن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله خلقني وخلق علياً والحسن والحسين (عليهم السلام) من نور قدسه، فلما أراد أن ينشئ الصنعة فتق نوري وخلق منه السماوات والأرض وأنا والله أجل من السماوات والأرض، وفتق نور علي وخلق منه العرش والكرسي وعلي والله أجل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن وخلق منه الحور العين والملائكة والحسن والله أجل من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين وخلق منه اللوح والقلم والحسين والله أجل من اللوح والقلم، فعند ذلك أظلمت المشارق والمغارب فضجت الملائكة ونادت إلهنا: وسيدنا بحق الأشباح التي خلقتها إلا ما فرجت عنا هذه الظلمة، فعند ذلك تكلم الله لكلمة أخرى فخلق منها روحاً فاحتمل النور الروح

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٠ ب ١٤٣ ح ٢.

فخلق منه الزهراء فاطمة فأقامها أمام العرش فأزهرت المشارق والمغارب فلأجل ذلك سميت الزهراء^(١).

وعن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: لِمَ سميت فاطمة الزهراء زهراء؟

فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضواء السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟

فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقتة من عظمتي، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرى، يهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي^(٢).

وعن أبي هاشم العسكري قال: سألت صاحب العسكر (عليه السلام) لِمَ سميت فاطمة (عليها السلام) الزهراء؟

فقال: كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند الغروب غروب الشمس كالكوكب الدرّي^(٣).

إلى غيرهما من الروايات.

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٥٩١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٢ ح ٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٣٠ فصل في منزلتها عند الله تعالى.

من فضائلها وكراماتها (عليها السلام)

مائدة من السماء

بين الفترة والأخرى كانت تصدر من الزهراء (عليها السلام) كرامات ومعاجز تدل على عظمتها ومدى قداستها وعلو شأنها عند الله تعالى.

ومنها: ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: أصبح علي (عليه السلام) ذات يوم فقال: «يا فاطمة عندك شيء تغذينيه؟».

قالت: «لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أصبح اليوم عندي شيء أغذيكاه، وما كان عندي شيء منذ يومين إلا شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى ابني هذين حسن وحسين».

فقال علي (عليه السلام): «يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيتكم شيئاً؟».

فقالت: «يا أبا الحسن، إني لأستحيي من إلهي أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه».

فخرج علي (عليه السلام) من عند فاطمة (عليها السلام) واثقاً بالله، حسن الظن به عز وجل فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري لعياله ما يصلحهم، فعرض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحر قد لاحت الشمس من فوقه وأذته من تحته.

فلما رآه علي (عليه السلام) أنكروا شأنه، فقال: «يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟»

فقال: يا أبا الحسن (عليه السلام) خل سبيلي ولا تسألني عما ورائي.

قال: «يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك».

فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى الله وإليك أن تخلي سبيلي ولا تكشفني عن حالي.

فقال: «يا أخي إنه لا يسعك أن تكتمني حالك».

فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت فوالذي أكرم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي جياً، فلما سمعت بكاءهم لم تحملني الأرض فخرجت مهموماً راكباً رأسي هذه حالي وقصتي.

فانهملت عينا علي (عليه السلام) بالبكاء حتى بليت دمعته لحيته، فقال له: «أحلف بالذي حلفت به ما أزعجني إلا الذي أزعجك، وقد اقترضت ديناراً فهاكه، فقد أترتك على نفسي». فدفعت الدينار إليه ورجعت حتى دخل المسجد فصلى الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب مرّ بعلي (عليه السلام) وهو في الصف الأول فغمزه برجله، فقام علي (عليه السلام) فلحقه في باب المسجد فسلم عليه فردّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: «يا أبا الحسن! هل عندك عشاء تعشينا فتميل معك». فمكث مطرماً لا يحير جواباً حياً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عرف (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان من أمر الدينار ومن أين أخذه وأين وجهه بوحى من الله إلى نبيه وأمره أن يتعشى عند علي عليه السلام تلك الليلة، فلما نظر إلى سكوته قال: «يا أبا الحسن مالك لا تقول لا فأصرف أو تقول نعم فأمضي معك»؟

فقال حياً وتكرماً: «فاذهب بنا».

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي (عليه السلام) فانطلقا حتى دخلا على فاطمة (عليها السلام) وهي في مصلاًها قد قضت صلاتها وخلفها جفنة^(١) تفور دخاناً، فلما سمعت كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجت من مصلاًها فسلمت عليه، وكانت أعز الناس عليه، فردّ السلام ومسح بيده على رأسها وقال لها: «يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله»؟

(١) الجفنة: أعظم ما يكون من القصاع، (لسان العرب) مادة جفن.

قالت: «بخير».

قال: «عشينا رحمك الله وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام)، فلمّا نظر علي (عليه السلام) إلى الطعام وشمّ ريحه رمى فاطمة (عليها السلام) ببصره رمياً شحيحاً... قال: فنظرت إلى السماء، فقالت: «إلهي يعلم ما في سمائه وأرضه أنّي لم أقل إلاّ حقاً».

فقال لها: «يا فاطمة أنّي لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه ولم أشم مثل رائحته قط ولم أكل أطيب منه؟»

قال: فوضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفّه الطيبة المباركة بين كتفي علي (عليه السلام) فغمزها ثم قال: «يا علي هذا بدل عن دينارك، هذا جزء دينارك من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب».

ثم استعبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باكياً ثم قال: «الحمد لله الذي أبى لكم أن تخرجوا من الدنيا حتى يجريك يا علي مجرى زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران»^(١).

(١) كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٦٩.

إسلام اليهود

على الرغم أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يملكون الكثير من الخيرات إلا أنهم كانوا لا يبقون شيئاً منها لأنفسهم وإنما ينفقونها للآخرين كما ورد في الآية الشريفة ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(١).

بل إنهم (عليهم السلام) في بعض الأحيان كانوا يضطرون إلى الاقتراض وما أشبه ليسدوا به حاجتهم ويحافظوا على أنفسهم من التلف والعطب. ومثل هذه الأخلاقيات الرفيعة عند أهل البيت (عليهم السلام) عادة كانت تؤثر في نفوس الآخرين وتجعلهم يسировون على نهج الحق الذي ضحى أهل البيت (عليهم السلام) من أجله.

فقد روي أن علياً (عليه السلام) استقرض شعيراً من يهودي فاسترهنه شيئاً فدفع إليه ملاءة فاطمة (عليها السلام) رهناً وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت. فلما كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة لشغل فرأت نوراً ساطعاً أضاء به البيت، فانصرفت إلى زوجها وأخبرته بأنها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً، فتعجب زوجها اليهودي من ذلك وقد نسي أن في بيتهم ملاءة فاطمة (عليها السلام)، فنهض مسرعاً ودخل البيت، فإذا ضياء الملاءة ينتشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب، فتعجب من ذلك فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أن ذلك النور من ملاءة فاطمة (عليها السلام) فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها واستحضرهم دارهما، فاستجمع نيف وثمانون نفرًا من اليهود، فرأوا ذلك وأسلموا كلهم^(٢).

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٧.

فضائل تجلّت لإبراهيم الخليل (عليه السلام)

إنّ الله تعالى كان يعرض على أنبيائه وخاصته من رسله أنوار أهل البيت (عليهم السلام) ويبيّن لهم مدى عظمتهم وارتفاع منزلتهم لديه ، ومن ذلك هو ما حصل لنبي الله إبراهيم (عليه السلام) عند خلقته ، ففي الحديث :

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «لَمَّا خَلَقَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَشَفَ اللهُ عَنْ بَصَرِهِ فَنَظَرَ إِلَى جَانِبِ الْعَرْشِ فَرَأَى نُورًا ، فَقَالَ : إِلَهِي وَسَيِّدِي مَا هَذَا النُّورُ ؟

قال : يا إبراهيم هذا محمد صفيي .

فقال : إلهي وسيدي أرى إلى جانبه نوراً آخر؟ .

فقال : يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني .

فقال : إلهي وسيدي أرى إلى جانبهما نوراً ثالثاً؟

قال : يا إبراهيم هذه فاطمة تلي أباهما وبعليها ، فطمت محبيها من النار .

قال : إلهي وسيدي أرى نورين يليان الثلاثة الأنوار؟

قال : يا إبراهيم هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدّهما وأمّهما .

فقال : إلهي وسيدي أرى تسعة أنوار أحدقوا بالخمسة الأنوار؟

قال : يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولدهم .

فقال : إلهي وسيدي فيمن يعرفون؟

قال : يا إبراهيم أولهم : علي بن الحسين ، ومحمد ولد علي ، وجعفر ولد محمد ، وموسى ولد جعفر ، وعلي ولد موسى ، ومحمد ولد علي ، وعلي ولد محمد ، والحسن ولد علي ، ومحمد ولد الحسن القائم المهدي (عليهم السلام) .

قال : إلهي وسيدي أرى عدة أنوار حولهم لا يحصي عدتهم إلا أنت؟

قال: يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم ومحبوهم.

قال: إلهي وبما يعرفون شيعتهم ومحببيهم؟

قال: بصلاة الإحدى والخمسين، والجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختم باليمين.

قال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعتهم ومحببيهم.

قال: قد جعلتك، فأنزل الله فيه: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب

سليم﴾^(١)،^(٢).

التوسّل بالزهاء (عليها السلام)

بلغ قداسة الصديقة الزهاء (عليها السلام) وارتفاع مقامها عند الله تعالى بحيث إنّ كل من يتوسل بها إلى الله تعالى بنية صافية، ويقدمها بين يدي حوائجها، فإنه لا يرد خائباً خالي اليدين، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة، ولو أردنا استقصاءها لاحتاج إلى مصنّف ضخم.

ونقرأ في دعاء التوسل: (يا فاطمة الزهاء، يا بنت محمد، يا قرّة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنا توجهنّا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا، يا وجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله)^(٣).

وصلاة الاستغاثة بالصديقة الطاهرة (عليها السلام) معروفة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذرعاً فصل ركعتين، فإذا سلمت كبر الله ثلاثاً، وسبح تسبيح فاطمة (عليها السلام)، ثم

(١) سورة الصافات: ٨٣-٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢١٣.

(٣) البلد الأمين: ص ٣٢٥.

اسجد وقل مائة مرة: (يا مولاتي يا فاطمة أغيشيني) ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل مثل ذلك، ثم عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات، واذكر حاجتك فإن الله يقضيها^(١).

ونذكر هنا قصة أم أيمن كشاهد على ذلك:

أنا خادمة فاطمة (عليها السلام)

روي أن أم أيمن لما توفيت فاطمة (عليها السلام) حلفت أن لا تكون بالمدينة إذ لا تطيق النظر إلى مواضع كانت (عليها السلام) فيها، فخرجت إلى مكة، فلما كانت في بعض الطريق عطشت عطشاً شديداً، فرفعت يديها وقالت: يا رب أنا خادمة فاطمة تقتلني عطشاً؟!!

فأنزل الله عليها دلواً من السماء فشربت، فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين وكان الناس يبعثونها في اليوم الشديد الحرّ فما يصيبها عطش^(٢).

إنه من عند الله

على الرغم من إن التاريخ لم ينقل لنا إلا القليل من مناقب وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلا أن الذي وصلنا منها كاف وواف لمعرفة أفضليتهم وشرافتهم على غيرهم من الناس، فإنهم أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن التاريخ لم ينقل لنا إلا القليل من فضائل الصديقة الزهراء (عليها السلام) إلا أن فضائلها التي وصلتنا كافية في معرفة قداستها.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣١٣ ب ٢٢ ح ٦٨٩١.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٠.

يقول أبو سعيد الخدري: أهديت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قطيفة^(١) منسوجة بالذهب أهدها له ملك الحبشة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لأعطيها رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

فمد أصحاب محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعناقهم إليها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أين علي؟»

قال عمار بن ياسر: فلما سمعت ذلك وثبت حتى أتيت علياً (عليه السلام) فأخبرته، فجاء، فدفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القطيفة إليه فقال: أنت لها.

فخرج بها إلى سوق المدينة فنقضها سلكاً سلكاً، فقسمها في المهاجرين والأنصار، ثم رجع (عليه السلام) إلى منزله وماعه منها دينار.

فلما كان من غد استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا أبا الحسن أخذت أمس ثلاثة آلاف مثقال من ذهب فأنا والمهاجرون والأنصار نتغدى غداً عندك.

فقال علي (عليه السلام): نعم يا رسول الله.

فلما كان الغد أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المهاجرين والأنصار حتى قرعوا الباب، فخرج إليهم وقد عرق من الحياء لأنه ليس في منزله قليل ولا كثير، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل المهاجرون والأنصار حتى جلسوا، ودخل علي وفاطمة (عليهما السلام) فإذا هم بجفنة مملوءة ثريداً عليها عراق^(٢)، يفور منها ريح المسك الأذفر، فضرب علي (عليه السلام) بيده عليها فلم يقدر على حملها، فعاونته فاطمة (عليها السلام) على حملها حتى

(١) القطيفة: كساء له خمل، والخمل: ريش النعام، (لسان العرب) مادة قطف وخمل.

(٢) العراق: العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم، (لسان العرب) مادة: عرق.

أخرجها فوضعها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
فدخل (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة فقال: أي بنية أنتى لك هذا؟
قالت: يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا
حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريا في مريم بنت عمران^(١).

من أذاها فقد آذى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

الروايات الشريفة تؤكد على أن من آذى الصديقة فاطمة (عليها السلام) فقد
آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنها (عليها الصلاة والسلام) بضعته
وروحه التي بين جنبيه.

وفي الروايات أيضاً أن سخط الله تبارك وتعالى ورضاه منوط بسخط ورضا
الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الأمر الذي يدل على جلاله قدرها
(سلام الله عليها) عند الباري سبحانه ومدى علو شأنها.

فعن مجاهد قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذ بيد فاطمة
(عليها السلام) وقال: (من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت
محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن أذاها فقد آذاني، ومن
آذاني فقد آذى الله)^(٢).

وعليه فإن مثل هذه الروايات تدل بوضوح على سخط الله ورسوله على الذين
آذوا الصديقة فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
فضربوها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها، وغصبوا نحلها وحرموها

(١) سعد السعود: ص ٩٠.

(٢) كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٦٧.

إرثها، ومنعوها حتى من البكاء على أبيها^(١).

ومن ذلك ما رواه علي بن أسباط رفعه إلى الرضا (عليه السلام) أن رجلاً من أولاد البرامكة عرض لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) فقال له ما تقول في أبي بكر؟ قال له: (رحمه الله) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، فألح السائل عليه في كشف الجواب، فقال (عليه السلام): (رحمه الله) كانت لنا أم صالحه ماتت وهي عليهما ساخطة ولم يأتنا بعد موتها خبر أنها رضيت عنهما^(٢).

يؤذيني من أذاها

ومن المسلمات عند كافة المسلمين أن أذية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) محرمة وأن فيها أذية لله عز وجل، ومن تلك الموارد التي صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه أنها تؤذيه هي أذية ابنته الصديقة الزهراء (عليها السلام) ففي الحديث أن سهل بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال: إن قومك يقولون إنك تؤثر عليهم ولد فاطمة؟

فقال عمر: سمعت الثقة من الصحابة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: فاطمة بضعة مني، يرضيني ما أرضاها، ويسخطني ما أسخطها، فوالله إنني لحقيق أن أطلب رضى رسول الله ورضاه ورضاها في رضى ولدها.

وقد علموا أن النبي يسره مسرتها جداً ويشني اغتمامها

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا يدل على عصمتها (عليها السلام)، لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب - والعياذ بالله من هذا القول - لم يكن مؤذيتها مؤذياً له (صلى الله عليه وآله وسلم) على كل حال.

(١) راجع كتاب بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٨، وكتاب الخصال: ج ٢ ص ٦٠٧.

(٢) الطرائف: ج ١ ص ٢٥٢ ح ٣٥١.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
'يا علي إن فاطمة بضعة مني، وهي نور عيني، وثمره فؤادي، يسوءني ما
سأها، ويسرني ما سرها' (١).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): 'إن فاطمة
(عليها السلام) شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله لعنه ملاً السماوات والأرض' (٢).

إن الله يرضى لرضاها ويسخط لسخطها

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد المحبة لفاطمة (عليها
السلام) وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الحين والآخر يشيد بفضائلها أمام
الآخرين، ويؤكد على أن رضاها (سلام الله عليها) من رضا الله وسخطها من سخطه.

عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن
علي، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) أنه قال: 'يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك'.

قال: فجاء صندل فقال لجعفر بن محمد (عليه السلام): 'إن هؤلاء الشباب
يجيئوننا عنك بأحاديث منكورة.'

فقال له جعفر (عليه السلام): 'وما ذاك يا صندل؟'

قال: 'جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة (عليها السلام)
ويرضى لرضاها.'

قال: فقال جعفر (عليه السلام): 'يا صندل أستم رويتم فيما تروون إن الله تبارك

(١) الأماشي للصدوق: ص ٤٨٦ المجلس الثالث والسبعون ح ١٨.

(٢) كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٦٧.

وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه.

قال بلى.

قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة (عليها السلام) مؤمنة يغضب الله لغضبها

ويرضى لرضاها.

قال: فقال ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١).

النبي يقبل فاطمة (عليها السلام)

عن حذيفة بن اليمان قال: دخلت عائشة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقبل فاطمة (صلوات الله عليها) وقالت: يا رسول الله أتقبلها وهي ذات بعل؟

فقال لها: «أما والله لو عرفت ودي لها لأزدت لها وداً، إنه لم أعرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل (عليه السلام) وأقام ميكائيل ثم قال لي: أذن قلت أؤذن، وأنت حاضر؟»

فقال: نعم إن الله عز وجل فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلت أنت خاصة يا محمد، فدنوت، فصليت بأهل السماء الرابعة، فلم اصرت إلى السماء السادسة إذا أنا بملك من نور على سرير من نور وحوله صف من الملائكة فسلمت عليه فدعاني السلام وهو متكئ، فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك سلم عليك حبيبي وخيرتي من خلقي، فرددت عليه السلام وأنت متكئ؟ فوعزتي وجلالي لتقومن ولتسلمن عليه ولا تقعدن إلى يوم القيامة، فقام الملك وعانقني ثم قال: ما أكرمك على رب العالمين.

(١) الأماشي للصدوق: ص ٣٨٣ المجلس الحادي والستون ح ١.

فلما صرت إلى الحجب نوديت ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ فألهمت وقلت ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾^(١) ثم أخذ جبرئيل (عليه السلام) بيدي فأدخلني الجنة وأنا مسرور، فإذا أنا بشجرة من نور مكللة بالنور في أصلها ملكان يطويان الحلبي والحلل إلى يوم القيامة، ثم تقدمت أمامي فإذا أنا بتفاح لم أر تفاحاً أعظم منه، فأخذت واحدة ففلقتها فخرجت عليّ منها حوراء كان أجنحتها مقادير أجنحة النسور، فقلت لمن أنت؟ فبكت وقالت: لابنك المقتول ظلماً الحسين بن علي بن أبي طالب.

ثم تقدمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها وأنا أشتهيها، فتحوّلت الرطبة نطفة في صليبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة صلوات الله عليها^(٢).

سيدة نساء العالمين

تظافرت الأخبار عن الخاصة والعامة بأن الصديقة الزهراء (عليها السلام) هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، ولم يشكك في مثل هذه المنقبة أحد حتى المخالفين، فعن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله تبارك وتعالى اختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة»^(٣).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «اشتقت الجنة إلى أربع من

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٧٥ ح ٤٩.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٢٢٥ ح ٥٨.

النساء: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وهي زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجنة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(١).

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأرض أربعة خطوط ثم قال: «أتدرون ما هذا؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٢).

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «مرحباً يا بنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت.

فقلت لها: حدثك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحديث فبكيت، ثم حدثك بحديث فضحكت، فما رأيت كالذيوم أقرب فرحاً من حزن من فرحك؟

فقلت: «ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

حتى أنه إذا قبض سألتها فقالت: «أسرَّ إليّ فقال: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنالك، فبكيت لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيده نساء هذه الأمة أو سيده نساء المؤمنين، فضحكت لذلك»^(٣).

(١) كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٣٤٥.

(٣) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٥١، مجلس في ذكر وفاة فاطمة (عليها السلام).

فاطمة (عليها السلام) في القرآن

مما يدل على عظم شأن الصديقة الزهراء (عليها السلام) وارتفاع مكانتها عند الله جل جلاله، هو نزول الكثير من آيات القرآن الكريم في شأنها، وأشادت العديد منها إلى فضائلها وخصالها الحميدة.

ففي الحديث عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى صلاة الفجر ثم استوى في محرابه كالبدري في تمامه، فقلنا: يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآية، قوله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾^(١).

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أما النبيون فأنا، وأما الصديقون فعلي بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين (عليهم السلام)». فنهض العباس من زاوية المسجد إلى بين يديه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا رسول الله أأنت وأنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «وما وراء ذلك يا عمّاه؟»

قال: لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم، ولم تشرفني حين شرفتهم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا عمّاه أمّا قولك أنا وأنت وعلي والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا عرش ولا جنة ولا نار، كنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقدّس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري ونوري من نور الله وأنا أفضل من العرش، ثم فتق نور ابن أبي

(١) سورة النساء: ٦٩.

طالب فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب ونور ابن أبي طالب من نور الله ونور ابن أبي طالب أفضل من الملائكة، وفتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السماوات والأرض، فنور السماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور فاطمة من نور الله وفاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحدود العين، فنور الجنة والحدود العين من نور الحسين ونور الحسين من نور الله والحسين أفضل من الجنة والحدود العين، ثم إن الله خلق الظلمة بالقدرة فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبوح قدوس ربنا مذعر فناهذه الأشباح ما رأينا سوءاً فبحرمتهم إلا كشفت ما نزل بنا. فهناك خلق الله تعالى قناديل الرحمة وعلقها على سرادق العرش. فقالت: إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟ فقال: هذا نور أمتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) فلذلك سميت أمتي الزهراء لأن السماوات والأرضين بنورها ظهرت، وهي ابنة نبيي وزوجة وصيي وحجتي على خلقي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة.

فعند ذلك نهض العباس إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقبّل ما بين عينيه وقال: يا علي لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلى يوم القيامة^(١).

عالمة آل محمد (عليهم السلام)

إن الصديقة الزهراء (عليها السلام) كانت عالمة بالعلم اللدني من الله فقد أوتيت

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٦٦ باح ٣، وللمزيد راجع كتاب فاطمة الزهراء (عليها السلام) في القرآن، لسماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه الوارف).

من العلم والمعرفة قدر ألا يضاهاها فيه أحد سوى والدها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعلمها أمير المؤمنين (عليه السلام).

كانت (سلام الله عليها) على قدر من المعرفة بحيث إنها تخبر عمّاهو كائن وما كان وما سيكون في المستقبل، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على سعة علمها (عليها السلام) وارتفاع مقامها.
فغن سلمان قال: حدّثني عمّار وقال: أخبرك عجباً.
قلت: حدّثني يا عمّار.

قال: نعم شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد ولج على فاطمة (عليها السلام) فلما أبصرت به نادته: ادن لأحدّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة.

قال عمّار: فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع القهقري^(١)، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
فقال له: ادن يا أبا الحسن.

فدنا، فلما اطمان به المجلس قال له: تحدّثني أم أحدّثك؟

قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله.

فقال: كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت فرجعت.

فقال علي (عليه السلام): نور فاطمة من نورنا.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أولا تعلم.

فسجد علي (عليه السلام) شكر الله تعالى.

قال عمّار: فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرجت بخروجه، فولج على

(١) القهقري: يتراجع على قفاه، كتاب (العين) مادة قهقر.

فاطمة (عليها السلام) وولجت معه ، فقالت : كأنك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه
وآله وسلم) فأخبرته بما قلته لك ؟
قال : كان كذلك يا فاطمة .

فقالت : اعلم يا أبا الحسن أن الله تعالى خلق نوري وكان يسبح الله جلّ جلاله ثم
أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت ، فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه
إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك ففعل ، فأودعني الله
سبحانه صلب أبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أودعني خديجة بنت خويلد
(عليها السلام) فوضعتني وأنا من ذلك النور ، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن ، يا
أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى (١) .

ومما يدل على عظيم علم الصديقة الزهراء (عليها السلام) خطبتها الغراء التي
ضمت بين طياتها العديد من الأحكام الشرعية وفلسفتها والكثير من المفاهيم
الغزيرة التي لا يدرك غورها إلا من أجهد نفسه من أجل فهمها .

كما كانت (عليها السلام) تعلم النساء المسائل الشرعية والمعارف الإسلامية ،
ففي الحديث المعروف الوارد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال :
حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت : إن لي والدة
ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك .
فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك .

فثنت ، فأجابت .

ثم ثلثت إلى أن عشت ، فأجابت .

ثم خجلت من الكثرة ، فقالت : لا أشق عليك يا ابنة رسول الله ؟

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨١ ح ١١ .

وسلم) بجمعه وترتيب سورته وآياته على هذا النحو الموجود، فجمع القرآن بهذه الكيفية الموجودة اليوم في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).
وقد كان هناك أيضاً مصحف لأم سلمة وعائشة وحفصة وغيرهن (٢).

الأمير يخطب الصديقة (عليها السلام)

عندما عرض بعض الأنصار على أمير المؤمنين (عليه السلام) الزواج من الصديقة الزهراء (عليها السلام) جاء (سلام الله عليه) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعرض عليه حاجته، فرحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً وأبدى استيناسه بطلب أمير المؤمنين (عليه السلام).

فعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال نفر من الأنصار لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): اخطب فاطمة (عليها السلام).

فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسلم عليه.

فقال له: ما حاجة علي بن أبي طالب؟

قال: يا رسول الله، ذكرت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال: مرحباً وأهلاً، لم يز دعليها.

فخرج عليّ أؤلئك الرهط من الأنصار وكانوا ينتظرونه، قالوا: ما وراءك؟

قال: ما أدري غير أنه قال: مرحباً وأهلاً.

قالوا: يكفيك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدهما، أعطاك الأهل

والرحب.

(١) للتفصيل انظر كتاب (متى جمع القرآن) للإمام المؤلف رحمته الله.

(٢) انظر فلاح السائل: ص ٩٤.

فلما كان بعد ذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي إنه لا بد للعرس من وليمة.

فقال سعد: عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار أصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء قال لعلي: لا تحدثن شيئاً حتى تلقاني.

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي (عليه السلام) وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبليهما. وقال ابن ناصر: في نسليهما^(١).

السَّهَاءُ تَزْوِجُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

على خلاف كل نساء العالم اللواتي يكون أمر زواجهن بيد آبائهن أو بيدهن خاصة كان أمر الصديقة الزهراء (عليها السلام) بيد الله تعالى فهو الذي اختار الكفؤ لها.

فقد ورد في الكثير من الأخبار أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن ردّ الكثير ممّن خطبوا الزهراء (عليها السلام) جاءه الأمر الإلهي بأن: زوج فاطمة من علي (عليهما السلام).

عن أنس قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيه الوحي، فلما أفاق قال لي: يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: أمرني أن أزوّج فاطمة من علي (عليهما السلام).

فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وبعدهم من

(١) كشف الغمّة: ج ١ ص ٣٦٥.

الأنصار.

قال: فانطلقت فدعوتهم له.

فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمرأ مفترضاً، وشبح بها الأرحام وألزمها الأنام، فقال تبارك اسمه وتعالى جدّه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١) فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، فلكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) ثم إنني أشهدكم أنني قد زوجت فاطمة من علي (عليهما السلام) على أربعمئة مثقال فضة إن رضي علي بذلك، وكان غائباً قد بعته رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حاجة.

ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطبق فيه بسر^(٣) فوضع بين أيديها ثم قال: انتهبوا، فبيننا نحن كذلك إذ أقبل علي (عليه السلام) فتبسّم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: يا علي إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة وقد زوجتكها على أربعمئة مثقال فضة أرضيت؟

قال: رضيت يا رسول الله.

ثم قام علي (عليه السلام) فخرّ لله ساجداً.

(١) سورة الفرقان: ٥٤.

(٢) سورة الرعد: ٣٩.

(٣) البُسْر: ثمر النخل قبل أن يرطب، (مجمع البحرين) مادة بسر.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): جعل الله فيكما الكثير الطيب وبارك فيكما.

قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب^(١).

وعن الضحّاك بن مزاحم، قال: سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: «أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت له فاطمة.

قال: فأنتيته، فلما رآني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضحك، ثم قال: ما جاء بك يا أبا الحسن وما حاجتك؟

قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي.

فقال: يا علي، صدقت، فأنت أفضل ممّا تذكر.

فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها؟

فقال: يا علي، إنه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتى أخرج إليك.

فدخل (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها فقامت إليه، فأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء، فوضأته بيدها وغسلت رجليه، ثم قعدت، فقال لها: يا فاطمة.

فقلت: لبيك، حاجتك يا رسول الله؟

قال: إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربي أن يزوجه خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟

(١) كشف الغمّة: ج١ ص٣٤٨.

فسكتت ولم تولّ وجهاً ولم يرفيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتهما إقرارها، فأتاه جبرئيل (عليه السلام)، فقال: يا محمد، زوجها علي بن أبي طالب، فإن الله قد رضيها له ورضيه لها.

قال علي (عليه السلام): فزوّجني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم أتاني فأخذ بيدي، فقال: «قم بسم الله، وقل على بركة الله، وما شاء الله، لا قوة إلا بالله، توكلت على الله».

ثم جاءني حين أقعدني عندها (عليها السلام)، ثم قال: «اللهم إنهما أحبّ خلقك إليّ فأحبّهما، وبارك في ذريتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أعيذهما وذريتهما بك من الشيطان الرجيم»^(١).

والمستفاد من بعض الأخبار أنه لولا علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن للصدّيقة الزهراء (عليها السلام) كفؤاً أبداً^(٢).

الله زوجها (عليها السلام) من علي (عليه السلام)

عن ابن عباس وأنس بن مالك قالوا: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس إذ جاء علي، فقال: يا علي ما جاء بك؟ قال: جئت أسلم عليك.

قال: هذا جبرئيل يخبرني أن الله زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك، وأوحى الله إلي شجرة طوبى أن انثري عليهم الدرّ والياقوت، فنثرت عليهم الدرّ والياقوت فابتدرن إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدرّ والياقوت وهنّ يتهادينّه بينهن إلى يوم القيامة، وكانوا يتهادون ويقولون: هذه تحفة خير

(١) الأماشي للطوسي: ص ٣٩ المجلس ٢ ح ٤٣.

(٢) راجع تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٤٧٠ ب ٤١ ح ٩٠.

النساء (١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أتاني ملك، فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملاء الأعلى، فزوجها منه في الأرض» (٢).

وعن أنس قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيته الوحي، فلمّا أفاق قال لي: «يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل من عند صاحب العرش؟» قلت: الله ورسوله أعلم.
قال: «أمرني أن أزوّج فاطمة من علي» (٣).

راحيل يخطب في أهل السماوات

وقد خطب الملك (راحيل) يوم تزويج الصديقة الزهراء (عليها السلام) خطبة بليغة أشار فيها إلى اختيار الباري تعالى أمير المؤمنين (عليه السلام) للسيدة الزهراء (عليها السلام) فقال:

«الحمد لله الأول قبل أولية الأولين، الباقي بعد فناء الباقي، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، وبروبيته مذعنين، وله على ما أنعم علينا شاكرين، حجبنا من الذنوب وسترنا من العيوب، وأسكننا في السماوات، وقربنا إلى السرادات، وحجب عنا النهم للشهوات، وجعل نهمتنا وشهو تنافي تهليله وتسبيحه، الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٤٦.

(٢) صحيفة الرضا (عليه السلام): ص ٩٤ ح ٣٢.

(٣) كشف الغمّة: ج ١ ص ٣٤٨.

بعظمته عن إفك الملحدين، أنذرنا بأسه وعرفنا سلطانه، توحد فعلاً في الملكوت الأعلى، واحتجب عن الأبصار، وأظلم نور عزته الأنوار، وكان من إسباغ نعمته وإتمام قضيته أن ركب الشهوات في بني آدم وخصهم بالأمر اللازم، ينشر لهم الأولاد وينشئ لهم البلاد، فجعل الحياة سبيل ألفتهم والموت غاية فرقتهم، وإلى الله المصير، اختار الملك الجبار صفوة كرمه وعظمته لأمتة سيده النساء، بنت خير النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين، صاحب المقام المحمود واليوم المشهود والحوض المورود، فوصل حبلة بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدق دعوته، المبادر إلى كلمته، علي الوصول بفاطمة البتول بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال الله عز وجل: زوجت عبدي من أمتي فاشهدوا ملامتكتي^(١).

خطبة الإمام علي (عليه السلام)

وفي نفس مجلس العقد خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخطبة شريفة، ثم قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): تكلم خطيباً لنفسك. فقال (عليه السلام): الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائله، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، ومميتة ومحبيه، ومسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه، وأن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة تزلفه وتحظيه وترفعه وتصطفيه، والنكاح ما أمر الله به ويرضيه، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه، وهذا رسول الله زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٩٩ ب ٣٣ ح ١٦٥١٧.

مهر فاطمة (عليها السلام)

في الروايات الكثيرة أن قلة المهر دليل على خير المرأة وبركتها، وكان مهر الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كذلك، فالمشهور على أن مهرها خمسمائة درهم فقط، كما سبق.

وفي بعض الروايات أنه ثلاثون درهماً، ولا يستبعد ذلك.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً فاطمة (عليهما السلام) على درع حطمية يساوي ثلاثين درهماً^(٢) وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: كان صداق فاطمة (عليها السلام) جرد برد حبرة ودرع حطمية وكان فراشها إهاب كبش يلقيانه ويفرشانه وينامان عليه^(٣).

وأما المهر المعنوي فقد جعله الله الشفاعة للمذنبين من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من شيعة علي وأولاده الطاهرين (عليهم السلام). فعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة (عليها السلام) ربع الدنيا فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار تدخل أعداءها النار وتدخل أولياءها الجنة، وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى^(٤)».

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٥٠.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣٧٧ باب ما تزوج عليه أمير المؤمنين فاطمة (عليهما السلام) ح ٢ و ٤.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٧٨ باب ما تزوج عليه أمير المؤمنين فاطمة (عليهما السلام) ح ٥.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٦٨٦ المجلس ٣٦ ح ١٣٩٩.

الإمام يتباهى بالزهراء (عليهما السلام)

لقد فضل الله أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) على من سواه بكل شيء، وفاق الناس فضلاً وعلماً ومرتبة إلا ابن عمه النبي الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

بل إنه (عليه السلام) في بعض الأمور اختص بخصائص لم تكن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، وهذا لا يدل على شرافته عليه كما هو واضح، وإنما هي خصائص انفرد بها الإمام (عليه السلام).

وقد أشار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه إلى بعض هذه الخصائص، فقال:

«يا علي أعطيت ثلاثاً لم أعطها: أعطيت صهرًا مثلي، وأعطيت مثل زوجتك فاطمة (عليها السلام)، وأعطيت مثل ولدك الحسن والحسين (عليهما السلام)» النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «يا علي لك أشياء ليست لي منها: إن لك زوجة مثل فاطمة (عليها السلام) وليس لي مثلها، ولك ولدان من صلبك وليس لي مثلهما من صربي، ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة، ولك صهر مثلي وليس لي صهر مثلي، ولك أخ في النسب مثل جعفر وليس لي مثله في النسب، ولك أم مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة وليس لي مثلها»^(١).

نعم، فقد أختص أمير المؤمنين (عليه السلام) بتزويجه من الزهراء (عليها السلام) وبقي (عليه السلام) يتباهى بمثل هذه الخصلة، فمن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية قال فيه:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٧٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٧٠.

(رحمه الله) ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب». قال (عليه السلام):

محمد النبي أخي وصنوي
وجعفر الذي يمسي ويضحى
و بنت محمد سكني وعرسي
و حمزة سيد الشهداء عمي
يطير مع الملائكة ابن أمي
منوط لحمها بدمي ولحمي^(١)

تربية الحسنين (عليهما السلام)

من الواضح أن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أدبهم الله تعالى وأحسن تربيتهم، ففي الحديث أنه قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أدبك؟ قال: «أدبني ربي».

وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٢).

بالإضافة إلى ذلك فإن المعصومين (عليهم السلام) كانوا يؤدبون أولادهم وذويهم، فكل إمام يأخذ العلم ممن كان قبله أيضاً، فأمر المؤمنين والسيدة الزهراء (عليهما السلام) تأدباً بآداب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أن الحسنين (عليهما السلام) تأدباً بآداب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة وأمير المؤمنين (عليهما السلام).

وكانت الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) تبذل جهدها في تربية وتعليم الحسنين وسائر أولادها (عليهم السلام) بالتربية الإيمانية والإسلامية التي تليق

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٣٨ ح ١١.

(٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٩٧ ح ٩٧٨٥، وبحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٢.

بالمعصومين وذويهم منذ الصغر.

ففي التاريخ: أن الحسن بن علي (عليه السلام) كان يحضر مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، وكلما دخل علي (عليه السلام) وجد عندها علماً بالتنزيل فيسألها عن ذلك؟

فقلت: من ولدك الحسن.

فتخفي يوماً في الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فارتجّ عليه، فعجبت أمه من ذلك، فقال: لا تعجبين يا أمّاه فإنّ كبيراً يسمعني، فاستماعه قد أوقفني.

فخرج علي (عليه السلام) فقبّله.

وفي رواية قال: (رحمه الله) يا أمّاه قلّ بياني وكلّ لساني لعلّ سيّداً يرعاني»^(١).

الذرية الطاهرة

إن الله تعالى قد وهب الصديقة الطاهرة (عليها السلام) تلك الذرية المباركة، حيث جعل منها الأئمة المعصومين الأطهار (عليهم السلام) وهذا خير دليل على شرافتها.

عن سلمان الفارسي أنه قال: دخلت على فاطمة (عليها السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام) يلعبان بين يديها، ففرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزادهم حباً.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٣٨ ح ١١.

فقال: يا سلمان ليلة أسري بي إلى السماء أدارني جبرئيل في سماواته وجنّاته ،
فبينما أنا أدور قصورها ويساتينها ومقاصيرها^(١) إذ شممت رائحة طيبة فأعجبتني
تلك الرائحة ، فقلت: يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنة كلّها؟
فقال: يا محمد تفاحة خلقها الله تبارك وتعالى بيده^(٢) منذ ثلاثمائة ألف عام ما
ندري ما يريد بها.

فبينما أنا كذلك إذ رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة ، فقالوا: يا محمد ربنا
السلام يقرأ عليك السلام وقد أتحنفك بهذه التفاحة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فأخذت تلك التفاحة فوضعتها تحت
جناح جبرئيل فلما هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفاحة فجمع الله ماءها في
ظهري فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة من ماء تلك التفاحة ، فأوحى
الله عزّ وجلّ إليّ أن قد ولد لك حوراء إنسية فزوّج النور من النور ، فاطمة من علي ،
فإني قد زوجتها في السماء وجعلت خمس الأرض مهرها ، وستخرج فيما بينهما
ذرية طيبة وهما سراجا الجنة الحسن والحسين ، ويخرج من صلب الحسين أئمة
يُقتلون ويُخذلون فالويل لقاتلهم وخاذلهم^(٣).

وفي خبر طويل نذكر محل الحاجة منه ، قال هارون العباسي للإمام
الكاظم (عليه السلام): أريد أن أسألك عن العباس وعلي ، بم صار علي أولى
بميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من العباس والعباس عم رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنو أبيه؟
فقال له موسى (عليه السلام): اعفني.

(١) مقاصير: نواحي ، (لسان العرب) مادة قصر.

(٢) اليد: القدرة ، (لسان العرب) مادة يدي.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٢٤٠.

قال: والله لا أعفيتك فأجيني.

قال: فإن لم تعفني فأمني.

قال: آمنتك.

قال موسى (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، إن أباك العباس آمن ولم يهاجر، وإن علياً (عليه السلام) آمن وهاجر وقال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾^(١).

فالتمع^(٢) لون هارون وتغير وقال: مالكم لا تنسبون إلى علي (عليه السلام) هو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جدكم؟

فقال موسى (عليه السلام): «إن الله نسب المسيح عيسى ابن مريم (عليها السلام) إلى خليله إبراهيم (عليه السلام) بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسهَا بشر في قوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) وزكرياً ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين»^(٤) فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم (عليه السلام) كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون (عليهم السلام) بأبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى (عليه السلام) ومنزلة رفيعة بأمه وحدها، وذلك قوله في قصة مريم (عليها السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) بالمسيح من غير بشر، وكذلك اصطفتى ربنا فاطمة (عليها السلام) وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) التمع لونه: ذهب وتغير، (لسان العرب) مادة لمع.

(٣) سورة الأنعام: ٨٤-٨٥.

(٤) سورة آل عمران: ٤٢.

تسبيح فاطمة (عليها السلام)

ومن الخصائص المهمة التي اختصت بها الصديقة الزهراء (عليها السلام) هو تسبيحها المعروف الذي أتخفها به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أشار عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) أن تذهب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وتستخدمه إحدى الجوارى، فعلمها إيّاه.

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أهدى بعض ملوك الأعاجم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رقيقاً، فقلت لفاطمة (عليها السلام): اذهبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستخدميه خادماً، فأتته فسألته ذلك... فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم ومن الدنيا بما فيها، تكبرين الله بعد كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، فذلك خير لك من الذي أردت ومن الدنيا بما فيها، فلزمت (عليها السلام) هذا التسبيح بعد كل صلاة ونسب إليها^(٢).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة (عليها السلام) ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة (عليها السلام)»،^(٣).

وروي عن محمد بن مسلم أنه قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن التسبيح،

(١) تحف العقول: ص ٤٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٥ ب ٦ ح ٥٣٠٢.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ١٠٥ ب ٨ ح ١٦٦.

فقال: «ما علمت شيئاً موظفاً غير تسبيح فاطمة (عليها السلام)، وعشر مرّات بعد الفجر تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، ويسبح ما شاء تطوّعاً»^(١).

وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «من سبح تسبيح الزهراء (عليها السلام) ثم استغفر، غفر له، وهي مائة باللسان وألف في الميزان وتطرّد الشيطان وترضي الرحمن»^(٢).

وروي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عنّي وعن فاطمة الزهراء؟ إنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت^(٣) يدها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت^(٤) ثيابها، فأصابها من ذلك ضرٌّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أبك فسألته خادماً يكفيك حرماً أنت فيه من هذا العمل؟

فأتت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدت عنه حداً فاستحيت فانصرفت. فعلم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها قد جاءت لحاجة فغدا علينا ونحن في لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا المكانا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا.

ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا أنصرف.

فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله أدخل.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٣٣ باب القول عند الإصباح والإمساء ح ٣٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٤٤٢ ب ٨ ح ٨٣٩٢.

(٣) مجلّت: أي خشنت وتخن جلدّها وتعجّر وظهر فيها ما يشبه البشر، (لسان العرب) مادة مجل.

(٤) دكنت: أي اغبرّت، (مجمع البحرين) مادة دكن.

فجلس عند رؤوسنا، ثم قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟
فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، قال: فأخرجت رأسي، فقلت: أنا والله أخبرك يا
رسول الله، أنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت
يدها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت
ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أبك فسألتيه خادماً يكفيك حرّاً ما أنت فيه من هذا العمل.
قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكم من الخادم؟ إذا أخذتما منا كما فسبّحاً ثلاثاً
وثلاثين تسبيحة، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبّراً أربعاً وثلاثين.

قال: فأخرجت فاطمة (عليها السلام) رأسها، فقالت: رضيت عن الله ورسوله
ورضيت عن الله ورسوله^(١).

وعن أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (رحمه الله) يا أبا
هارون إننا أمر صبياننا بتسبيح فاطمة (عليها السلام) كما نأمرهم بالصلاة فالزمه
فإنه لم يلزمه عبد فشقي^(٢).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: (رحمه
الله) من سبح تسبيح فاطمة (عليها السلام) في دبر المكتوبة من قبل أن يبسط رجله
أوجب الله له الجنة^(٣).

إنفاق الزهراء (عليها السلام)

لقد كان بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) والصدّيقة الزهراء (عليها السلام)
ملجأً وملاذاً للفقراء والمحتاجين الذين لا معين لهم ولا عائل يقضي حوائجهم

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٢ ح ٩٤٧.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٣٤٣ باب التعقيب بعد الصلاة والدعاء ح ١٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٤ ب ٦ ح ٥٢٩٨.

ويسدّ احتياجاتهم المختلفة.

فبين الحين والآخر كان الفقراء يلوذون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويلتمسون منه يد العون، وكثيراً ما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحولهم على دار أمير المؤمنين (عليه السلام) لعلمه الراسخ بأن كل من يطرق هذه الدار لا يعود خائباً خالي اليدين، وإنما يعود بحوائج مقضية، والقصاص الدالة على ذلك كثيرة منها:

ما عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: صلّى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة العصر فلما انفتل^(١) جلس في قبلته والناس حوله، فبيناهم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب، سمل^(٢) قد تهلّل واختلق وهو لا يكاد يتمالك ضعفاً وكبراً.

فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستجليه الخبر.

فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فأكسني، وفقير فارشيني.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أجلك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة (عليها السلام) - وكان بيتها ملاصقاً بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ينفر دبه لنفسه من أزواجه - يا بلال! قم فقف به على منزل فاطمة (عليها السلام).

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة ومهبط جبرئيل الروح الأمين

(١) انفتل: انصرف، (لسان العرب) مادة فتل.

(٢) السمل: الثوب الخلق، كتاب (العين) مادة سمل.

بالتنزيل من عند ربّ العالمين.

فقال فاطمة (عليها السلام): من أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر، مهاجراً من شقة وأنا يا بنت محمد عاري الجسد جائع الكبد، فواسيني رحمك الله.

وكان لفاطمة وعلي (عليهما السلام) في تلك الحال ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك من شأنهما.

فعمدت فاطمة (عليها السلام) إلى جلد الكبش مدبوغ بالقرض كان ينام عليه الحسن والحسين (عليهما السلام)، فقالت: خذ هذا أيها الطارق فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه.

فقال الأعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش، ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت (عليها السلام) لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي، فقالت: خذه وبعه فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد وقالت: بعه فعسى أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: لا كيف يصنع الله لك وقد أعطتك فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم.

فقام عمار بن ياسر (رحمه الله) فقال: يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): اشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم

الله بالنار.

فقال عمّار: بكم هذا العقد يا أعرابي؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتني وأصلي فيها لربي
ودينار يبلغني إلى أهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من
خيبر ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية وبردة يمانية
وراحلتي تبلغك إلى أهلك وشبعة من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال.

وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أشبعت واكتسيت؟

قال الأعرابي: نعم يا رسول الله واستغنيت بأبي أنت وأمّي.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فاجز فاطمة (عليها السلام) بصنيعها.

فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك وأنت رازقنا
على كل الجهات، اللهم أعط فاطمة (عليها السلام) ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فأمّن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على دعائه وأقبل على أصحابه، فقال: إنّ
الله قد أعطى فاطمة (عليها السلام) في الدنيا ذلك، أنا أبوها وما أحد من العالمين
مثلي، وعلي (عليه السلام) بعلمها ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبداً، وأعطاهما
الحسن والحسين (عليهما السلام) وما للعالمين مثلهما سيداً شباب أسباط الأنبياء
وسيدا أهل الجنة.

وكان بإزائه (صلى الله عليه وآله وسلم) المقداد وابن عمر وعمار وسلمان، فقال:

وأزيدكم؟

فقالوا: نعم يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أتاني الروح الأمين يعني جبرئيل (عليه السلام) وقال: إنها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها من ربك؟

فتقول: الله ربي.

فيقولان: من نبيك؟

فتقول: أبي.

فيقولان: فمن وليك؟

فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب.

ألا وأزيدكم من فضلها، إن الله قد وكل بها رعيلاً^(١) من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها بعد موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما.

فعمد عمار إلى العقد وطيبه بالمسك ولفه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت له. فأخذ العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره بقول عمار (رحمه الله).

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): انطلق إلى فاطمة (عليها السلام) فادفع

(١) الرعييل أي: الجماعة، كتاب (العين) مادة رعل.

إليها العقد وأنت لها.

فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
فأخذت فاطمة (عليها السلام) العقد وأعتقت المملوك.
فضحك الغلام.

فقالت فاطمة (عليها السلام): ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكساعرياناً وأغنى فقيراً
وأعتق عبداً ورجع إلى ربّه^(١).

من أدعية الصديقة فاطمة (عليها السلام)

هجر الكثير من المسلمين أو منعوا - ولأسباب غير خفية - من بيت علي وفاطمة
(عليهما السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد بقي سلمان المحمدي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معتزلاً
عن الخلق حتى أرسلت خلفه الزهراء (عليها السلام) فزارها، وشاهد من كراماتها
العجبية ما جعله يتيقن أكثر بعلو منزلتها وارتفاع شأنها (عليها السلام).

فعن عبد الله بن سلمان الفارسي عن أبيه قال: خرجت من منزلي يوماً بعد وفاة
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعشرة أيام، فلقيني علي بن أبي طالب (عليه
السلام) ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لي: يا سلمان جفوتنا بعد
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت: حبيبي أبا الحسن مثلكم لا يجفئ، غير أن حزني على رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) طال، فهو الذي منعني من زيارتكم.

(١) بشارة المصطفى: ص ١٣٧.

فقال (عليه السلام) لي: يا سلمان أئت منزل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها إليك مشتاق، تريد أن تتحفك بتحفة قد أتحت بها من الجنة.

قلت لعلي (عليه السلام): قد أتحت فاطمة (عليها السلام) بشيء من الجنة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال: نعم بالأمس.

قال سلمان الفارسي: فهورلت إلى منزل فاطمة (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

ثم قالت: يا سلمان جفوتني بعد وفاة أبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قلت: حبيبتي لم أجفكم.

قالت: فمه أجلس واعقل ما أقول لك، إني كنت جالسة بالأمس في هذا المجلس وباب الدار مغلق وأنا أتفكر في انقطاع الوحي عنا وانصراف الملائكة عن منزلنا، فإذا انفتح الباب من غير أن يفتحه أحد فدخل عليّ ثلاث جوار لم ير الراؤون بحسنهن ولا كهيئتهن ولا نضارة وجوههن ولا أزكى من ريحهن، فلما رأيتهن قمت إليهن مستنكرة لهن، فقلت: بأبي أنتن من أهل مكة أم من أهل المدينة؟

فقلن: يا بنت محمد لسننا من أهل مكة ولا من أهل المدينة، ولا من أهل الأرض جميعاً، غير أننا جوار من الحور العين من دار السلام، أرسلنا رب العزة إليك يا بنت محمد أنا إليك مشتاقات.

فقلت للتي أظن أنها أكبر سنّاً: ما اسمك؟

قالت: اسمي مقدودة.

قلت: ولم سميت مقدودة؟

قالت: خلقت للمقداد بن الأسود الكندي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسميت باسمه.

قلت للثانية: ما اسمك؟

قالت: ذرّة.

قلت: ولم سمّيت ذرّة وأنت في عيني نبيلة؟

قالت: خلقت لأبي ذر الغفاري صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت للثالثة: ما اسمك؟

قالت: سلمى.

قلت: ولم سمّيت سلمى؟

قالت: أنا لسلمان الفارسي مولى أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قالت فاطمة: ثم أخرجني لي رطباً أزرق كأمثال الخشكناج^(١) الكبار، أبيض من الثلج وأزكى ريحاً من المسك الأذفر، فقالت لي: يا سلمان أفطر عليه عشيتك فإذا كان غداً فجئني بنواة أو قالت: عجمه.

قال سلمان: فأخذت الرطب فماررت بجمع من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا قالوا: يا سلمان أمعك مسك؟

قلت: نعم.

فلما كان وقت الإفطار أفطرت عليه فلم أجده، فمضيت إلى بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اليوم الثاني، فقلت لها (عليها السلام): إنني أفطرت على ما أتحدثني به، فما وجدت له عجماً ولا نوى.

قالت: يا سلمان ولن يكن له عجم ولا نوى، وإنما هو من نخل غرسه الله في دار السلام، ألا أعلمك بكلام علمنيه أبي، محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كنت أقوله غدوة وعشية؟

(١) الخشكناج: معرّب من خشك نانك وهو خبز يعمل من دقيق البر ويعجن بزيت السمسم.

قال سلمان: قلت علميني الكلام يا سيدتي.

فقالت: إن سرّك أن لا يمسّك أذى الحمّى ما عشت في دار الدنيا فواظب عليه.

ثم قال سلمان: علميني هذا الحرز.

قالت: «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق منشور، بقدر مقدور، على نبي محبوب، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين».

قال سلمان: فتعلّمتهنّ فوالله ولقد علّمتهنّ أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكّة ممّن بهم علل الحمّى فكل بريء من مرضه بإذن الله تعالى^(١).

إيثار الصديقة الطاهرة (عليها السلام)

كانت الصديقة الزهراء (سلام الله عليها) مضرباً للمثل في التفاني في ذات الله تعالى حتى أنها (عليها السلام) أرخصت كل ما تملك من أجل إقامة كلمة الإسلام وترسيخ دعائم الدين القويمة.

ولذا فإنها (عليها السلام) كانت تؤثر بكل شيء من أجل إعلاء راية الدين خفاقة وليبقى ذكر الله تعالى عالياً في كل مكان وعلى مرّ العصور.

ففي التاريخ أنه جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء.

(١) مهج الدعوات: ص ٥.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من لهذا الرجل الليلة؟
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا يا رسول الله، فأتى فاطمة (عليها السلام)
وسألها ما عندك يا بنت رسول الله؟
فقلت: ما عندنا إلا قوت الصبية لكننا نؤثر ضيفنا به.

فقال (عليه السلام): يا بنت محمد نومي الصبية وأطفئي المصباح وجعلا
يمضغان بألسنتهما، فلما فرغ من الأكل، أتت فاطمة (عليها السلام) بسراج
فوجدت الجفنة^(١) مملوءة من فضل الله.

فلما أصبح صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما سلم النبي (صلى
الله عليه وآله وسلم) من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وبكى بكاءً
شديداً وقال: يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة أقرأ ﴿وَيُؤْتُونَ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢) أي مجاعة^(٣).

نزول سورة الإنسان

عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) قال: مرض
الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضاً شديداً، فعادهما سيد ولد آدم
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن عافى الله ولدي مما بهما صمت الله ثلاثة
أيام متواليات.

وقالت فاطمة (عليها السلام) مثل مقالة علي (عليه السلام).

(١) الجفنة: أعظم ما يكون من القصاص، (لسان العرب) مادة جفن.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢١٤ باب استحباب الإيثار ح ٨٠٧٣.

وكانت لهم جارية نوبية تدعى (فضة) قالت: إن عافى الله سيدي مما بهما صمت
لله ثلاثة أيام.

فلما عافى الله الغلامين مما بهما انطلق علي (عليه السلام) إلى جار يهودي يقال
له: شمعون بن حاراء، فقال له: يا شمعون أعطني ثلاثة أصيغ من شعير وجزءة^(١) من
صوف تغزله لك ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأعطاه اليهودي الشعير والصوف، فانطلق إلى منزل فاطمة (عليها السلام).

فقال لها: يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلي هذا واغزلي هذا،
فباتوا وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا قامت الجارية إلى صاع من الشعير وعجنته
وخبزت منه خمسة أقراص قرص لعلي وقرص لفاطمة وقرص للحسن وقرص
للحسين (عليهم السلام) وقرص للجارية.

وإنّ علياً (عليه السلام) صلّى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أقبل إلى
منزله ليفطر، فلما أن وضع بين أيديهم الطعام وأرادوا أكله، فإذا سائل قد قام
بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين
المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فألقي علي (عليه السلام) وألقى القوم من أيديهم الطعام، وأنشأ علي بن أبي
طالب (عليه السلام) هذه الأبيات:

يا بنت خير الناس أجمعين فاطم ذات الودّ واليقين
قد جاء الباب له حنين أما ترين البائس المسكين
يشكو إلينا جائع حزين يشكو إلى الله ويستكين
من يفعل الخير يقف سمين كل امرئ بكسبه رهين

(١) جزءة: أي صوف الشاة، (لسان العرب) مادة جزز.

حرمت الجنة على الضنين ويدخل الجنة آمنين
ويخرج منها إن خرج بعد حين يهوي من النار إلى سجين
قال: فأنشأت فاطمة (عليها السلام) وهي تقول:

ما بي من لؤم ولا ضراعة أمرك يا بن العم سمع طاعة
غديت بالبر له صناعة أمط عني اللؤم والرقاعة
أرجو إن أطعمت من مجاعة إنني سأعطيه ولا أنهيه ساعة
وأدخل الجنة لي شفاة أن ألحق الأخيار والجماعة
فأعطوه طعامهم وباتوا على صومهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما أمسوا قامت الجارية إلى الصاع الثاني فعجنته وخبزت منه أقراصاً، وإن
علياً (عليه السلام) صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أقبل إلى منزله
ليفطر، فلما وضع بين أيديهم الطعام وأرادوا أكله إذا يتيم قد قام بالباب، فقال:
السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطمعوني أطمعكم
الله من موائد الجنة.

قال: فألقى علي (عليه السلام) وألقى القوم من بين أيديهم الطعام، وأنشأ علي
بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول:

بنت نبي ليس بالزنيم فاطم بنت السيد الكريم
ومن يسلم فهو السليم قد جاءنا الله بذي اليتيم
لا يجوز على الصراط المستقيم حرمت الجنة على اللئيم
فصاحب البخل يقف ذميم طعامه الضريع في الجحيم

قال: فأنشأت فاطمة (عليها السلام) وهي تقول هذه الأبيات:

وأوتر الله على عيالي إنني سأعطيه ولا أبالي
أرجو بذاك الفوز في المال وأقض هذا الغزل في الأغزال
ويكفني همّي في أطفالي أن يقبل الله وينمي مالي
أصغرهم يقتل في القتال أمسوا جياً وهم أشبالي
لقاتليه الويل مع وبال بكربلاء يقتل باغتيال
كبؤله زادت على الأقبال يهوى في النار إلى سفال

قال: فأعطوا طعامهم وباتوا على صومهم ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً.
فلما أمسوا قامت الجارية إلى الصاع الثالث فعجنته وخبزت منه خمسة
أقراص ، وإنّ علياً (عليه السلام) صلّى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أقبل
إلى منزله يريد أن يفطر ، فلما وضع بين أيديهم الطعام وأردوا أكله فإذا أسير كافر
قد قام بالباب ، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد والله ما أنصفتُمونا من
أنفسكم ، تأسرونا وتقيّدونا ولا تطعمونا ، أطمعوني فإني أسير محمد (صلى الله
عليه وآله وسلم).

فألقي علي (عليه السلام) وألقى القوم من بين أيديهم الطعام.

فأنشأ علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذه الأبيات وهو يقول:

يا بنت من سمّاه الله فهو محمد يا فاطمة حبيبتي وبنت أحمد
قد جاءنا الله بذي المقيد قد زانه الله بخلق أغيد
من يطعم اليوم يجده في غد بالقيد مأسور فليس يهتدي
وما زرعه الزارعون يحصد عند الإله الواحد الموحد
ثم اطلبني خزائن التي لم تنفد أعطيه ولا تجعليه أنكد

قال: فأنشأت فاطمة (عليها السلام) وهي تقول:

يا بنت من سمّاه الله فهو محمد يا فاطمة حبيبتي وبنت أحمد
قد دبّرت الكف مع الذراع يا بن عم لم يبق إلا صاع
يا ربّ لا تتركهما ضياع ابني والله هما جياع
قد يصنع الخير بابتداع أبوهما للخير صناع
وما على رأسي من قناع عبل الذراعين شديد الباع
إلا قناع نسجه نساع

قال: فأعطوه طعامهم وبتوا على صومهم ولم يذوقوا إلا الماء، فأصبحوا وقد قضى الله عليهم نذرهم، وإنّ علياً (عليه السلام) أخذ بيد الغلامين وهما كالفرخين لا ريش لهما يترجّجان من الجوع، فانطلق بهما إلى منزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلمّا نظر إليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اغرورقت عيناه بالدموع وأخذ بيد الغلامين، فانطلق بها إلى منزل فاطمة (عليها السلام)، فلمّا نظر إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تغيّر لونها وإذا بطنها لا تصق بظهرها انكبّ عليها يقبّل بين عينيها، ونادته باكية: واغوثاه بالله ثم بك يا رسول الله من الجوع.

قال: فرفع رأسه إلى السماء وهو يقول: «اللهم أشبع آل محمد».

فهبط جبرئيل (عليه السلام)، فقال: يا محمد اقرأ.

قال: وما اقرأ؟

قال: اقرأ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ إلى آخر ثلاث آيات (١).

(١) سورة الإنسان: ٥-٧.

ثم إن علياً (عليه السلام) مضى من فور ذلك حتى أتى أبا جبلة الأنصاري، فقال له: يا أبا جبلة هل من قرض دينار؟

قال: نعم يا أبا الحسن أشهد الله وملائكته أن أكثر مالي لك حلال من الله ومن رسوله.

قال: لا حاجة لي في شيء من ذلك إن يك قرصاً قبلته.

قال: فرفع إليه ديناراً.

ومر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يتخرق أزقة المدينة لبيبتاع بالدينار طعاماً، فإذا هو بمقداد بن الأسود الكندي قاعد على الطريق فدنا منه وسلم عليه وقال: يا مقداد مالي أراك في هذا الموضع كئيباً حزيناً؟

فقال أقول: كما قال العبد الصالح موسى بن عمران (عليه السلام): ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير.

قال ومنذ كم يا مقداد؟

قال: هذا أربع.

فرجع علي (عليه السلام) ملياً ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ ثلاث وأنت يا مقداد منذ أربع، أنت أحق بالدينار مني.

قال: فدفع إليه الدينار ومضى حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجده، فلما انفتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرب بيده إلى كتفه ثم قال: يا علي انهض بنا إلى منزلك لعلنا نصيب به طعاماً، فقد بلغنا أخذك الدينار من أبي جبلة.

قال: فمضى وعلي (عليه السلام) يستحي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وربط على بطنه حجراً من الجوع حتى قرع على فاطمة الباب.

فلما نظرت فاطمة (عليها السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد

أثر الجوع في وجهه ولّت هاربة قالت: واسوأ تأته من الله ومن رسوله، كأن أبا الحسن ما علم أن ليس عندنا مذ ثلاث، ثم دخلت مخدعاً لها فصلت ركعتين ثم نادى: يا إله محمد هذا محمد نبيك وفاطمة بنت نبيك وعلي ختن نبيك وابن عمّه وهذا الحسن والحسين سبطي نبيك، اللهم فإن بني إسرائيل سألوك أن تنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلتها عليهم وكفروا بها، اللهم فإن آل محمد لا يكفروا بها، ثم التفتت مسلمة فإذا هي بصحفة^(١) مملوءة ثريد ومرق فاحتلمتها ووضعتها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأهوى بيده إلى الصحيفة فسبّحت الصحيفة والثريد والمرق فتلا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٢) ثم قال: كلوا من جوانب القصعة ولا تهدموا صومعتها فإن فيها البركة.

فأكل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل وينظر إلى علي (عليه السلام) متبسّماً، وعلي (عليه السلام) يأكل وينظر إلى فاطمة (عليها السلام) متعجباً، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): كل يا علي ولا تسأل فاطمة عن شيء، الحمد لله الذي جعل مثلك ومثلها مثل مريم بنت عمران وزكريا (عليهما السلام) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣)، يا علي هذا بالدينار الذي أقرضته، لقد أعطاك الله الليلة خمسة وعشرين جزءاً من المعروف، فأما جزء واحد فجعل لك في دنياك أن أطعمك من جنته، وأما أربعة وعشرون جزءاً

(١) الصحيفة: القصعة الكبيرة، (مجمع البحرين) مادة صحف.

(٢) سورة الإسراء: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ٣٧.

الزهاء تودع أباهما (عليهما السلام)

قال سلمان: بينا أنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه الذي قبض فيه، إذ دخلت عليه فاطمة (عليها السلام) فلما رأت ما به (صلى الله عليه وآله وسلم) خنقتها العبرة حتى فاضت دموعها على خديها، فأبصر ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ما يبكيك يا بنيّة، أقر الله عينك ولا أبكاها؟ قالت (عليه السلام): وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بك من الضعف؟ فمن لنا بعدك يا رسول الله؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها (عليها السلام): يا فاطمة لكم الله فتوكلي عليه واصبري كما صبر أبؤك من الأنبياء، وأمّهاتك من أزواجهم، ألا أبشرك يا فاطمة؟

قالت (عليها السلام): بلى يا أبه.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما علمت أن الله تعالى اختار أباك فجعله نبياً، وبعثه إلى كافة الخلق رسولاً، ثم اختار علياً فأمرني فزوّجتك إياه، واتخذته بأمر ربّي وزيراً ووصياً، يا فاطمة إنّ علياً أعظم المسلمين على المسلمين بعدي حقاً، وأقدمهم سلماً، وأعزهم خطراً، وأجملهم خلقاً، وأشدّهم في الله وفي غضباً، وأعلمهم علماً، وأحلمهم حلماً، وأثبتهم في الميزان قدراً، وأشجعهم قلباً، وأربطهم جأشاً، وأسخاهم كفاً.

فاستبشرت فاطمة (عليها السلام)، فأقبل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: هل سررتك يا فاطمة؟

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٥١٩ ح ٦٧٦.

قالت (عليها السلام): نعم يا أبة، الحديث.

وقال عمار: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر الله دعا بعلي (عليه السلام) فسارّه طويلاً ثم قال له: يا علي أنت وصيّي ووارثي، قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا امتّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وغصبت على حقك.

فبكت فاطمة (عليها السلام) وبكى الحسن والحسين (عليهما السلام).

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة: يا سيّدة النسوان ممّ بكاءؤك؟

قالت (عليها السلام): يا أبة أخشى الضيعة بعدك.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، لا تبكي ولا تحزني، فإنك سيّدة نساء أهل الجنّة، وأباك سيّد الأنبياء، وابن عمك سيّد الأوصياء، وابنك سيّد شباب أهل الجنّة، ومن صلب الحسين (عليه السلام) يخرج الله الأئمة التسعة مطهّرون معصومون، ومنك مهدي هذه الأُمَّة.

هذه ودیعة الله

قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في حديث: قلت لأبي (عليه السلام):

فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقال (عليه السلام): ثم دعا (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقال لمن في بيته: اخرجوا عني، وقال لأُم سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد، ثم التفت إلى علي (عليه السلام) وقال له: يا علي ادن مني، فدن منه، فأخذ بيد فاطمة (عليها السلام) فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد علي (عليه السلام) بيده الأخرى، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام غلبته العبرة فلم يقدر على الكلام.

فبكت فاطمة (عليها السلام) بكاءً شديداً وأكبت على وجهه تقبله ، وبكى علي والحسن والحسين (عليهم السلام) لبكاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أكبوا على وجهه.

فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه إليهم ويدها في يده ، فوضعها في يد علي (عليه السلام) وقال له : يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعه رسول محمد عندك فاحفظ الله واحفظني فيها ، وإنك لفاعل هذا يا علي ، هذه والله سيّدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين ، هذه والله مريم الكبرى ، أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم ، فأعطاني ما سألته ، يا علي أنفذ لما أمرتك به فاطمة ، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل ، وأمرتها أن تلقيها إليك ، فانفذها ، فهي الصادقة الصدوقة ، واعلم يا علي أنني راض عمّن رضيت عنه ابنتي فاطمة ، وكذلك ربي وملائكته ، يا علي ويل لمن ظلمها ، وويل لمن ابتزها حقها ، وويل لمن هتك حرمتها ، وويل لمن أحرق بابها ، وويل لمن آذى حليلها ، وويل لمن شاقها وبارزها ، اللهم إني منهم بريء ، وهم مني براء ، ثم سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضمّ فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين (عليهم السلام) ، الحديث.

في بيت فاطمة (عليها السلام)

ولما كان صباح يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية المباركة استأذن علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك الموت ، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت فاطمة (عليها السلام) وعمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ذاك ثلاث وستون سنة.

قال ابن عباس : فلما طرق الباب قالت فاطمة (عليها السلام) : من ذا؟

قال : أنا غريب أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهل تأذنون لي في الدخول عليه؟

فأجابت: امضِ رحمك الله لحاجتك ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنك مشغول.

فمضى ثم رجع فصدق الباب وقال: غريب يستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهل تأذنون للغرباء؟

فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا فاطمة إن هذا مفرق الجماعات ، ومنغص اللذات ، هذا ملك الموت ، ما استأذن والله على أحد قبلي ، ولا يستأذن على أحد بعدي ، استأذن علي لكرامتي على الله ، ائذني له.

فقال (عليها السلام): أدخل رحمك الله ، فلما أذن له دخل كريح هفافة وقال: السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وعليك السلام يا ملك الموت.

فقال: إن ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا.

فاستمهله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى ينزل جبرئيل ويستشيره ، فخرج ملك الموت من عنده وجاء جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وعليك السلام يا حبيبي جبرائيل.

فقال: يا رسول الله إن ربك إليك مشتاق ، وما استأذن ملك الموت على أحد قبلك ، ولا يستأذن على أحد بعدك.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا حبيبي جبرئيل إن ملك الموت قد خيرني عن ربي بين لقائه وبين الرجوع إلى الدنيا ، فما الذي ترى؟

فقال: يا رسول الله ﴿وَلَا خَيْرَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

فترضى ﴿١﴾.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم، لقاء ربي خير لي، لا تبرح يا حبيبي جبرئيل حتى ينزل ملك الموت، فنزل ملك الموت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): امض لما أمرت له.

ثم مدّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يده إلى علي (عليه السلام) فجذبته إليه وهو يقول: ادن مني يا أخي فقد جاء أمر الله، فدنا (عليه السلام) منه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه، ووضع فاه في أذنه وجعل يناجيه طويلاً حتى فارقت روحه الدنيا، صلوات الله عليه وآله، ويد أمير المؤمنين (عليه السلام) اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها، فرفعها (عليه السلام) إلى وجهه فمسح به.

ثم انسل علي (عليه السلام) من تحت ثيابه، وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه ثم مدّ عليه أزاره، وقال: إن الله وإنّا إليه راجعون، يالها من مصيبة خصت الأقربين وعمت المؤمنين، لما يصابوا بمثلها قط، ولا عاينوا مثلها.

فارتفعت عندها الأصوات بالضجّة والبكاء. فصاحت فاطمة (عليها السلام) وصاح المسلمون، وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم، وفاطمة (عليها السلام) تقول: يا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه، يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، واجتمعت نسوة بنبي هاشم وجعلن يذكرن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبعد الوفاة

روي أنّه لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امتنع بلال من الأذان وقال: لا أُؤذّن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّ فاطمة (عليها السلام)

(١) سورة الضحى: ٤-٥.

قالت ذات يوم: إنني أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي بالأذان، فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ في الأذان، فلما قال: (رحمه الله) الله أكبر، الله أكبر «ذكرت أباها (صلى الله عليه وآله وسلم) وأيامه فلم تتمالك من البكاء.

فلما بلغ إلى قوله: (رحمه الله) أشهد أن محمداً رسول الله»، شهقت فاطمة (عليها السلام) شهقة وسقطت لوجهها وغشي عليها.

فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الدنيا، وظنوا أنها قدمات، فقطع أذانه ولم يتمه.

فأفاقت فاطمة (عليها السلام) وسألت أن يتم الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان إنني أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك^(١).

في رثاء أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)

كانت الصديقة الزهراء ترثي أباها (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما تأخذ من تراب القبر الشريف وتضعه على عينيها، وتقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليها
صبت عليّ مصائب لو أنّها صبت على الأيام عدن لياليا^(٢)
وتقول (عليها السلام) أيضاً:

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي وندائيا
قد كنت ذات حمى بظلّ محمّد لا أخشى من ضيم وكان حمياً ليا

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٩٧ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذّنين ح٩٠٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٢٤٢.

فاليوم أخشع للذليل وأتقي ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا^(١)

وتقول (عليها السلام) ترثيه (صلى الله عليه وآله وسلم):

اغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبه أسفاً عليه وكثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها وليبكه مضر وكل يمان^(٢)
وتقول (عليها السلام) أيضاً:

كنت السواد لمقتلي تبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر^(٣)

الهجوم على دارها (عليها السلام)

وقد هجم القوم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على دار الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وذلك طمعاً في الخلافة واغتصاباً لحق أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأحرقوا الباب، وعصروها بين الحائط والباب وكسروا ضلعها وضربوها حتى أسقطت جنينها الذي سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محسناً، وقد بقي أثر السياط في عضدها كمثل الدمليج^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) راجع كتاب عيون الأخبار: ج ٢ ص ٤٣٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٤٢.

(٤) للتفصيل انظر كتاب سليم بن قيس، وكتاب (الهجوم على بيت فاطمة).

خطبة الزهراء (عليها السلام) في نساء المهاجرين والأنصار

إنَّ القوم لم يراعوا حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ابنته الصديقة فاطمة (عليها السلام) ولا في وصيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فغضبوا الخلافة منه (عليه السلام) وغضبوا فدك فاطمة (عليها السلام)، ولكن الصديقة الزهراء (عليها السلام) لم تقف أمام غضب الخلافة والتعدي على حق زوجها والاستيلاء على فدكها مكتوفة الأيدي، وإنما خرجت من منزلها وهي القائلة: (رحمه الله) خير للمرأة من أن لا ترى رجلاً ولا يراها»^(١)، من أجل استرجاع الحقوق المغصوبة التي استولت عليها حكومة ابن أبي قحافة.

وليس ذلك فحسب، بل إنها (عليها السلام) خطبت خطبتان أحدهما في المسجد وقد أشرنا إلى بعض أبعادها الفقهية في كتاب «من فقه الزهراء (عليها السلام)».

وكان لها خطبة أخرى في نساء المهاجرين والأنصار عندما أتت لعيادتها (عليها السلام)، ذكرناها في نهاية الفصل الثاني من الكتاب^(٢) مع بعض التفصيل، ونقتصر في هذا الكتاب على أصل الخطبة:

عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين: «أنها لما مرضت فاطمة الزهراء (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها، واشتدَّت عليها علَّتتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنَّها، فسلمنَّ عليها وقلنَّ لها: كيف أصبحت من علَّتك يا بنت رسول الله؟

فحمدت الله وصلَّت على أبيها، ثمَّ قالت:

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٨٣ باب استحباب حبس المرأة في بيتها ح ١٦٤٥٢.

(٢) تقع في نهاية المجلد الخامس من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)).

أصبحت والله عاقبة لديناكن، قالية لرجالكن، لفظتهم^(١) بعد أن عجمتهم^(٢)،
 وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول^(٣) الحد، واللعب بعد الجد، وقرع
 الصفاة، وصدع القناة، وخطل^(٤) الرأي، وزلل الأهواء، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْت لَهُمْ
 أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٥).

لا جرم والله لقد قلدتهم ربققتها، وحمّلتهم أوقتها، وشننت عليهم غارتها،
 فجدعاً وعقراً^(٦)، وبعداً للقوم الظالمين، ويحهم أنازعزعوها^(٧) عن رواسي
 الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأموال الدنيا والدين
 ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٨)، وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا منه والله
 نكير سيفه، وقلة مبالاة به بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره^(٩) في ذات الله
 عز وجل، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة،
 لردهم إليها، وحملهم عليها، وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله (صلى الله
 عليه وآله وسلم) لا عقله^(١٠)، ولسار بهم سجحاً^(١١)، لا يكلم خشاشة^(١٢)، ولا يكل

(١) لفظت: رميت به، (مجمع البحرين) مادة لفظ.

(٢) عجمت: خبرت، (لسان العرب) مادة عجم.

(٣) الفلول: الجماعة، كتاب (العين) مادة فلل.

(٤) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب، (لسان العرب) مادة خطل.

(٥) سورة المائدة: ٨٠.

(٦) هذا ما يقال في الدعاء على الإنسان وشتمه، (مجمع البحرين) وكتاب (العين) مادة عقر.

(٧) الزعزعة: تحريك الشيء لتقلعه وتزيله، كتاب (العين) مادة زرع.

(٨) سورة الزمر: ١٥.

(٩) أي كأنه السبع، (لسان العرب) مادة نمر.

(١٠) اعتقل: امتسك، (لسان العرب) مادة عقل.

(١١) سجحاً: أي سهلاً، (مجمع البحرين) مادة سجح.

(١٢) أي لا يكلم غضباً، (لسان العرب) مادة خشش.

سائره، ولا يملّ راكمه، ولأورد هم منها لنميراً^(١) صافياً رويأ فضفاضاً^(٢) تطفح
ضفتاه^(٣)، ولا يترنق^(٤) جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن
يتحلّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل وشبعة
الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى
آمَنُوا وَاتَّقَوْا فَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥)، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ
بِمُعْجِزِينَ﴾^(٦)، ألا هلّم فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجباً ﴿وإن تعجب فعجب
قولهم﴾^(٧) ليت شعري إلى أي لجأ لجأوا؟ وإلى أي سناد استندوا؟ وعلى أي عماد
اعتمدوا؟ وبأي عروة تمسكوا؟ وعلى أي ذرية قدموا واحتنكوا؟ ﴿لبئس المولى
ولبئس العشير﴾^(٨) و﴿بئس للظالمين بدلاً﴾^(٩).

استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس^(١٠) قوم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾^(١١)
ويحهم ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف

(١) النمير: زاك، (لسان العرب) مادة نمر.

(٢) الفضفاض: الكثير، (لسان العرب) مادة فضض.

(٣) جانباه، (لسان العرب) مادة ضفف.

(٤) أي لا يكدر، (لسان العرب) مادة رنق.

(٥) سورة الأعراف: ٩٦.

(٦) سورة الزمر: ٥١.

(٧) سورة الرعد: ٥.

(٨) سورة الحج: ١٣.

(٩) سورة الكهف: ٥٠.

(١٠) المعاطس: الأنوف، (لسان العرب) مادة عطس.

(١١) سورة البقرة: ١٢.

تَحْكُمُونَ ﴿١﴾

أما العمري لقد لقت (٢) فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملاء العقب دماً عبيطاً
وذعافاً (٣)، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، ووسطوة معتد غاشم،
وبهرج دائم شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً،
فيا حسرة لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم ﴿أَنْزَلْنَاكُمْ مَوْتًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (٤).

استشهادها (عليها السلام)

توفيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مظلومة شهيدة، بعدما
جرى عليها من الظلم والجور، والضرب واللطم، وكسر الضلع وسقط الجنين،
وكان وفاتها في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية على
المشهور بين أصحابنا، وهو المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام).

وفي بعض الروايات: إنها (عليها السلام) توفيت بعد وفاة رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) بخمسة وسبعين يوماً.

وقيل: إنها توفيت لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر.

وكان عمرها (صلوات الله عليها وعلى أبيها) عند وفاتها ثمانين سنة.

عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن فاطمة (عليها السلام)
مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها
حزن شديد على أبيها، وكان يأتيها جبرئيل (عليه السلام) فيحسن عزاءها على

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) لقت: حملت، (لسان العرب) مادة لقت.

(٣) ذعاف: قاتل وحي، (لسان العرب) مادة ذعف.

(٤) سورة هود: ٢٨.

أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك»^(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «عاشت فاطمة (عليها السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً، لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين، الإثنين والخميس فتقول: هاهنا كان رسول الله (عليه السلام) وهاهنا كان المشركون».

وفي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام): «أنّها كانت تصليّ هناك وتدعو حتّى ماتت»^(٢).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: «ما رأيت فاطمة ضاحكة قطّ منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى قبضت»^(٣).

وروي: «أنّها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبو كما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة، أين أبو كما الذي كان أشدّ الناس شفقة عليكما؟ فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما»^(٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «قبضت فاطمة (عليها السلام) في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة وكان سبب وفاتها أن قنفذا مولى فلان لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسنا ومرضت من ذلك

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٨ باب مولد الزهراء (عليها السلام) ح ١.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٦١ باب اتيان المشاهد وقبور الشهداء ح ٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٤١.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٦٢.

مرضاً شديداً ولم تدع أحداً ممن آذاها أن يدخل عليها...^(١)، الحديث
هذا وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يجري عليها من الظلم
كما في (مستدرك الوسائل):

روي أنه دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً على فاطمة (عليها
السلام) فهيأت له طعاماً من تمر وقرص وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي
وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فلما أكلوا سجد رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) وأطال سجوده ثم بكى ثم ضحك وجلس، فقال علي (عليه
السلام): يا رسول الله رأينا فيك اليوم ما لم نره قبل ذلك؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إني لما أكلت معكم فرحت وسررت
بسلامتكم، فسجدت لله تعالى شكراً، فهبط جبرئيل يقول: سجدت شكراً لفرحك
بأهلك؟

فقلت: نعم.

فقال: ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك؟

فقلت: بلى يا أخي جبرئيل.

فقال: أما ابنتك فهي أول أهلك لحوقاً بك بعد أن تظلم ويؤخذ حقها وتمنع
إرثها ويظلم بعلمها ويكسر ضلعها، وأما ابن عمك فيظلم ويمنع حقه ويقتل، وأما
الحسن فإنه يظلم ويمنع حقه ويقتل بالسم، وأما الحسين فإنه يظلم ويمنع حقه
وتقتل عترته وتطؤه الخيول ويُنهَب رحله وتُسبى نساؤه وذرا ريه ويدفن مرملاً بدمه
ويدفنه الغرباء.

فبكيت وقلت: هل يزوره أحد؟

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٣، ص ١٧٠ ح ١١

قال: يزوره الغرباء.

قلت: فما لمن زاره من الثواب؟

قال: يكتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة كلها معك.

فضحكت^(١).

ونقرأ في زيارة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي رواها السيد بن طاووس (رحمه الله) في كتاب إقبال الأعمال:

«السلام عليك أيتها المعصومة المظلومة.

السلام عليك أيتها الطاهرة المطهرة.

السلام عليك أيتها المضطهدة المغصوبة...

اللهم صل على محمد وأهل بيته.

وصل على البتول الطاهرة

الصديقة المعصومة.

التقية النقية.

الرضية المرضية.

الزكية الرشيدة.

المظلومة المقهورة.

المغصوبة حقها.

الممنوعة إرثها.

المكسور ضلعها.

(١) انظر مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٢٧٥-٢٧٦ ب ٣٣ ح ١٢٠٧.

المظلوم بعلها.

المقتول ولدها.

فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(١).

ما أحسن هذا

عن أسماء بنت عميس أن فاطمة (سلام الله عليها)، قالت لها: إنني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى.
فقلت: يا بنت رسول الله أنا أصنع لك شيئاً رأيته بأرض الحبشة.
قالت: فدعوت بجريدة رطبة فحبستها ثم طرحت عليها ثوباً.
فقالت: فاطمة (سلام الله عليها): ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل، فإذا متّ فاغسليني أنت، فلمّا ماتت (عليها السلام) غسلها علي (عليه السلام) وأسماء^(٢).

تفصيل الطاهرة

عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): من غسل فاطمة (عليها السلام)؟
قال: «ذاك أمير المؤمنين (عليه السلام)».
وكأنني استعظمت ذلك من قوله، فقال: «كأنك ضقت بما أخبرتك به؟»
قال: فقلت: قد كان ذلك، جعلت فداك.

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٠٠ عن الإقبال.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٢٢ باب استحباب اتخاذ النعش ح ٣٤٥٩.

قال: فقال: «لا تضيّقنّ فإنّها صدّيقة، ولم يكن يغسلها إلاّ الصديق، أما علمت أنّ مريم لم يغسلها إلاّ عيسى (عليه السلام)»^(١).

وعن أمّ سلمى، قالت: اشتكت فاطمة (سلام الله عليها) شكواها التي قبضت فيها، وكنت أمرضها فأصبحت يوماً أسكن ما كانت، فخرج علي (عليه السلام) إلى بعض حوائجه فقالت: يا أمة اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، فقالت: اسكبي لي غسلاً فسكبت فقامت واغتسلت أحسن ما يكون من الغسل ثمّ لبست أثوابها العجدد، ثمّ قالت: افرشي فراشي وسط البيت، ثمّ استقبلت القبلة ونامت وقالت: إنّي مقبوضة وقد اغتسلت، فلا يكشفني أحد، ثمّ وضعت خدّها على يدها وماتت.

وقالت أسماء بنت عميس: أوصت إليّ فاطمة (عليها السلام) أن لا يغسلها إذا ماتت إلاّ أنا وعلي، فأعنت عليّ غسلها (عليها السلام)^(٢).

الدفن ليلاً

عن أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام)، قال: «لمّا قبضت فاطمة (عليها السلام)، دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) سرّاً، وعفا على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال:

السلام عليك يا رسول الله، عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائنة في الشرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي، إلاّ أنّ لي في التأسّي بسنتك في فرقك موضع تعزّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين نحري

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٠ باب مولد الزهراء (عليها السلام) ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٨٤.

وصدري، بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١)، قد استرجعت الوديعه، وأخذت الرهينة، وأخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأماليلي فمسهد، وهم لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظافر أمّتك على هضمها، فأحفظها^(٢) السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج^(٣) بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين، سلام مودّع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، وأه وأهًا والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللّبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقها، وتمنع إرثها، ولم يتباعد العهد! ولم يخلق منك الذكر! وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان^(٤).

تظلم السيدة الزهراء (عليها السلام)

إن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد ظلمها القوم فأصبحت هي وذريتها مظلومة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وستقف يوم المحشر وتشتكي إلى الله - فهو المشتكى - قبال ظالميهها وظالمي ذريتها الأظهار (عليهم السلام)، حيث إنها (عليها السلام) تطلب في ساحة المحشر من الباري تعالى أن

(١) سورة البقرة: ١٥٦.

(٢) أي استقصها فيه تحكي لك ما صدر من المنافقين وأعداء الدين، (مجمع البحرين) مادة حفا.

(٣) أي كامن فيه لم تجد إلى بثه سبيلاً، (مجمع البحرين) مادة عالج.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٤٥٨ باب مولد الزهراء (عليها السلام) ح ٣.

يأخذ بثأرها وثأر ذريتها المظلومين المشردين عن أوطانهم والمقتولين ظلماً وجوراً.

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
>تحشر ابنتي فاطمة (عليها السلام) يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلق
بقائمة من قوائم العرش تقول: يا أحكم الحاكمين أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال
علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ويحكم
لابنتي فاطمة ورب الكعبة^(١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): >إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على
ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين، خطمها^(٢) من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد
الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها يا قوتتان حمران، عليها قبة من نور،
يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة
الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كل ركن مرصع بالدر والياقوت،
يضيء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك،
وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل أخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته:
غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا
يبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز
فاطمة، فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله فتزج^(٣) بنفسها عن ناقتها وتقول:
إلهي وسيدي أحكم بيني وبين من ظلمني، اللهم أحكم بيني وبين من قتل ولدي،
فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي سليني تعطى واشفعي

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٨.

(٢) الخطم: أي الأنف، (لسان العرب) مادة خطم.

(٣) تزج: أي تسوقها سوقاً رقيقاً، (كتاب العين) مادة زجو.

تشفعي فوعزّتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم فتقول: إلهي وسيدي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي ومحبي ومحبي ذريتي، فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذريتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة فتقدمهم فاطمة (عليها السلام) حتى تدخلهم الجنة^(١).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم أمر منادياً فنادى غصوا بأبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الصراط، قال: فتغصّ الخلائق بأبصارهم فتأتي فاطمة (عليها السلام) على نجيب^(٢) من نجب الجنة يشيعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي (عليه السلام) بيدها مضمخاً بدمه وتقول: يا رب هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قبل الله عزّ وجلّ: يا فاطمة لك عندي الرضا، فتقول: يا رب انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً^(٣) من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة الحسين بن علي (عليه السلام) كما يلتقط الطير الحب ثم يعود العنق بهم إلى النار فيعذبون فيها بأنواع العذاب، ثم تركب فاطمة (عليها السلام) نجيبها حتى تدخل الجنة ومعها الملائكة المشيعون لها وذريتها بين يديها وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها^(٤).

فاطمة (عليها السلام) يوم المحشر

كثيرة هي الروايات التي تتحدّث عن أهوال يوم المحشر وحالاته الصعبة التي

(١) الأُمالي للصدوق: ص ١٧ المجلس الخامس ح ٤.

(٢) النجيب: من خيار الإبل، (لسان العرب) مادة نجب.

(٣) العنق: أي قطعة، (مجمع البحرين) مادة عنق.

(٤) الأُمالي للمفيد: ص ١٣٠ المجلس الخامس ح ٦.

يخشأها أولياء الله فضلاً عن الناس العاديين من العصاة وغيرهم.

إن في ذلك العالم وبينما ينشغل الناس بأنفسهم لعظم ما يطلعون عليه من الهول يعرف الناس قدر أهل البيت (عليهم السلام) ومدى قداستهم وارتفاع مكانتهم عند الله تبارك وتعالى وخاصة الصديقة الزهراء (عليها السلام) التي تقف عند باب الجنة وتنادى: يا ربّ خلّص شيعتي.

فعن ابن عباس أنه قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم على فاطمة (عليها السلام) وهي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بنية؟

قالت: يا أبة ذكرت المحشر ووقوف الناس عرابة يوم القيامة.

قال: يا بنية إنه ليوم عظيم ولكن قد أخبرني جبرئيل (عليه السلام) عن الله عزّ وجلّ أنه قال: أوّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثمّ أبي إبراهيم، ثمّ بعلك علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثمّ يبعث الله إليك جبرئيل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثمّ يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمة ابنة محمد قومي إلى محشر، فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها، ويأتيك روفائيل بنجيبه من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفّة من ذهب فتر كبينها، ويقود روفائيل بزمامها وبين يديك سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التسبيح، وإذا جدّ بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليك، بيد كل واحدة منهنّ مجمره من نور يسطع منها ريح العود من غير نار، وعليهنّ أكاليل الجواهر مرصّع بالزبرجد الأخضر، فيسرن عن يمينك.

فإذا مثل الذي سرت من قبرك إلى أن لقيتك استقبلتك مريم بنت عمران في مثل من معك من الحور فتسلّم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثمّ استقبلتك

أمك خديجة بنت خويلد (عليها السلام) أول المؤمنات بالله ورسوله ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير، فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء في سبعين ألف حوراء ومعها آسية بنت مزاحم فتسير هي ومن معها معك، فإذا توسطت الجمع وذلك أن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوي بهم الأقدام ثم ينادي مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غصوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معها، فلا ينظر إليك يومئذ إلا إبراهيم خليل الرحمن (صلى الله عليه) وعلي بن أبي طالب (عليها السلام)، ويطلب آدم حواء فيراها مع أمك خديجة أمامك.

ثم ينصب لك منبر من نور فيه سبع مراق بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور وتصطف الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منك عن يسارك حواء وآسية بنت مزاحم، فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل (عليه السلام) فيقول لك: يا فاطمة سلي حاجتك.

فتقولين: يا رب أرني الحسن والحسين.

فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول: يا رب خذلي اليوم حقي ممن ظلمني، فيغضب عند ذلك الجليل ويغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنم عند ذلك زفرة ثم يخرج فوج من النار فيلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم ويقولون: يا رب إننا لم نحضر الحسين (عليه السلام)، فيقول الله لزيانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقه الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين (عليه السلام) فقتلوه، فيسمع شهيقهم في جهنم.

ثم يقول جبرئيل (عليه السلام): يا فاطمة، سلي حاجتك.

فتقولين: يا رب شيعتي.

فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا ربّ شيعة ولدي.

فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا ربّ شيعة شيعتي.

فيقول الله: انطلقني، فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة.

فعند ذلك يودّ الخلائق أنّهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) آمنة روعاتهم مستورة عوراتهم قد ذهبت عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظماً الناس وهم لا يظمئون، فإذا بلغت باب الجنة تلقّتك اثنا عشر ألف حوراء لم يلتقين أحداً كان قبلك ولا يلتقين أحداً كان بعدك، بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور، رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت، أزمتها من لؤلؤ رطب، على كل نجبية نمرقة من سندس منضود، فإذا دخلت الجنة تباشر بك أهلها ووضع لشيعتك موائد من جوهر على أعمدة من نور فيأكلون منها والناس في الحساب وهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون.

فإذا استقرّ أولياء الله في الجنة زارك آدم (عليه السلام) ومن دونه من النبيين (عليهم السلام)، وإنّ في بطنان الفردوس للؤلؤتان من عرق واحد لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء فيها قصور ودور في كل واحدة سبعون ألف دار، البيضاء منازل لنا ولشيعتنا، والصفراء منازل لإبراهيم (عليه السلام) وآل إبراهيم.

قالت: يا أبة فما كنت أحبّ أن أرى يومك وأبقى بعدك.

قال: يا بنية لقد أخبرني جبرئيل (عليه السلام) عن الله أنّك أول من يلحقني من أهل بيتي، فالويل كلّ لمن ظلمك والفوز العظيم لمن نصرك.

قال عطاء: وكان ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ
أَمْرٍ إِيمَانًا كَسَبَ رَهِينًا ﴿١﴾، (٢).

من بركات محبة الزهراء (عليها السلام)

إن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لا يتخلون عن مواليتهم ومحبتهم في أهوال
يوم القيامة وشدايدها، خاصة الصديقة الزهراء (عليها السلام)، فإنها تشفع عند الله
عز وجل لمواليها ومحبيها، وقد تضافرت الروايات بذلك:

عن ابن عباس قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً ذات يوم
وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقال: (اللهم إنك
تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحبّ من أحبّهم وأبغض من أبغضهم،
ووال من والهم وعاد من عادهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهّرين من كل
رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس منك».

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (رحمه الله) يا علي أنت إمام أمّتي وخليفتي
عليها بعدي وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة، وكأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت
يوم القيامة على نجيب^(٣) من نور عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها
سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك،
تقود مؤمنات أمّتي إلى الجنة، فأيا امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات
وصامت شهر رمضان وحجّت بيت الله الحرام وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالد
علياً بعدي دخلت الجنة بشفاعتي ابنتي فاطمة، وإنها السيدة نساء العالمين.

(١) سورة الطور: ٢١.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٤.

(٣) النجيب: الفاضل من كل حيوان لسان العرب مادة نجب.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، أَهِيَ سَيِّدَةٌ لِنِسَاءِ عَالَمِهَا؟
فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «ذَلِكَ لِمَرِيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ،
فَهِيَ سَيِّدَةٌ لِنِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأُولِيِّينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِنَّهَا لَتَقُومُ فِي مَحْرَابِهَا فَيَسْلَمُ
عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَيُنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرِيَمَ
فَيَقُولُونَ: يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».
ثُمَّ التَفَتَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ
فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي وَثَمَرَةٌ فَوْادِي يَسُوعَنِي مَا سَاءَ مَا وَسَّرَنِي مَا سَرَّهَا،
وَإِنَّهَا أَوْلُ مَنْ يَلْحَقَنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَأَحْسِنْ إِلَيْهَا بَعْدِي، وَأَمَّا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ
فَهُمَا ابْنَايَ وَرِيحَانَتَايَ وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَكْرِمَا عَلَيْكَ كَمَا كَرَّمْتَهُمَا
وَبَصْرَكَ».

ثُمَّ رَفَعَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي
مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ وَمُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ
وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمْ»^(١).

فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) الْمَظْلُومَةُ

إِنَّ الصَّديْقَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) عَاشَتْ بَعْدَ أَبِيهَا مَظْلُومَةً،
وَاسْتَشْهَدَتْ مَظْلُومَةً، وَهِيَ مَا زَالَتْ مَظْلُومَةً إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ...
فَبِالرَّغْمِ مِنْ تَضَافِرِ الرِّوَايَاتِ عَلَى قَدَاسَتِهَا وَعُلُوِّ مَقَامِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَنَّ
الكَثِيرِينَ لَا يَعْرِفُونَ عَنْ ذَلِكَ شَيْئًا.
فَهِيَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) مَجْهُولَةٌ قَدْرًا وَمَهْضُومَةٌ حَقًّا.
نَعَمْ، إِنَّ الْخَلْقَ - وَكَمَافِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ - قَدْ فَطَمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَلَكِنْ هَذَا

(١) الأُمَامِيُّ لِلصَّدُوقِ: ص ٤٨٦ المَجْلِسُ الثَّلَاثُ وَالسَّبْعُونَ ح ١٨.

لا يعني أن لا يبحث المحبّون والمولون عن فضائلها ويطالعون مناقبها الكثيرة التي تكشف لهم الشيء القليل من عظمة قدرها المجهول.

فهذا سلمان المحمدي على عظم جلالته وارتفاع مقامه يتوسّل برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويلجّ عليه أن يخبره بشيء من فضائلها (سلام الله عليها).

يقول أبو ذر (رحمه الله): رأيت سلمان وبلاً لا يقبلان إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا انكب سلمان على قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبلها فزجره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك ثم قال له: «يا سلمان لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله آكل مما يأكل العبد وأقعد كما يقعد العبد».

فقال سلمان: يا مولاي سألتك بالله إلا أخبرني بفضل فاطمة (عليها السلام) يوم القيامة.

قال: فأقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضاحكاً مستبشراً ثم قال: «والذي نفسي بيده إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقه رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وحطامها من جلال الله، وعنقها من بهاء الله، وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله، إن مشيت سبّحت، وإن رغت قدّست، عليها هودج من نور، فيه جارية إنسية حورية عزيزة جمعت فخلقت وصنعت ومثلت من ثلاثة أصناف، فأولها من مسك أذفر وأوسطها من العنبر الأشهب وآخرها من الزعفران الأحمر، عجنت بماء الحيوان، لو تفلت تفلتة في سبعة أبحر مالحة لعذبت، ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا يغشي الشمس والقمر، جبرئيل عن يمينها وميكائيل عن شمالها وعلي أمامها والحسن والحسين وراءها والله يكلؤها ويحفظها، فيجوزون في عرصة القيامة فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: معاشر الخلائق غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم هذه فاطمة

بنت محمد نبيكم، زوجة علي إمامكم، أم الحسن والحسين، فتجوز الصراط
وعليها ريطتان^(١) بيضاوان، فإذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعد الله لها من الكرامة
قرأت: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور
شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب^(٢) ولا يمسننا فيها
لغوب^(٣)» قال: فيوحي الله عز وجل إليها: يا فاطمة سليني أعطك وتمني عليّ
أرضك، فتقول: إلهي أنت المنى وفوق المنى أسألك أن لا تعذب محببي ومحبي
عترتي بالنار، فيوحي الله إليها يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت
على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك
ومحبي عترتك بالنار^(٤).

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «يبعث إليها ملكاً لم يبعث
إلى أحد قبلها ولا يبعث إلى أحد بعدها فيقول: إن ربك: يقرأ عليك السلام ويقول
سليني أعطك.

فتقول: قد أنالني نعمته وهنأني كرامته وأباحني جنته وفضلني على نساء خلقه،
أسأله ولدي وذريتي ومن ودهم بعدي وحفظهم بعدي.

فيوحي الله إلى الملك من غير أن يتحرك من مكانه: إني قد أعطيتها ما سألت في
ولدها وذريتها ومن ودهم بعدها وحفظهم فيها.

فتقول: الحمد لله الذي أقر عيني وأذهب عني الحزن^(٥).

وعن جابر الأنصاري: أنه رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وعليها

(١) الریطة: ملاءة ليست بلفقين كلهما نسج واحد، كتاب (العين) مادة ريط.

(٢) نصب: تعب، (مجمع البحرين) مادة نصب.

(٣) لغوب: شدة الإعياء، كتاب (العين) مادة لغوب.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٣٩ ح ١٤٤.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٤.

كساء من أجلّة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: «يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة». فقالت: «يا رسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه». فأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (١)، (٢).

أُحِبُّتُ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرِي

يبدو من بعض الأخبار أنّ مجهولية قدر الصديقة الزهراء (عليها السلام) ستبقى إلى يوم المحشر - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - حيث يظهر الباري تعالى فضائلها (عليها السلام) أمام الملائم العام ويشير إلى مناقبها الجمّة، حتى يدرك العالم والجاهل مدى قداستها (عليها السلام) عند الله تعالى، وكيف أنها على جلالتها وعلو مقامها عاشت في الدنيا مجهولة القدر بل مظلومة.

فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «قال جابر لأبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة (عليها السلام) إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر (عليه السلام): حدثني أبي عن جدّي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد أخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلاها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أوساطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي أخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من

(١) سورة الضحى: ٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٤٢.

الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابني وسبطي وريحانتي أيام حياتي منبران من نور ثم يقال لهما: اخطبا فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها.

ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل (عليه السلام): أين فاطمة بنت محمد؟

أين خديجة بنت خويلد؟

أين مريم بنت عمران؟

أين آسية بنت مزاحم؟

أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول: محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة: الله الواحد القهار.

فيقول الله جلّ جلاله: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام)، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة، مدبجة^(١) الجنبيين، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها، فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك عن يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة.

فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت.

فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟

فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدرتي في مثل هذا اليوم.

(١) المدبجة: مزينة، (مجمع البيان) مادة دبح.

فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخله الجنة.

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيد من الحب الرديء.

فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة (عليها السلام) بنت حبيبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم.

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لا يبقى في الناس إلا شك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(١) فيقولون ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

قال أبو جعفر (عليه السلام): هيهات هيهات منعوها ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣)،^(٤).

(١) سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام: ٢٨.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩٨.

الفصل السادس

السيدة شاه زنان (عليها السلام) بنت كسرى

والدة الإمام زين العابدين (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة الجليلة: شهربانوية بنت يز دجر بن شهر يار بن كسرى ملك الفرس، ولقبها: (شاه زنان) أي ملكة النساء^(١).

سمّاها أمير المؤمنين (عليه السلام): (مريم).

وقيل: سمّاها بـ(فاطمة).

وقيل: إن اسمها (خولة) وسمّاها أمير المؤمنين (عليه السلام) بـ(شاه زنان).

وقيل: إن اسمها (برة بنت النوشجان).

وقيل: إن اسمها (سلافة) أو (سلامة).

وقيل: إن اسمها (غزاة).

ولعلها كانت لها عدة أسماء وألقاب.

فهي حفيدة كسرى الملك الذي لقب بالعاذل حيث قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ولدت في زمان الملك العادل صالح»^(٢)، والمراد بذلك هو عدالته في دينه ومبدئه، أو عدالته النسبية كما لا يخفى.

وقد تزوّجت (شاه زنان) الإمام الحسين (عليه السلام) وولدت له الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهي جدّة الأئمّة (عليهم السلام).

(١) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٧٦.

(٢) راجع إعلام الوري: ص ٥١.

ما اسمك؟

وفي بحار الأنوار:

قال علي (عليه السلام) لها: ما اسمك؟

قالت: شاه زنان.

فقال: نه شاه زنان نيست مكر دختر محمد، وهي سيده النساء وأنت شهر بانويه. أي إن سيده النساء هي فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيرها (١). وخيرت أختها مرواريد فاخترت الحسن بن علي (عليه السلام).

أكرموا كريم قوم

نقل أبو جعفر الطبري: لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أكرموا كريم كل قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورجبوا في الإسلام ولا بد أن يكون لي فيهم ذرية وأنا أشهد الله وأشهدكم أنني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله.

فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقنا أيضاً لك.

فقال: اللهم اشهد أنني قد أعتقت ما وهبوا لي لوجه الله.

فقال المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقنا لك يا أبا خارس رسول الله.

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٠٠ ب ٢ ح ٢٢.

فقال: اللهم اشهد أنهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته وأشهدك أنني قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لم نقضت عليّ عزمي في الأعاجم وما الذي رغبتك عن رأيي فيهم. فأعاد عليه ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إكرام الكرماء. فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إياهم. فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحو النساء، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هن لا يكرهن على ذلك ولكن يخيّرن ما اخترنه عمل به. فأشار جماعة إلى شهر بانويه بنت كسرى فخيّرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور، فقبل لها: من تختارين من خطّابك، وهل أنت ممّن تريدين بعلاً؟ فسكتت.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قد أرادت وبقي الاختيار.

فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا أتته كريمة قوم لا ولي لها وقد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل، فإن استحيت وسكتت جعل إذنها صمتها وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا، لم يكرهها على ما تختاره.

وإن شهر بانويه أريت الخطّاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن علي (عليه السلام) فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها وقالت: هذا إن كنت مخيّرة، وجعلت أمير المؤمنين (عليه السلام) وليّها وتكلّم حذيفة بالخطبة.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما اسمك؟

فقالت: شاه زنان بنت كسرى.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنت شهر بانويه وأختك مرواريد بنت كسرى؟
قالت: آريه^(١).

وقال المبرد: (كان اسم أم علي بن الحسين (عليه السلام) سلافة من ولد يز دجرد معروفة النسب من خيرات النساء، وقيل: خولة، ولقبه (عليه السلام) ذو الثفنيات والخالص والزاهد والخاشع والبكاء والمتهجد والرهباني وزين العابدين وسيّد العابدين والسجّاد، وكنيته أبو محمد وأبو الحسن، بابه يحيى ابن أم الطويل المدفون بواسط قتله الحجّاج لعنه الله)^(٢).

ما حفظت عن أبيك؟

في الإرشاد قال: سأل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟

قالت: حفظت عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطاعم دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

فقال (عليه السلام): «ما أحسن ما قال أبوك، تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير»^(٣).

زواجها (عليها السلام)

كانت السيّدة شهر بانو من أسراء الفرس الذين جاؤوا بهم إلى المدينة من بنات

(١) آريه كلمة فارسية: أي نعم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٦.

(٣) الإرشاد: ج ١ ص ٣٠٢.

يز دجر دوكن ثلاث فتيات:

١: تزوجت واحدة منهن من عبد الله بن عمر، فأولدها سالم.

٢: والأخرى من محمد بن أبي بكر، فأولدها القاسم.

٣: والثالثة من الإمام الحسين (عليه السلام) وأولدها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وقد أسرت في عهد عمر، وإنه أراد بيعها، فنهاه الإمام علي (عليه السلام) وقال له: أعرض عليها أن تختار واحداً من المسلمين فاختارت الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) - كما سبق - فأمره بحفظها والإحسان إليها، فولدت له خير أهل الأرض في زمانه.

ولم يكن بعض أهل المدينة يرغبون في نكاح الجواري حتى ولد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، فرغبوا فيهن.

ابن الخيرتين

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «لما أقدمت بنت يز دجر دعلى عمر، أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إليها عمر، غطت وجهها وقالت: «أف بيروج با داروى هر مز».

فقال عمر: أتشتمني هذه وهم بها.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ليس ذلك لك، خيرها رجلاً من المسلمين واحسبها بغيته.

فخيرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الإمام الحسين (عليه السلام).

فقال لها أمير المؤمنين (عليه السلام): ما اسمك؟

فقال: جهان شاه.

فقال لها أمير المؤمنين (عليه السلام): بل شهر بانويه.

ثم قال للإمام الحسين (عليه السلام): يا أبا عبد الله، لتلدن لك منها خير أهل الأرض، فولدت الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وكان يقال للإمام علي بن الحسين (عليه السلام): ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس^(١).

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطبها في عالم الرؤيا

وفي بعض الأخبار أنها - شاه زنان - قامت ووضعت يدها على منكب الإمام الحسين (عليه السلام)، كأنها كانت تعرفه ورأته في منامها، كما حكى قصتها لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فقالت: رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين علينا كأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل دارنا وقعد ومعه الإمام الحسين (عليه السلام)، وخطبني له وزوجني أبي منه. فلما أصبحت، كان ذلك يؤثر في قلبي، وما كان لي خاطب غير هذا، فلما كانت الليلة الثانية، رأيت السيدة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أتتني وعرضت علي الإسلام وأسلمت، ثم قالت: إن الغلبة تكون للمسلمين، وأنتك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين (عليه السلام) سالمة لا يصيبك بسوء أحد، وكان من الحال أن أخرجت إلى المدينة^(٢).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٦ باب مولد علي بن الحسين (عليه السلام) ح ١.

(٢) راجع الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٧٥١.

وروي أيضاً: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ولي حريث بن جابر جانباً من
المشرق فبعث إليه بنتي يز دجر دبن شهر يار ، فنحل ابنه الحسين (عليه السلام) شاه
زنان منهما فأولدها زين العابدين (عليه السلام) ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر
فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فهما ابنا خالة^(١).

المولود المبارك

حملت السيدة شاه زنان بالإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وكان مولده
(عليه السلام) سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، وقد أنشأ أبو الأسود: في وصف
الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فقال:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام^(٢)

عاش الإمام (عليه السلام) مع جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) سنتين ، ومع
عمّه الإمام الحسن (عليه السلام) اثنتي عشر سنة ، ومع أبيه (عليه السلام) ثلاثاً
وعشرين سنة.

وقد عاش بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة.

وتوفي بالسم في المدينة المنورة سنة خمس وتسعين من الهجرة ، وله يومئذ
سبع وخمسون سنة. وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة ، ودفن في البقيع مع عمه
الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٢ عن الإرشاد: ج٢ ص١٣٧.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٦٧ باب مولد علي بن الحسين (عليه السلام).

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٢ ح٢٣.

احتراماً للأُم

ورد أنه قيل لعلي بن الحسين (عليه السلام): إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك^(١) في قصعة^(٢)؟ وهي تريد ذلك؟
فقال: أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقاً، فكان بعد ذلك يغطي الغضارة^(٣) بطبق ويدخل يده من تحت الطبق ويأكل^(٤).

وفاتها

قيل: إن السيدة (شهربانو) ماتت في نفاسها، أي حين ولا دتها للإمام زين العابدين (عليه السلام) فكفلته بعض أمهات ولد أبيه. فكان يحسن إليها كما يحسن إلى والدته، وكان الناس يسمونها أمه، ثم زوجها، فقال بعض الناس: زوج أمه.
وعلى هذا الخبر فلم تكن (السيدة شهربانو) حاضرة يوم الطف، ولكن في بعض التواريخ أن امرأة تسمى بشهربانو كانت حاضرة يوم عاشوراء، حيث ورد: (وخرج غلام ويده عمود من تلك الأبنية وفي أذنيه درتان وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان فحمل عليه هانيء بن ثابت فقتله، فصارت شهربانو تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة)^(٥).

(١) يرى البعض أن أم الإمام (عليه السلام) توفيت في نفاسها، والمقصود بالأُم في هذه الرواية التي أرضعته وربته.

(٢) القصعة: وهي تشبع العشرة، مجمع البحرين مادة قضع.

(٣) الغضارة: الطين الحر، وقيل الطين اللازب الأخضر، (لسان العرب) مادة غضر.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤٥-٤٦.

الفصل السابع:

السيدة فاطمة (عليها السلام)

بنت الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

والدة الإمام الباقر (عليه السلام)

النسب الشريف

هي السيدة الجليلة فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، أم الإمام محمد الباقر (عليه السلام).

والباقر (عليه السلام) هاشمي من هاشميين، وعلوي من علويين، وفاطمي من فاطميين، لأنه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين (عليهما السلام) ^(١).

كنيتها: (أم عبد الله) و(أم الحسن).

وكانت (عليها السلام) من سيدات نساء بني هاشم.

وكان الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) يسميها: (الصديقة) ^(٢).

ويقول فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها» ^(٣).

من كراماتها

عن أبي الصباح عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدّع ^(٤) الجدار وسمعنا هدة شديدة، فقالت بيدها: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط، فبقي معلقاً في الجو حتى جازته، فتصدّق أبي عنها بمائة

(١) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٨.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٩٠، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٦٥١، المناقب: ج ٤ ص ١٩٥.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٦٩، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٦٥٠.

(٤) تصدّع: انشق نصفين، (لسان العرب) مادة صدع.

دينار».

قال أبو الصباح: وذكر أبو عبد الله (عليه السلام) جدته أم أبيه يوماً، فقال: «كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها»^(١).

في واقعة الطف

حضرت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن (عليه السلام) مع زوجها الإمام زين العابدين وابنها الإمام الباقر (عليه السلام) واقعة الطف في يوم عاشوراء، وقد شاهدت ما جرى على آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم من مصائب ومحن، حيث رأت مصرع عمها الإمام الحسين (عليه السلام)، وقتل أخيها القاسم وعبد الله (عليهما السلام) وبقية الأبطال من آل البيت (عليهم السلام) والأصحاب الكرام، وشاهدت أيضاً زوجها العليل مكبلاً بالأغلال، وولدها البالغ من العمر أربع سنوات يشكو العطش، فصبرت واحتسبت ذلك في سبيل الله^(٢).

روايتها

روت السيدة الجليلة فاطمة والدة الإمام الباقر (عليه السلام) روايات عديدة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كان منها الدعاء عقيب كل ركعتين من نوافل الزوال.

روى عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أمها فاطمة بنت الحسن، عن أبيه الحسن بن علي (صلوات الله عليهم) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) ح ١.

(٢) انظر أعيان الشيعة: ج ١ ص ٦٥، وج ٨ ص ٣٩٠.

وسلم) يدعو بهذا الدعاء بين كل ركعتين من صلاة الزوال:

الركعتان الأولتان

«اللهم أنت أكرم ما أتى وأكرم مزور، وخير من طلبت إليه الحاجات، وأجود من أعطى، وأرحم من استرحم، وأرأف من عفا، وأعز من اعتمد عليه، اللهم بي إليك فاقة، ولي إليك حاجات، ولك عندي طلبات من ذنوب أنا بها مرتهن، وقد أوقرت ظهري وأوقفتني، وإلا ترحمني وتغفر لي ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، اللهم إني اعتمدت فيك فيها تائباً إليك منها، فصل على محمد وآله واغفر لي ذنوبي كلها، قديمها وحديثها، سرها وعلانيتها، وخطايا وعمدها، صغيرها وكبيرها، وكل ذنب أذنبته وأنا مذنبه، مغفرة عزمها لا تغادر ذنباً واحداً، ولا أكتسب بعدها محرماً أبداً، واقبل مني اليسير من طاعتك، وتجاوز لي عن الكثير من معصيتك، يا عظيم إنه لا يغفر العظيم إلا العظيم، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢)، يا من هو كل يوم في شأن، صل على محمد وآله واجعل لي في شأنك شأن حاجتي، وحاجتي هي فكاك رقبتني من النار، والأمان من سخطك، والفوز برضوانك وجنتك، وصل على محمد وآل محمد، وامنن بذلك عليّ وبكل ما فيه صلاح، وأسألك بنورك الساطع في الظلمات أن تصلي عليّ محمد وآل محمد، ولا تفرق بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، اللهم واكتب لي عتقاً من النار مبتولاً، واجعلني من المنيبين إليك، التابعين لأمرك، المحببتين إليك، الذين إذا ذكرت وجلت قلوبهم، والمستكملين مناسكهم، والصابرين في البلاء، والشاكرين في الرخاء، والمطيعين لأمرك فيما أمرتهم به،

(١) سورة هود: ٤٧.

(٢) سورة الرحمن: ٢٩.

والمقيمين الصلاة، والمؤتئين الزكاة، والمتوكلين عليك، اللهم أضفني بأكرم كرامتك، وأجزل من عطيتك، والفضيلة لديك، والراحة منك، والوسيلة إليك، والمنزلة عندك ما تكفيني به كل هول دون الجنة، وتظلني في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، وتعظم نوري، وتعطيني كتابي بيمينني، وتخفف حسابي، وتحشرنني في أفضل الوافدين إليك من المتقين، وتثبتني في عليين، وتجعلني ممن تنظر إليه بوجهك الكريم، وتتوفاني وأنت عني راض، وألحقني بعبادك الصالحين.

اللهم صل على محمد وآله وأقربني بذلك كله مفلحاً منجحاً قد غفرت لي خطاياي وذنوبي كلها، وكفرت عني سيئاتي، وحطت عني وزري، وشفعتني في جميع حوائجي في الدنيا والآخرة، في يسر منك وعافية.

اللهم صل على محمد وآله ولا تخطب بشيء من عملي ولا بما تقربت به إليك رثاء، ولا سمعة ولا أشراً ولا بطراً، واجعلني من الخاشعين لك.

اللهم صل على محمد وآله وأعطني السعة في رزقي، والصحة في جسمي، والقوة في بدني على طاعتك وعبادتك، وأعطني من رحمتك ورضوانك وعافيتك ما تسلمني به من كل بلاء الدنيا والآخرة، وارزقني الرهبة منك، والرغبة إليك، والخشوع لك، والوقار والحياء منك، والتعظيم لذكرك، والتقديس لمجدك أيام حياتي حتى تتوفاني وأنت عني راض، اللهم وأسألك السعة والدعة والأمن والكفاية والسلامة والصحة والقنوع والعصمة والهدى والرحمة والعافية واليقين والمغفرة والشكر والرضا والصبر والعلم والصدق والبر والتقوى والحلم والتواضع واليسر والتوفيق.

اللهم صل على محمد وآله واعمم بذلك أهل بيتي وقرباتي وإخواني فيك، ومن أحببت وأحبني، أو ولدته وولدتني، من جميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وأسألك يا رب حسن الظن بك، والصدق في التوكل عليك، وأعوذ بك يا رب أن تبتليني ببلية تحملني ضرورتها على التغوث بشيء

من معاصيك ، وأعوذ بك يا رب أن أكون في حال عسر أو يسر أظن أن معاصيك أنجح في طلبتي من طاعتك ، وأعوذ بك من تكلف ما لم تقدر لي فيه رزقاً ، وما قدرت لي من رزق فصل على محمد وآله وآتني به في يسر منك وعافية ، يا أرحم الراحمين .

وقل : «رب صل على محمد وآله ، وأجرني من السيئات ، واستعملني عملاً بطاعتك ، وارفع درجتي برحمتك ، يا الله ، يا رب ، يا رحمان ، يا رحيم ، يا احنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، أسألك رضاك وجنتك ، وأعوذ بك من نارك وسخطك ، أستجير بالله من النار » ترفع بها صوتك .

ثم تخر ساجداً وتقول : «اللهم إني أتقرب إليك بجودك وكرمك ، وأتقرب إليك بمحمد عبدك ورسولك ، وأتقرب إليك بملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين ، أن تصلي على محمد وآله ، وأن تقبلني عشرتي ، وتستر علي ذنوبي ، وتغفر هالي ، وتقبلني اليوم بقضاء حاجتي ، ولا تعذبني بقبيح كان مني ، يا أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا بر يا كريم ، أنت أبري من أبي وأمي ومن نفسي ومن الناس أجمعين ، بي إليك حاجة وفقر وفاقة ، وأنت عني غني ، فأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن ترحم فقري ، وتستجيب دعائي ، وتكف عني أنواع البلاء ، فإن عفوك وجودك يسعني » .

التسليمة الثانية

«اللهم إله السماء وإله الأرض ، وفاطر السماء وفاطر الأرض ، ونور السماء ونور الأرض ، وزين السماء وزين الأرض ، وعماد السماء وعماد الأرض ، وبديع السماء وبديع الأرض ، ذا الجلال والإكرام ، صريخ المستصرخين ، وغوث المستغيثين ، ومنتهى رغبة العابدين ، أنت المفرج عن المكروبين ، وأنت المروح عن المغموين ، وأنت أرحم الراحمين ، ومفرج الكرب ، ومجيب دعوة المضطرين ،

وإله العالمين ، المنزول به كل حاجة ، يا عظيمًا يرجى لكل عظيم ، صل على محمد و آل محمد ، وافعل بي كذا وكذا.

وقل: (رب صل على محمد و آل محمد ، وأجرني من السيئات ، واستعملني عملاً بطاعتك ، وارفع درجتي برحمتك ، يا الله ، يا رب ، يا رحمان ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، أسألك رضاك وجنتك ، وأعوذ بك من نارك وسخطك ، أستجير بالله من النار) ترفع بها صوتك.

التسليمة الثالثة

(يا علي ، يا عظيم ، يا حي ، يا حلیم ، يا غفور ، يا سمیع ، يا بصیر ، يا واحد ، يا أحد ، يا صمد ، يا من ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(١) يا رحمان ، يا رحيم ، يا نور السماوات والأرض ، تم نور وجهك ، أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وباسمك العظيم الأعظم الأعظم الأعظم ، الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وبقدرتك على ما تشاء من خلقك ، فإنما أمرك إذا أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون ، أن تصلي على محمد و آل محمد ، وأن تفعل بي كذا وكذا.

وقل: (رب صل على محمد و آله ، وأجرني من السيئات ، واستعملني عملاً بطاعتك ، وارفع درجتي برحمتك ، يا الله ، يا رب ، يا رحمان ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، أسألك رضاك وجنتك ، وأعوذ بك من نارك وسخطك ، أستجير بالله من النار) وترفع بها صوتك.

(١) سورة الإخلاص: ٣-٤.

التسليمة الرابعة

«اللهم صل على محمد وآل محمد، شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، اللهم صل على محمد وآل محمد، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق، اللهم صل على محمد وآل محمد، الكهف الحصين، وغيث المضطر المستكين، وملجأ الهاربين، ومنجى الخائفين، وعصمة المعتصمين، اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة كثيرة تكون لهم رضى، ولحق محمد وآل محمد صلى الله عليهم أداء وقضاءً، بحول منك وقوة يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وآل محمد، الذين أوجبت حقهم ومودتهم، وفرضت طاعتهم وولايتهم، اللهم صل على محمد وآل محمد، واعمر قلبي بطاعتك، ولا تخزني بمعصيتك، وارزقني مواساة من قترت عليه من رزقك مما وسعت عليّ من فضلك، والحمد لله على كل نعمة، وأستغفر الله من كل ذنب، ولا حول ولا قوة إلا بالله من كل هول»^(١).

(١) فلاح السائل: ص ١٣٨-١٤٢.

الفصل الثامن:

السيدة فاطمة أمّ فروة (عليها السلام)

بنت القاسم

والدة الإمام الصادق (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة الجليلة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، والدة الإمام الصادق (عليه السلام).

كنيتها: أم فروة، وقيل: أم القاسم.

وقد كانت (عليها السلام) من الصالحات القانتات، ومن أتقى نساء أهل زمانها.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «وكانت أمي ممن آمنتم واتقت وأحسنتم والله يحب المحسنين»^(١).

وقال أبو الحسن الكاظم (عليه السلام): «كان أبي (عليه السلام) يبعث أمي وأم فروة تقضيان حقوق أهل المدينة»^(٢).

وفي أعيان الشيعة: أم فروة، وقيل: أم القاسم، واسمها قريبة أو فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا معنى قول الإمام الصادق (عليه السلام): «ولدني أبو بكر مرتين»^(٣).

والدها

كان أبوها: القاسم من ثقة أصحاب الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام).

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمد بن أبي

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) ح ١.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢١٧ باب ما يجب على الجيران لأهل المصيبة واتخاذ المأتم ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦٥١.

بكر وأبو خالد الكابلي ، من ثقات علي بن الحسين (عليه السلام)»^(١).

جدها

وكان جدها محمد بن أبي بكر من خالص شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحواريه ، وقد ولاه الإمام (عليه السلام) مصر وكتب إليه عهداً^(٢) ،
ووالدته^(٣) السيدة الجليلة أسماء بنت عميس (رضوان الله عليها).

قتله معاوية بمصر^(٤) ، وقد ترجم أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٥) والإمام
الصادق (عليه السلام) عليه^(٦).

ووردت في فضله روايات عديدة نشير إلى بعضها:

من هم شيعة علي (عليه السلام)

في الاحتجاج بالإسناد إلى أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال: (قدم
جماعة فاستأذنوا علي الرضا (عليه السلام) وقالوا: نحن من شيعة علي ، فمنعهم
أياماً ، ثم لما دخلوا قال لهم: ويحكم إنما شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام):
الحسن والحسين وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر الذين لم

(١) الكافي: ج١ ص٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) ح١.

(٢) نهج البلاغة ، الرسائل: ٣٤ ، ومن كتاب له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر. وانظر بحار الأنوار:
ج ٣٣ ص ٥٤٠ ب ٣٠ ح ٧٢.

(٣) أي والدة محمد بن أبي بكر.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٩١-٩٢ ولاية محمد بن أبي بكر على مصر.

(٥) انظر تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٣٢ ب ١٨ ح ٤٩.

(٦) انظر تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٣٢ ب ١٨ ح ٤٩.

يخالفوا شيئاً من أوامره»^(١).

أين حوارى علي (عليه السلام) ؟

وقال أبو الحسن موسى (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه ، فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر ، ثم ينادى أين حوارى علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد وأويس القرني»^(٢).

إنه شهيد حي

قال سليم: فلما قتل محمد بن أبي بكر بمصر وعزيت به أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلوت به وحدثته بما حدثني به محمد بن أبي بكر وبما حدثني به ابن غنم ، قال: «صدق محمد رحمه الله ، أمانه شهيد حي مرزوق»^(٣).

عند الله نحتسبه

وفي التاريخ أنه حزن أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ما بلغه خبر استشهاد محمد بن أبي بكر ، حتى رئي ذلك فيه وتبين في وجهه وقام في الناس خطيباً: «ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه ، أما والله لقد كان ما

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٣٠ ب ١٠ ح ٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤٢ ب ١٠ ضمن ح ٥٢.

(٣) الإرشاد: ج ٢ ص ٣٩٣ خبر وفاة أبي بكر ومعاذ بن جبل.

علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هين المؤمن»^(١).

حزن الإمام (عليه السلام) عليه

وورد أنه: قدم عبد الرحمن بن شبيب وكان عيناً لعلي (عليه السلام) وأخبره أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشر من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضه بعضاً بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر، وقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت يوماً قط سروراً مثل سرور رأيتته بالشام حين أتاهم قتل محمد، فقال علي (عليه السلام): «أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً».

فرد (عليه السلام) مالكا من الطريق وحزن على محمد حتى روي ذلك فيه وتبين في وجهه، وقام خطيباً فحمد الله وأنشئ عليه ثم قال: «ألا وإن مصر قد افتتحتها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله عليه وعند الله نحتسبه، أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب سميت المؤمن»^(٢).

إنه ولدي

وقال المدائني: وقيل لعلي (عليه السلام) لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين؟ فقال: «وما يمنعني أنه كان لي ريباً وكان لبني أخاً وكنت له والداً أعداه ولداً»^(٣).

(١) الغارات: ج ١ ص ١٩٥، وورد قتل محمد بن أبي بكر على علي (عليه السلام).

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٦٣ ب ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٦٦ ب ٣ ضمن ح ٧٢٢.

جزع الأمير (عليه السلام) عليه

وعن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قال: (لما جاء علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) مصاباً بمحمد بن أبي بكر حيث قتله معاوية بن حديج السكوني بمصر جزع عليه جزعاً شديداً) (١).

نقصنا حبيباً

وفي (نهج البلاغة) وقال (عليه السلام) لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر: «إن حزناً عليه على قدر سرورهم به إلا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً» (٢).

الولد الناصح

وفي (نهج البلاغة) أيضاً: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر: «أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدنا ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الواقعة ودعوتهم سرراً وجهراً وأعو دأ وبدءاً» (٣).

رسالة إلى معاوية

وفي (الاحتجاج): كتب محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) إلى معاوية احتجاجاً عليه:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٨٩ ب ٣٠ ضمن ح ٧٣٤.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ح ٣٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الكتب: ٣٥.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد بن أبي بكر إلى الباغي معاوية بن صخر، سلام الله أهل طاعة الله ممن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله، أما بعد فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقا بلا عبث منه ولا ضعف به في قوة، ولكنه خلقهم عبيدا فمنهم شقي وسعيد وغوي ورشيد، ثم اختارهم على علم منه واصطفى وانتخب منهم محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) واصطفاه لرسالته واثمنه على وحيه فدعا إلى سبيل ربه ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، فكان أول من أجاب وأجاب وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فصدقه بالغيب المكتوم وأثره على كل حميم ووقاه كل مكروه وواساه بنفسه في كل خوف، وقد رأيتك تساويه وأنت أنت وهو هو، المبرز السابق في كل خير وأنت اللعين بن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله، تجمعان الجموع على ذلك وتبدلان فيه الأموال وتحالفان عليه القبائل، على ذلك مات أبوك وعليه خلفته أنت فكيف لك الويل تعدل عن علي وهو وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه وأول الناس له اتباعا وآخرهم به عهدا، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك ما استطعت، وتبدد بآبائنا العاص في غوايتك، فكان أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، ثم تستبين لمن تكون العاقبة العليا، والسلام على من اتبع الهدى).

فأجابه معاوية: (إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله، أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفته ورفصته لرأيك فيه، ذكرت حق علي وقديم سوابقه وقربته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته ومواساته إياه في كل خوف وهول، وتفضيلك عليا وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فالحمد لله الذي صرف ذلك عنك وجعله

(١) سورة النحل: ١٢٥.

لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في زمان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نرى حق علي لازمالنا وسبقه مبرز اعلىنا، فلما اختار الله لنبية (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عنده وأتم له ما وعده وقبضه إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على ذلك اتفقا ثم دعوا إلى أنفسهما فأبطأ عليهما فهما به الهموم وأراد به العظيم فبايع وسلم لأمرهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قضى الله من أمرهما ما قضى، ثم قام بعدهما ثالثهما يهدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وأصحابك حتى طمع فيه الأقصي من أهل المعاصي حتى بلغت ما منه مناكم، وكان أبوك مهده مهاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله، وإن يكن جورا فأبوك سنه ونحن شركاؤه وبهديه اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليا ولسلمنا له، ولكن رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله، فعب أباك أو دعه، والسلام على من تاب وأناب^(١).

نجابته من أمه

وعن حمزة بن محمد الطيار قال:

ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (رحمه الله وصلى عليه، قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) يوما من الأيام: ابسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده، فقال: أشهد أنك إمام مفترض طاعتك وأن أبي في النار، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كان النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٨٩ ب ٣٠ ح ٧٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٨٤ ب ٣٠ ح ٧٢٧.

مكذا بايع

وعن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام): «أن محمد بن أبي بكر بايع عليا (عليه السلام) على البراءة من الأول»^(١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «بايع محمد بن أبي بكر على البراءة من الثاني»^(٢).

الأصحاب الأصفياء

كما ورد أن «من أصفياء أصحابه - أي أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) - عمرو بن الحمق الخزاعي عربي وميثم التمار وهو ميثم بن يحيى مولى ورشيد الهجري وحبیب بن مظهر الأسدي ومحمد بن أبي بكر»^(٣).

لا يرضى بمعصية الله

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عزّ وجلّ»^(٤).

المحامدة

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يعصى عزّ وجلّ، قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن

(١) انظر الاختصاص: ص ٧٠ محمد بن أبي بكر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٨٥ ب ٣٠ ح ٧٣٦.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢٧١ ب ٣٤.

(٤) رجال الكشي: ج ١ ص ٦٣ محمد بن أبي بكر ح ١١٢.

جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية - رحمهم الله - أما محمد بن أبي حذيفة فهو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية،^(١).

وفي يوم الجمل

وفي التاريخ أنه: سلم محمد بن أبي بكر يوم الجمل على عائشة - أخته - فلم تكلمه، فقال: أسألك بالله الذي لا إله إلا هو، ألا سمعتك تقولين: الزم علي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»؟
قالت: بلى قد سمعت ذلك منه (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

يحدث بنفائل فاطمة (عليها السلام)

وروي: أن محمد بن أبي بكر قرأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية^(٣)، قلت: وهل تحدث الملائكة إلا الأنبياء؟ قال: مريم ولم تكن نبية وكانت محدثة، وسارة وقد عاينت الملائكة وبشروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبية، وفاطمة بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت محدثة، ولم تكن نبية^(٤).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٧١ ب ٢٠ ح ٥٢٠.

(٢) المناقب: ج ٣ ص ٦٢ فصل في أنه (عليه السلام) مع الحق والحق معه.

(٣) سورة الحج: ٥٢.

(٤) راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٥٥ ب ٣ ح ٤٨.

أسماء بنت عميس

وأم محمد بن أبي بكر هي السيدة الجليلة أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها أبو بكر فأولدها محمداً ثم مات عنها، فخلف عليها علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان محمد ربيبه وخريجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، ورضيع الولاء والتشيع منذ من الصبا، فنشأ عليه، فلم يمكن يعرف أباً غير علي (عليه السلام) ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال (عليه السلام): «محمد ابني من صلب أبي بكر»، وكان يكنى أبا القاسم، وقيل: أبا عبد الرحمن، وكان من نساء قريش، وكان ممن أعان في يوم الدار، واختلف هل باشر قتل عثمان أولاً، ومن ولد محمد: القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيه أهل الحجاز وفاضلها، ومن ولد القاسم: عبد الرحمن من فضلاء قريش ويكنى أبا محمد، ومن ولد القاسم أيضاً: أم فروة تزوجها الإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليهما^(١).

إنهما ابنا خالة

وفي بعض التواريخ: (إن حريثا بعث إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ببنتي يزجر د فأعطى واحدة لابنه الحسين (عليه السلام) فأولدها علي بن الحسين (عليه السلام) وأعطى الأخرى محمد بن أبي بكر فأولدها القاسم بن محمد فهما ابنا خالة)^(٢).

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٢ ص ٤٢ ب ١٦٢ ص ١٢٤ ضمن ح ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٣٠ ب ٤٨ ضمن ح ٣.

أختها

ولأم فروة أخت تعرف بأُمّ حكيمه، كانت زوجة اسحاق العريضي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولدت له القاسم، وهو رجل جليل، كان أميراً على اليمن، وهو أبو داود بن القاسم المعروف بأبي هاشم الجعفري البغدادي، العالم الورع، الثقة الجليل، الذي أدرك الرضا وبقية الأئمة (عليهم السلام)، وكان من وكلاء الناحية المقدّسة، وكان عالي النسب، فإنه ينتهي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه السلام).

فقتها

روى الكليني في الكافي بسنده عن عبد الأعلى قال: رأيت أم فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكرة، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى، فقال لها رجل ممن يطوف: يا أمة الله أخطأت السنة. فقالت: إنا لأغنياء عن علمك^(١).

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا دخلت الحرم فتناول من الإذخر فامضغه» وكان يأمر أم فروة بذلك^(٢).

رواياتها

وقد روت هذه السيدة الجليلة عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات عديدة، منها ما روته عن الإمام السجّاد (عليه السلام) حيث قال لها:

(١) الكافي: ج ٤ ص ٤٢٨ باب نوادر الطواف ح ٦.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٩٨ باب دخول الحرم ح ٣.

«يا أم فروة إنني لأدعو الله^(١) لمذنبني شيعةتنا في اليوم واللييلة ألف مرة، لأننا نحن فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب، وهم يصبرون على ما لا يعلمون»^(٢).

رعايتها

كان الإمام الصادق (عليه السلام) يهتم برعاية زوجته أم فروة، وقد اشترى لها خادمة لكي تعينها في أمور البيت.

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لإسماعيل حبيبه و حارث البصري: «اطلبوا لي جارية من هذا الذي تسمونها كدبانو جة^(٣) مسلمة تكون مع أم فروة».

فدلوه على جارية كانت لشريك لأبي من السراجين فولدت له بنتا ومات ولدها، فأخبروه بخبرها فاشتروها وحملوها إليه، وكان اسمها رسالة فحول اسمها فسمها سلمى وزوجها سالم فهي أم حسين بن سالم. وفي بعض الروايات أن مولاتها كانت (سعيدة).

في التهذيب عن الحسين بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ جاءه محمد بن عبد السلام، فقال له: جعلت فداك يقول لك جدي: إن رجلاً ضرب بقرة بفأس فسقطت ثم ذبحها؟

فلم يرسل معه بالجواب، ودعا سعيدة مولاة أم فروة فقال لها: «إن محمد جاءني برسالة منك، فكرهت أن أرسل إليك بالجواب معه، فإن كان الرجل الذي ذبح البقرة حين ذبح خرج الدم معتدلاً فكلوا وأطعموا، وإن كان خرج خروجا متثاقلاً

(١) أي استغفر.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) ح ١.

(٣) كدبانو جة: معربة (كدبانو) أي المرأة التي تدير البيت وتقوم بشؤونها من الطبخ وما أشبه.

فلا تقربوه،^(١).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٥٦ ب اح ٢٣٦.

الفصل التاسع

السيدة حميدة المغربية (عليها السلام)

والدة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة حميدة المغربية (البربرية) بنت صاعد البربري.

لقبها: لؤلؤة.

وقد لقبها الإمام الباقر (عليه السلام) بالمحمودة، حيث قال لها: «أنت حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة»^(١).

ولقبها الإمام الصادق (عليه السلام) بالمصفاة من الأذناس^(٢).

والسيدة حميدة من أهل بربر، وقيل: إنها أندلسية.

وكانت من المتقيات الثقة.

وكانت الملائكة تحرسها، كما في الحديث الشريف^(٣).

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يرسلها مع أم فروة لقضاء حقوق أهل المدينة.

وكانت من أشرف العجم^(٤).

قصة زواجها

وقصة زواج السيدة حميدة (عليها السلام) بالإمام الصادق (عليه السلام)

(١) راجع الكافي: ج ١ ص ٤٧٦ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ضمن ح ١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ ح ٢.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٤١٤ ب ١.

تتضمّن كرامات عديدة، حيث ورد أن ابن عكاشة بن محصن الأسدي دخل على أبي جعفر (عليه السلام)، وكان أبو عبد الله (عليه السلام) قائماً عنده، فقدم إليه عنياً، فقال: حبة حبة يأكله الشيخ الكبير والصبي الصغير، وثلاثة وأربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع، وكله حبتين حبتين فإنه يستحب.

فقال لأبي جعفر (عليه السلام): لأي شيء لا تزوّج أبا عبد الله (عليه السلام)، فقد أدرك التزويج؟

قال: وبين يديه صرة مختومة.

فقال: سيجيء نخّاس^(١) من أهل بربر فينزل دار ميمون فنشتري له بهذه الصرة جارية.

قال: فأتى لذلك ما أتى.

فدخلنا يوماً على أبي جعفر (عليه السلام)، فقال: «ألا أخبركم عن النخّاس الذي ذكرته لكم؟ قد قدم، فاذهبوا فاشترُوا بهذه الصرة منه جارية».

قال: فأتينا النخّاس، فقال: قد بعث ما كان عندي، إلا جارتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى.

قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما، فأخرجهما.

فقلنا: بكم تبيع هذه الجارية المتمثلة؟

قال: بسبعين ديناراً.

قلنا: أحسن.

قال: لا أنقص من سبعين ديناراً.

قلنا: نشترها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندري ما فيها، وكان عنده رجل

(١) النخّاس: بائع الرقيق، (لسان العرب) مادة نخس.

أبيض الرأس واللحية قال: فكّوا وزنوا.

فقال: النخاس: لا تفكّوا فإنّها إن نقصت حبة من سبعين ديناراً لم أبايعكم.

فقال الشيخ: ادنوا.

فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير فإذا هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص.

فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر (عليه السلام) وجعفر (عليه السلام) قائم عنده، فأخبرنا أبا جعفر (عليه السلام) بما كان.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لها: ما اسمك؟

قالت: حميدة.

فقال: حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة، أخبريني عنك، أبكر أنت أم ثيب؟

قالت: بكر.

قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه؟

فقالت: قد كان يجيئني فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مراراً، وفعل الشيخ به مراراً.

فقال (عليه السلام): يا جعفر خذها إليك، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر (عليه السلام) (١).

المولود المبارك

عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «حميدة مصفأة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها، حتى أدت إليّ كرامة من الله لي، والحجة من

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ح ١.

بعدي) (١).

وعن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) في السنة التي ولد فيها ابنه موسى (عليه السلام)، فلما نزلنا الأبواء، وضع لنا أبو عبد الله (عليه السلام) الغداء ولأصحابه، وأكثره وأطابه، فبينما نحن نتعدى إذ أتاه رسول حميدة: أن أطلق قد ضربني، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا.
فقام أبو عبد الله (عليه السلام) فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه، ضاحكاً سنه.

فقلنا: أضحك الله سنك، وأقر عينك ما صنعت حميدة؟

فقال: (وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله (أي خلق الله من العدم) ولقد خبرتني بأمر كنت أعلم به منها).

قلت: جعلت فداك وما خبرتك عنه حميدة؟

قال: ذكرت أنه لما وقع من بطنها، وقع واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتني أن تلك أمارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمارة الإمام (عليه السلام) من بعده (٢)، الحديث.

وفي رواية أخرى:

عن أبي بصير قال: حججنا مع أبي عبد الله (عليه السلام) في السنة التي ولد فيها ابنه موسى (عليه السلام) فلما نزلنا الأبواء وضع لنا الغداء وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثر وأطاب، قال: فبينما نحن نأكل إذ أتاه رسول حميدة فقال له: إن حميدة تقول: قد أنكرت نفسي وقد وجدت ما كنت أجد إذا حضرت ولا دتي وقد أمرتني أن لا أستبقك بابنك هذا.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ ح ٢.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٤٤٠ ب ١٢ ح ٤.

فقام أبو عبد الله (عليه السلام) فانطلق مع الرسول.

فلما انصرف قال له أصحابه: سر ك الله وجعلنا فداك فما أنت صنعت من

حميدة؟

قال: «سلمها الله وقد وهب لي غلاما وهو خير من برأ الله في خلقه، ولقد أخبرتني حميدة عنه بأمر ظنت أنني لا أعرفه ولقد كنت أعلم به منها».

فقلت: جعلت فداك وما الذي أخبرتك به حميدة عنه؟

قال: ذكرت أنه سقط من بطنها حين سقط واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه إلى السماء، فأخبرتني أن ذلك أمانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمانة الوصي من بعده.

فقلت: جعلت فداك وما هذا من أمانة رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) وأمانة الوصي من بعده؟

فقال لي: «إنه لما كانت الليلة التي علق فيها بجدي أتى آت جد أبي بكأس فيه شربة أرق من الماء وألين من الزبد وأحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فسقاه إياه وأمره بالجماع، فقام فجامع فعلق بجدي، ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بأبي أتى آت جدي فسقاه كما سقى جد أبي وأمره بمثل الذي أمره فقام فجامع فعلق بأبي، ولما أن كانت الليلة التي علق فيها فسقاهم وأمره بالذي أمرهم به فقام فجامع فعلق بي، ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بابني أتاني آت كما أتاهم ففعل بي كما فعل بهم، فقامت بعلم الله وإنني مسرور بما يهب الله لي فجامعت فعلق بابني هذا المولود، فدونكم فهو والله صاحبكم من بعدي، إن نطفة الإمام مما أخبرتك، وإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشئ فيها الروح بعث الله تبارك وتعالى ملكا يقال له حيوان فكتب على عضده

الأيمن ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾^(١) وإذا وقع من بطن أمه وقع واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه إلى السماء، فأما وضعه يديه على الأرض فإنه يقبض كل علم لله أنزله من السماء إلى الأرض، وأما رفعه رأسه إلى السماء فإن مناديا ينادي به من بطنان العرش من قبل رب العزة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه يقول: يا فلان بن فلان اثبت تثبت فلعظيم ما خلقتك أنت صفوتي من خلقي وموضع سري وعيبة علمي وأميني على وحيي وخليفتي في أرضي، لك ولمن تولاك أوجبت رحمتي ومنحت جناني وأحللت جواربي، ثم وعزتي وجلالي لأصلين من عاداك أشد عذابي وإن وسعت عليه في دنياي من سعة رزقي، فإذا انقضى الصوت صوت المنادي أجابه هو واضعا يديه رافعا رأسه إلى السماء يقول: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^(٢).

قال: «فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر واستحق زيارة الروح في ليلة القدر».

قلت: جعلت فداك الروح ليس هو جبرئيل؟

قال: الروح هو أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾^(٣) (٤).

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٨.

(٣) سورة القدر: ٤.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٨٥ باب موالي الأئمة ح ١.

بنخ بنك

وقالوا: لما ولد موسى بن جعفر (عليه السلام) دخل أبو عبد الله (عليه السلام) على حميدة البربرية أم موسى (عليه السلام) فقال لها: «يا حميدة بنخ بنخ حل الملك في بيتك»^(١).

راعيها لزوجها

وكانت السيدة حميدة مهتمة برعاية زوجها الإمام الصادق (عليه السلام).
عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ولقد آذاني أكل الخل والزيت حتى إن حميدة أمرت بدجاجة مشوية فرجعت إلي نفسي»^(٢).

أولادها

وقد رزقها الله من الإمام الصادق (عليه السلام)، مضافاً إلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): إسحاق ومحمد وفاطمة^(٣).

فقيها

كانت السيدة حميدة فقيهة بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يرجع النساء إليها في تعلم الأحكام الشرعية والسؤال عن المسائل الفقهية وما أشبهه.

عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ١٥ ب ٤٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤٧ ب ١٦ ح ٣١١٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ٧ ب ١ ضمن ح ١٠.

قلت له: إن معنصبياً مولوداً فكيف نصنع به؟

فقال (عليه السلام): «مر أمه تلقى حميدة فتسألها كيف تصنع بصبيانها».

فأنتها فسألتها كيف تصنع؟

فقلت: (إذا كان يوم التروية فأحر مواعنه وجر دوه وغسلوه كما يجرد المحرم، وقفوا به المواقف، فإذا كان يوم النحر فارمواعنه واحلقوا رأسه، ثم زوروا به البيت، ومرى الجارية أن تطوف به بين الصفا والمروة)^(١).

روايتها

وكانت السيدة حميدة (عليها السلام) من رواة أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

روى أبو بصير قال: دخلت على أم حميدة أعزىها بأبي عبد الله (عليه السلام) فبكت وبكى لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: «اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة» قالت: فما تركنا أحداً إلا جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: «إن شفاعتنا تنال مستخفاً بالصلاة»^(٢).

وفي حديث آخر: قال (عليه السلام): «إن شفاعتنا تنال مستخفاً بالصلاة ولم ير د علينا الحوض من يشرب من هذه الأثرية» فقال له بعضهم: أي أثرية هي؟ فقال: «كل مسكر»^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٢٨٦ ب ١٧ ح ١٤٨١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٢٦ ب ٦ ح ٤٤٢٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٥٧ ب ١١ ح ٢٠٧٣٨.

تزويج ابنها

كانت السيدة حميدة (عليها السلام) ذات مكانة عالية عند أهل البيت (عليهم السلام)، وقد اهتمت بأمر تزويج ولدها الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وهي التي اشترت السيدة نجمة (تكتم) والدة الإمام الرضا (عليه السلام) لولدها وزوجته منه بأمر الإمام الصادق (عليه السلام)، بل بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً.

عن علي بن ميثم عن أبيه قال: (لما اشترت حميدة أم موسى بن جعفر (عليه السلام) أم الرضا (عليه السلام) نجمة ذكرت حميدة أنها رأت في المنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لها: «يا حميدة هي نجمة لابنك موسى، فإنه سيولد له منها خير أهل الأرض» فوهبتها له الرضا (عليه السلام) سماها الطاهرة، وكانت لها أسماء منها: نجمة وأروى وسكن وسمان وتكتم وهو آخر أساميها)^(١).

وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام) عن عون بن محمد الكندي قال: سمعت أبا الحسن علي بن ميثم يقول: ما رأيت أحداً قط أعرف بأمر الأئمة (عليهم السلام) وأخبارهم ومناكحهم منه، قال: اشترت حميدة المصفاة وهي أم أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) وكانت من أشرف العجم جارية مولدة واسمها تكتم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها المولاتها حميدة المصفاة حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها، فقالت لابنها موسى (عليه السلام): يا بني إن تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها ولست أشك أن الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً، فلما

(١) بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٧١ ب ٨.

ولدت له الرضا ع سماها الطاهرة (١).

بكاؤها على زوجها

وقد بكت السيدة حميدة على زوجها في وفاته وكلما كانت تذكره، كما مر في رواية أبي بصير قال: (دخلت على أم حميدة أعزى بها بأبي عبد الله (عليه السلام) فبكت وبكى لبيكاتها) (٢).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص١٤٢ ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٢٦٦ ح٤٤٢٣.

الفصل العاشر

السيدة تكتم الطاهرة (عليها السلام)

والدة الإمام الرضا (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة الجليلة نجمة (عليها السلام) والدة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

ومن أسمائها: (تكتم) بضم أوله وسكون الكاف وفتح التاء الفوقانية قبل الميم. و(طاهرة) و(أروى) و(سكن النوبية) و(سمان).

وقيل: (خيزران المرسية)، وقيل: (صقر)، وقيل: (شقراء النوبية).
كنيتها: أم البنين^(١).

من فضائلها

روى الشيخ الصدوق (قدس سره) في العيون:

تسمى باسمها حين ملكها أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) وهي أمّ ولده الإمام الرضا (عليه السلام)، كانت من أشرف العجم، جارية مولدة، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها المولاتها (حميدة المصفاة) حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها.

فقال لابنها موسى (عليه السلام): يا بني، إن تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك أن الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك، فاستوص خيراً بها، فلما ولدت له الرضا (عليه السلام) سماها الطاهرة^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٣ ب ١.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٤ ح ٢-١.

إن الله أمر بشرائها

روي عن أبي الحسن الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «والله ما اشترت هذه الأمة إلا بأمر الله ووحيه».

فسئل عن ذلك؟

فقال: «بيننا أنا نائم، إذ أتاني جدِّي وأبي، ومعهما شقَّةٌ^(١) حرير، فنشراها، فإذا قميص فيه صورة هذه الجارية، فقال: يا موسى، ليكوننَّ من هذه الجارية خير أهل الأرض، ثم أمرني إذا ولدته أن أسميه علياً، وقالوا: إن الله تعالى يظهر به العدل والرأفة، طوبى لمن صدَّقه، وويل لمن عاداه وجحده وعانده»^(٢).

ويستفاد من هذه الأخبار أن الجاريات أمَّهات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) إنما يشتريهن بأمر الله تعالى، ولعلَّ السَّرْفِي ذلك هو إرادته سبحانه - بالإضافة إلى طهارتهنَّ - إظهاراً أنه لا فرق بين الحرَّة والأمة من هذه الجهة.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بالزواج الطاهر

روي أن حميدة أم موسى بن جعفر (عليه السلام) لما اشترت نجمة رأت في المنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لها: يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى (عليه السلام) فإنه سيدلُّه منها خير أهل الأرض فوهبته له^(٣).

قال علي بن ميثم: سمعت أبي يقول: سمعت أُمِّي تقول: كانت نجمة بكر أَلْمَا اشترتها حميدة.

(١) الشقَّة: القطعة، (لسان العرب) مادة شقق.

(٢) دلائل الإمامة: ص ١٧٥.

(٣) إعلام الوري: ص ٣٦٤ ب ٧ فصل ١.

عند ما حملت بالنور

روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن نجمة (عليها السلام) أم الإمام الرضا (عليه السلام) أنها قالت:

لمّا حملت بابني علي لم أشعر بثقل الحمل وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ذلك ويهولني، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً. فلمّا وضعت، وقع على الأرض واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، يحرك شفّتيه كأنه يتكلّم، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر (عليه السلام)، فقال لي: «هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربّك».

فناولته إياه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه الأيمن وأقام في الأيسر، ودعا بماء الفرات فحنّكه، ثم رده إليّ، فقال: «خذيّه فإنّه بقية الله في أرضه»^(١).

ولدت السيدة نجمة (عليها السلام) ولدها الطاهر الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يوم الجمعة بالمدينة المنورة، وقيل: يوم الخميس، لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة، بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) بخمس سنين، رواه ابن بابويه، وقيل: سنة إحدى وخمسين ومائة^(٢).

في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

تولت السيدة الجليلة حميدة (عليها السلام) والدة الإمام الكاظم (عليه السلام) بتربية وتعليم السيدة نجمة (عليها السلام) حتى تعلمت الكثير من علوم آل محمد (عليهم السلام)، كما تربت وتعلمت من زوجها الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص٢٠ ب٣ ح٢.

(٢) انظر المناقب: ج٤ ص٣٦٦.

السلام).

قمة الأدب

كانت السيدة نجمة (عليها السلام) في قمة الأخلاق والأدب الإسلامي، وكانت أسوة حسنة للنساء في ذلك.

فقد ورد:

(أن تكتم كانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها المولاتها حميدة المصفاة حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالها)^(١).

(١) راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٣ ب ٢.

الفصل الحادي عشر

السيدة سبيكة (عليها السلام)

والدة الإمام

محمد بن علي الجواد (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة سبيكة النوبية (عليها السلام) والدة الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام).

ومن أسمائها أيضاً: (درة) و(خيزران) و(ريحانة).

وقيل: (سكينة).

كنيتها: (أم الحسن).

ذكر الشيخ الكليني: أن أم الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) هي أم ولد يقال لها: سبيكة نوبية.

وروى: أنها (عليها السلام) كانت من أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

وفي البحار: وأمّه أم ولد تدعى (درة) وكانت مرسية أو مريسية ^(٢) ثم سماها الرضا (عليه السلام): (خيزران) ^(٣).

من فضائلها

كانت السيدة سبيكة (عليها السلام) من أفضل نساء زمانها، وقد أشار إليها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «بأبي ابن خيرة الإماء النوبية»

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٩٢ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني (عليه السلام).

(٢) مريسة - بتشديد الراء - على وزن سكينة، قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ١٣ ح ١٢.

المعصوم (عليه السلام) يبلغها السلام

وفي خبر يزيد بن سليط، وملاقاته للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في طريق مكة المكرمة وهم يريدون العمرة:

قال الإمام أبو إبراهيم موسى الكاظم (عليه السلام):

«إني أؤخذ في هذه السنة، والأمر إلى ابني علي، سميّ علي وعلي.

فأمّا علي الأول فعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأمّا علي الآخر فعلي بن الحسين (عليه السلام).

أعطي فهم الأول وحكمته وبصره وودّه ودينه ومحنته.

ومحنة الآخر وصبره على ما يكره وليس له أن يتكلّم إلاّ بعد موت هارون بأربع

سنين».

ثم قال: «يا يزيد، فإذا مررت بهذا الموضوع ولقيته وستلقاه، فبشّره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنك لقيتني، فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية أهل بيت مارية القبطية^(٢) جارية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن قدرت أن تبلغها منّي السلام فافعل ذلك»^(٣).

(١) راجع كشف الغمّة: ج ٢ ص ٣٥١.

(٢) القبط: أهل مصر ونسبت إليهم قبطية، كتاب (العين) مادة قبط.

(٣) إعلام الوري: ص ٣٦٩ الفصل ٢.

عند ولادة النور

روى ابن شهر آشوب عن حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)،
قالت:

لمّا حضرت ولادة الخيزران أمّ أبي جعفر (عليه السلام)، دعاني الرضا (عليه
السلام)، فقال لي: «يا حكيمة، احضري ولادتها وأخلمي وإياها والقابلة بيتاً»
ووضع لنا مصباحاً وأغلق الباب علينا.

فلمّا أخذها الطلق^(١) طفلي المصباح وبين يديها طست، فاغتمت بطفلي
المصباح، فيبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر (عليه السلام) في الطست وإذ عليه
شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه.
فأخذته فوضعتة في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء.

فجاء الرضا (عليه السلام) ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في
المهد وقال لي: «يا حكيمة، إلزمي مهده».

قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء، ثم نظر يمينه ويساره ثم
قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

فقمّت ذعرة^(٢) فزعة، فأتيت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت: سمعت من هذا
الصبي عجباً.

فقال: «وما ذاك؟»

فأخبرته الخبر.

(١) الطلق: وجع الولادة، (لسان العرب) مادة طلق.

(٢) الذعر: الخوف والفرع، (لسان العرب) مادة ذعر.

فقال: (يا حكيمة، ماترون من عجائبه أكثر)^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٩٥.

الفصل الثاني عشر

السيدة سمانة المغربية (عليها السلام)

والدة الإمام

علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة سمانة المغربية (عليها السلام) ، والدة الإمام علي الهادي (عليه السلام)

ومن أسمائها: (سوسن) و (منفرشة المغربية).

كنيتها: (أم الحسن) و (أم الفضل).

فضائلها

كانت (عليها السلام) من أفضل نساء زمانها.

وقد تولّى الإمام الجواد (عليه السلام) تربيتها وتهذيبها، فأقبلت على طاعة الله وعبادته، وكانت من القانتات المتهجّجات، والتاليات لكتاب الله، وكانت من التقوى والورع بحيث لا يقربها شيطان مارد.

روي عن أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنه قال:

«أمّي عارفة بحقيّ وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبّار عنيد، وهي مكلوءة^(١) بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن أمّهات الصديقين والصالحين»^(٢).

(١) مكلوءة: محفوظة ومحروسة.

(٢) دلائل الإمامة: ص ٢١٦.

الزواج المبارك

روى محمد بن الفرّج بن إبراهيم قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) فأعلمني أنّ قافلة قد قدمت وفيها نخّاس ومعه جوار، ودفع إليّ سبعين ديناراً، وأمرني بابتياح جارية وصفهالي، فمضيت وعملت بما أمرني، فكانت الجارية أمّ أبي الحسن (عليه السلام) (١).

المولود الطاهر

ولدت السيدة سمّانة (عليها السلام) مولودها الطاهر الإمام الهادي (عليه السلام) في المدينة المنورة، وقيل في بصريا (٢) من يثرب (٣) في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة، أو الثاني من رجب، سنة مائتين واثنني عشرة، وقيل: في الثالث من شهر رجب عام مائتين وأربع عشرة للهجرة.

(١) دلائل الإمامة: ص ٢١٦.

(٢) بصريا: قرية أسّسها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) تبعد عن المدينة المنورة بثلاثة أميال.

المناقب: ج ٤ ص ٣٨٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ١١٥ ب ١ ح ٤.

الفصل الثالث عشر

السيدة حديث (عليها السلام)

والدة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

نسبها

هي السيدة (حُدِيث) (عليها السلام) والدة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

ومن أسمائها: (سُلَيْل) و(جدة).

وقيل: (سمانة)، وقيل: (سوسن).

من فضائلها

كانت (عليها السلام) من العارفات الصالحات، وكفى في فضلها أنها كانت مفزع الشيعة بعد وفاة أبي محمد العسكري (عليه السلام).

فقد روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن صاحب العسكر (عليهم السلام) في سنة اثنتي وستين ومائتين، فكلّمتها من وراء حجاب وسألته عن دينها فسمت لي من تأتم بهم.

ثم قالت: والحجة بن الحسن بن علي (عليه السلام) فسمته.

فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟

فقلت: خبراً عن أبي محمد (عليه السلام) كتب به إلى أمّه.

فقلت لها: فأين الولد؟

فقلت: مستور.

فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟

فقلت: إلى الجدة أم أبي محمد (عليه السلام).

فقلت لها: أقتدي بمن وصيَّته إلى امرأة؟

فقلت: اقتداء بالحسين بن علي (عليه السلام)، فإنَّ الحسين بن علي (عليه السلام) أوصى إلى أخته زينب بنت علي (عليها السلام) في الظاهر، فكان ما يخرج عن علي بن الحسين (عليه السلام) من علم ينسب إلى زينب (عليها السلام) سترًا على علي بن الحسين (عليه السلام) (١).

وقد أثنى عليها الإمام الهادي (عليه السلام) وأشاد بمكانتها وسمو منزلتها وكراماتها، فقال (عليه السلام):

«سليل - وهو اسمها - مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس».

وروي عن العالم (عليه السلام) أنه لما دخلت سليل أم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) على الإمام الهادي (عليه السلام) قال: «سليل سلَّت من كل آفة وعاهة، ومن كل رجس ونجاسة، ثم قال: لا تلبثين حتى يعطيك الله عز وجل حجته على خلقه الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

المولود الطاهر

روى العلامة المجلسي (رحمه الله) في بحاره: أنه كان مولد أبي محمد (عليه السلام) بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وأمه أم ولد يقال لها حديثة (٢).

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٥٠٧ ب ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٢٣٥ ح ٢.

الفصل الرابع عشر:

السيدة نرجس (عليها السلام)

والدة الإمام المهدي المنتظر (عج)

نسبها

هي السيدة نرجس (عليها السلام) بنت يشوع ابن قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحواريين تنسب إلى شمعون وصي المسيح (عليه السلام).
ومن أسمائها أيضاً: (مليكة) و(صقيل) و(سوسن) و(ريحانة) و(مريم).
وقيل: (حكيمه)، وقيل: (خمط).
ولكن أشهر أسمائها: (نرجس).
وكنيتها: أم محمد.

الإمام الهادي (عليه السلام) يأمر بشرائها

روى بشر بن سليمان النخاس، وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري، أحد موالي أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وأبي محمد العسكري (عليه السلام) وجارهما بسر من رأى، قال:

كان مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) فقهني في أمر الرقيق، فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه، فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه، فأحسنت الفرق فيما بين الحلال والحرام، فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسر من رأى، وقد مضى هوي^(١) من الليل إذ قرع الباب قارع، فعدوت مسرعاً فإذا أنا بكافور الخادم، رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يدعوني إليه.

(١) الهوي: الحين الطويل من الزمان، (لسان العرب) مادة هوا.

فلبست ثيابي ودخلت عليه، فرأيته يحدثُ ابنه أبا محمد (عليه السلام) وأخته
حكيمَة (عليها السلام) من وراء الستر.

فلما جلست قال: يا بشر، إنك من ولد الأنصار، وهذه الولاية لم تزل فيكم،
يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنني مُزكّيك ومشرّفك بفضيلة
تسبق بها شأؤ (١) الشيعة في الموالاة بها: بسرّ أطلعك عليه، وأنفذك في اتباع أمة.
فكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية، وطبع عليه بخاتمه، وأخرج
شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: خذها وتوجّه بها إلى بغداد،
وأحضر معبر (٢) الفرات (٣) ضحوة كذا.

فإذا وصلت إلى جانبك السبايا، وبرزن الجوارى منها، بهم طوائف المبتاعين
من وكلاء قواد بني العباس، وشرادم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من
البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية
صفتها كذا وكذا، لابسة حرير تين صفيقتين تمتنع من السفور ولمس المعترض
والانقياد لمن يحاول لمسها، ويشغل نظره بتأمّل مكاشفها من وراء الستر الرقيق
فيضربها النخّاس، فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه.

فيقول بعض المبتاعين: عليّ بثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة.
فتقول بالعربية: لو برزت في زي سليمان (عليه السلام) وعلى مثل سرير ملكه ما
بدت لي فيك رغبة، فأشفق على مالك.

(١) الشاؤ: السبق، (لسان العرب) مادة شأى.

(٢) معبر: أي الجسر الذي يعبر الناس عليه، الصرّة: اسم لنهرين في بغداد، هما: الصرّة الكبرى،
والصرّة الصغرى، ذكر ذلك ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان).

(٣) الفرات: نهر عظيم مشهور يخرج من حدود الروم ثم يمرّ بأطراف الشام ثم بالكوفة ثم بالحلة ثم يلتقي
مع دجلة في البطائع ويصيران نهراً واحداً ثم يصب عند عبادان في بحر فارس. (مجمع البحرين) مادة
فرت.

فيقول النخّاس: فما الحيلة، ولا بدّ من بيعك؟.

فتقول الجارية: وما العجلة؟ ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى أمانته وديانته.

فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له: إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف، كتبه بلغة رومية وخطّ رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاؤه، فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإنّ مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتاعها منك.

قال بشر بن سليمان النخّاس: فامتثلت جميع ما حدّه^(١) لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمر الجارية.

فلما نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً، وقالت لعمر بن يزيد النخّاس: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة^(٢) المغلّظة أنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها.

فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحابنيه مولاي (عليه السلام) من الدنانير في الشستقة (أي الصرة) الصفرء، فاستوفاه منّي وتسلّمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت آوي إليها ببغداد.

أنا مليكة

فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاهما (عليه السلام) من جيبيها وهي

(١) حدّه: ميّزه، (لسان العرب) مادة حدّ.

(٢) المحرجة: أي القسم واليمين التي تضيق على الحالف، بحيث لا يبقى له مجال عن برّ قسمه، قوله (المغلّظة): أي المؤكّدة من اليمين والقسم.

تلثمه^(١) وتضعه على خدّها، وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنّها.

فقلت تعجباً منها: أتلتثمين كتاباً ولا تعرفين صاحبه؟

قالت: أيها العاجز، الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء (عليهم السلام)،
أعرني سمعك وفرغ لي قلبك.

أنا مليكة بنت يشوع ابن قيصر ملك الروم.

وأُمِّي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح (عليه السلام) شمعون.

أنبتك العجب العجيب: إن جدّي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه، وأنا من
بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسيسين
والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار سبعمائة رجل، وجمع من أمراء
الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو
ملكه عرشاً مصوغاً من أصناف الجواهر إلى صحن القصر، فرفعه فوق أربعين
مرقاة^(٢).

فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفاً^(٣)، ونشرت
أسفار الإنجيل، تساقطت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض، وتقوّضت^(٤)
الأعمدة فانهارت إلى القرار.

وخرّ الصاعد من العرش مغشياً عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت
فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي: أيها الملك، أعفنا من ملاقات هذه النحوس الدالّة
على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني.

(١) تلثمه: تقبله، (لسان العرب) مادة لثم.

(٢) المرقاة: الدرجة، (لسان العرب) مادة رقو.

(٣) عكف: أقبل عليه مواظباً لا يصرف عنه وجهه، (لسان العرب) مادة عكف.

(٤) تقوّضت: تفرقت، (لسان العرب) مادة قوض.

فتطير جدّي من ذلك تطيراً شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصليبان وأحضروا أخاهذا المدبر العاشر^(١) المنكوس جدّه لأزواج منه هذه الصبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول، وتفرّق الناس، وقام جدّي قيصر مغتماً، ودخل قصره، وأرخت الستور.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطبها من

عيسى (عليه السلام)

فرأيت في تلك الليلة كأنّ المسيح (عليه السلام) والشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا فيه منبراً يباري^(٢) السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدّي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع فتية وعدّة من بنيّه، فيقوم إليه المسيح (عليه السلام) فيعتنقه، فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم): يا روح الله إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأوماً بيده إلى أبي محمد (عليه السلام) صاحب هذا الكتاب.

فنظر المسيح (عليه السلام) إلى شمعون، فقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك برحم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر وخطب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجني منه، وشهد المسيح (عليه السلام) وشهد بنو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) العاشر: الكذاب، (لسان العرب) مادة عشر.

(٢) يباري: يسابق، (مجمع البحرين) مادة برأ.

وسلم) والحواريون.

فلما استيقظت من نومي أشفقت أن أقصَّ هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل، فكنت أسرها في نفسي ولا أبديها لهم.

الإفراج عن أسرى المسلمين

وضرب صدري بمحبة أبي محمد (عليه السلام) حتى امتنعت من الطعام والشراب، وضعفت نفسي، ودقَّ شخصي، ومرضت مرضاً شديداً، فمابقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي.

فلما برح به اليأس قال: يا قرّة عيني فهل تخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا؟

فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقت عليهم، ومننتهم بالخلاص، لرجوت أن يهب المسيح وأمّه (عليهما السلام) لي عافية وشفاءً.

فلما فعل ذلك جدي تجلّدت في إظهار الصحة في بدني، وتناولت يسيراً من الطعام، فسرب ذلك جدي، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

إسلامها

فرأيت أيضاً بعد أربع ليال كأنّ سيّدة النساء (عليها السلام) قد زارتني ومعها مريم بنت عمران (عليها السلام) وألف وصيفة^(١) من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيّدة نساء العالمين، وأمّ زوجك أبي محمد (عليه السلام).

(١) الوصيفة: الأمة، (لسان العرب) مادة وصف.

فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد (عليه السلام) من زيارتي.
فقلت لي سيدة النساء (عليها السلام): إن أبنّي (عليه السلام) لا يزورك وأنت
مشاركة بالله وعلى مذهب النصارى، وهذه أختي مريم (عليها السلام) تبرأ إلى الله
تعالى من دينك، فإنّ ملت إلى رضى الله عزّ وجلّ ورضى المسيح ومريم (عليهما
السلام) عنك وزيارة أبي محمد (عليه السلام) إليك فقولني:
(رحمه الله) أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن أبا محمّد رسول الله».

فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمّمتني سيدة النساء (عليها السلام) إلى صدرها،
فطبّبت لي نفسي وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمد (عليه السلام) إليك فإنني
منفذته إليك.

فانتبهت وأنا أقول: واشوقاه إلى لقاء أبي محمد.

في لقاء الحبيب

فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد (عليه السلام) في منامي، فرأيتُه كأنني
أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك؟
فقال: ما كان تأخيرني عنك إلاّ شركك، وإذ قد أسلمت فإنني زائر في كل ليلة
إلى أن يجمع الله شملنا في العيان.
فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قصة الأسر

قال بشر: فقلت لها: كيف وقعت في الأسر؟

فقلت: أخبرني أبو محمد (عليه السلام) ليلة من الليالي إنَّ جدَّك سيسرب^(١) جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم، فعليك اللحاق بهم متنكراً في زيِّ الخدم مع عدَّة من الوصائف من طريق كذا.

ففعلت، فوَقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر أحد بي بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك بإطلاعي إياك عليه.

ولقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي، فأذكرته وقلت: نرجس.

فقال: اسم الجواري.

رومية تتكلم بالعربية

فقلت: العجب إنك رومية ولسانك عربي؟

قالت: بلغ من ولوع^(٢) جدِّي وحمله إياي على تعلُّم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانه في الاختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً، وتفيدني العربية حتى استمرَّ عليها الساني واستقام.

البشرى بشرف الأبد

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سرِّ من رأى دخلت على مولانا أبي الحسن العسكري (عليه السلام)، فقال لها: كيف أراك الله عزَّ الإسلام وذلَّ النصرانية وشرف أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

(١) يسرب: يجري، كتاب (العين) مادة سرب.

(٢) الولوع: العلاقة، (لسان العرب) مادة ولع.

قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أنت أعلم به مني؟

قال: فإني أريد أن أكرمك، فإيما أحب إليك: عشرة آلاف درهم؟ أم بشرى لك بشرف الأبد؟

قالت: بل البشري.

قال (عليه السلام): فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قالت: ممّن؟

قال (عليه السلام): ممّن خطبك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له من ليل كذا من شهر كذا، من سنة كذا بالرومية.

قالت: من المسيح (عليه السلام) ووصيّه.

قال: ممّن زوجك المسيح (عليه السلام) ووصيّه؟

قالت: من ابنك أبي محمد (عليه السلام).

قال: فهل تعرفينه؟

قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء، أمّه؟

علميها الفرائض والسنن

فقال أبو الحسن الهادي (عليه السلام): يا كافور أدع لي أختي حكيمة (عليها السلام).

فلما دخلت عليه قال لها: ها هي.

فاعتقتها طويلاً، وسرّتها كثيراً.

فقال لها مولانا (عليه السلام): يا بنت رسول الله اخرجيها إلى منزلك، وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد (عليه السلام) وأمّ القائم (عليه السلام) (١).

في ليلة النصف من شعبان

روت السيّدة حكيمّة (عليها السلام) بنت أبي جعفر الجواد (عليه السلام) وقالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة (عليه السلام)، وهو حجّته في أرضه.

قالت: فقلت له: ومن أمه؟

قال لي: نرجس؟

قلت له: والله جعلني الله فداك ما بها أثر.

فقال: هو ما أقول لك.

قالت: فجنّت فلماً سلّمت وجلست، جاءت تنزع بخفي وقالت لي: يا سيدي

كيف أمسيت؟

فقلت: بل أنت سيدي وسيدة أهلي.

قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟

قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيدي في

الدنيا والآخرة.

قالت: فخجلت واستحييت.

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٤١٧ ب ٤١ ح ١.

فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة وأخذت مضجعي ، فرقدت ، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ، ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليست بها حادثة ، ثم جلست معقبة ، ثم اضطجعت ، ثم انتبهت فرعة وهي راقدة ، ثم قامت وصلت ونامت .

قالت السيِّدة حكيمه (عليها السلام) : وخرجت أنفقَّد الفجر وإذا بالفجر الأول كذبه السرحان وهي نائمة .

قالت السيِّدة حكيمه (عليها السلام) : فدخلتني الشكوك .

فصاح بي أبو محمد (عليه السلام) من المجلس ، فقال : لا تعجلي يا عمّة فهالك الأمر قد قرب .

وقالت : فجلست فقرأت ﴿ ألم السجدة ﴾ و ﴿ يس ﴾ ، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فرعة ، فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : تحسّين شيئاً ؟
قالت : نعم يا عمّة .

فقلت لها : اجمعي نفسك واجمعي قلبك ، فهو ما قلت لك .

قال السيِّدة حكيمه (عليها السلام) : ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة ، فتنبّهت بحس سيدي ، فكشفت الثوب عنه ، فإذا أنا به (عليه السلام) ساجد على أرض يتلقّى بمساجده ، فضممته إليّ فإذا أنا به (عليه السلام) نظيف منظّف .

فصاح بي أبو محمد (عليه السلام) : هلمّي إليّ ابني يا عمّة .

فجئت به إليه ، فوضع يديه تحت إيته وظهره ، ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعته ومفاصله ، ثم قال : تكلم يا بني .

فقال (عليه السلام) : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عبده ورسوله ، ثم صلى على أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلى الأئمّة

(عليهم السلام) إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم^(١).

قال أبو محمد (عليه السلام): يا عمّة، اذهبي به إلى أمّه ليسلمّ عليها، واثنتي به.

فذهبت به، فسلمّ عليها ورد دته ووضعته في المجلس.

ثم قال: يا عمّة، إذا كان اليوم السابع فأتنا.

قالت السيّدة حكيمّة: فلما أصبحت جئت لأسلمّ على أبي محمد (عليه السلام)، وكشفت الستر لأنفقّد سيدي، فلم أره، فقلت له: جعلت فداك، ما فعل سيدي؟

فقال: يا عمّة، استودعناه الذي استودعته أم موسى (عليه السلام).

قالت السيّدة حكيمّة: فلما كان في اليوم السابع، جئت وسلّمت وجلست.

فقال (عليه السلام): هلمّي إليّ ابني، فجئت بسيدي وهو في الخرقّة، ففعل به ما فعل في الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذّيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بنيّ.

فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمّة (صلوات الله عليهم أجمعين) حتى وقف على أبيه (عليه السلام) ثم تلا هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٢)، (٣).

(١) أحجم: كفّ، (لسان العرب) مادة حجم.

(٢) سورة القصص: ٥-٦.

(٣) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٢٥٦.

السيدة صقيلا

وقد ذكر المحدث القمّي (رحمه الله): إنَّ أمَّ الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن صاحب الزمان (صلوات الله عليه وعلى آبائه ماتوات الأزمان)، هي مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمّها من ولد الحواريين تنسب إلى شمعون وصي المسيح (عليه السلام) ولما أسرت سمّت نفسها نرجس، لئلاّ يعرفها الشيخ الذي وقعت إليه، ولما اعترها من النور والجلاء بسبب الحمل المنور سمّيت صقيلا^(١).

ليلة الميلاد

روي الشيخ الطوسي (رحمه الله) في كتاب (الغيبة) قصة الميلاد المبارك كالتالي:

عن السيّدة حكيمّة (عليها السلام) بنت محمد بن علي الرضا (عليه السلام) أنّها قالت: بعث أبو محمد (عليه السلام) سنة خمس وخمسين ومائتين في النصف من شعبان قال: يا عمّة اجعلي الليلة إفطارك عندي فإنّ الله عزّ وجلّ سيسرّك بوليّه وحجّته على خلقه خليفتي من بعدي.

قالت حكيمّة: فتداخمني لذلك سرور شديد وأخذت ثيابي عليّ وخرجت من ساعتني حتى انتهيت إلى أبي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله، فقلت: جعلت فداك يا سيدي، الخلف ممّن هو؟

قال: من سوسن.

فأدرت طرفي فيهنّ فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن.

قالت حكيمّة: فلما أن صلّيت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة فأفطرت أنا

(١) راجع (الأنوار البهيّة) للشيخ عبّاس القمّي: ص ٣٣٥.

وسوسن وبايتها في بيت واحد.

فغفوت غفوة، ثم استيقظت، فلم أزل مفكّرة فيما وعدني أبو محمد (عليه السلام) من أمر ولي الله (عليه السلام)، فقمّت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كل ليلة للصلاة، فصلّيت صلاة الليل حتى بلغت إلى الوتر، فوثبت سوسن فزعة، وخرجت فزعة، وأسبغت الوضوء ثم عادت، فصلّيت صلاة الليل وبلغت الوتر، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فقمّت لأنظر فإذا بالفجر الأول قد طلع، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمد (عليه السلام) فناداني من حجرته: لا تشكّي وكأنك بالأمر الساعة قد رأيته إن شاء الله تعالى.

قالت السيّدة حكيمة: فاستحييت من أبي محمد (عليه السلام) ومما وقع في قلبي، ورجعت إلى البيت وأنا خجلة، فإذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعة فلقيتها على باب البيت فقلت: بأبي أنت وأمي هل تحسّين شيئاً؟ فقالت: نعم يا عمّة إنّي لأجد أمر أشديداً. قلت: لا خوف عليك إن شاء الله تعالى.

وأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة، فقبضت على كفي وغمزت غمزة شديدة، ثم أنت أنة وتشهدت، ونظرت تحتها فإذا أنا بولي الله (صلّى الله عليه) متلقياً الأرض بمساجده، فأخذت بكتفيه فأجلسته في حجري فإذا هو نظيف مفروغ منه.

فناداني أبو محمّد (عليه السلام): يا عمّة هلمّي فأتيني بابني.

فأتيته به فتناولته وأخرج لسانه فمسحه على عينيّه ففتحها، ثم أدخله في فيه فحنّكه ثم أدخله في أذنيه وأجلسه في راحته اليسرى، فاستوى وليّ الله (عليه السلام) جالساً فمسح يده على رأسه وقال له: يا بني انطق بقدره الله.

فاستعاذ وليّ الله (عليه السلام) من الشيطان الرجيم واستفتح بسم الله الرحمن

الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١﴾ وَنَمَكِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١)، وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه.

فناولنيه أبو محمد (عليه السلام) وقال: يا عمّة رديه إلى أمّه حتى ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فرددته إلى أمّه وقد انفجر الفجر الثاني فصلّيت الفريضة وعقبّت إلى أن طلعت الشمس، ثم ودّعت أبا محمد (عليه السلام) وانصرفت إلى منزلي.

فلما كان بعد ثلاث اشتقت إلى ولي الله (عليه السلام) فصرت إليهم، فبدأت بالحجرة التي كانت سوسن فيها فلم أر أثراً ولا سمعت ذكراً فكهرت أن أسأل.

فدخلت على أبي محمد (عليه السلام) فاستحييت أن أبدأ بالسؤال فبدأني، فقال: هو يا عمّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه حتى يأذن الله له، فإذا غيب الله شخصي وتوفّاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم وليكن عندك وعندهم مكتوماً، فإن ولي الله يغيبه الله عن خلقه، ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدم له جبرائيل (عليه السلام) فرسه ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٣)،^(٤).

إرهاصات الولادة

قالت السيدة حكيمّة (عليها السلام): قرأت على أمه نرجس وقت ولادته:

(١) سورة القصص: ٥-٦.

(٢) سورة القصص: ١٣.

(٣) سورة الأنفال: ٤٤.

(٤) الغيبة للطوسي: ص ٢٣٤.

التوحيد والقدر و آية الكرسي فأجابني من بطنها بقراءتي ، ثم وضعت ساجدا إلى القبلة ، فأخذه أبوه وقال : «انطق بإذن الله».

فتعوذ (عليه السلام) وسمى وقرأ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآيتين (١) وصلى على محمد وعلي وفاطمة والأئمة واحدا واحدا باسمه إلى آخرهم ، وكان مكتوبا على ذراعه الأيمن: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٢) ، (٣).

وأسند الشيخ أبو جعفر (رحمه الله) إلى محمد بن علي إلى محمد بن عبد الله المطهري قال: قصدت حكيمة أسألها عن الحجة (عليه السلام)؟

فقلت: لما حضرت نرجس الولاية ، قال الحسن العسكري (عليه السلام): اقرئي عليها ﴿إنا أنزلناه﴾.

فقرأت فجاءوني الجنين بمثل قراءتي وسلّم علي ، ففزعت.

فقال أبو محمد (عليه السلام): لا تعجبين من أمر الله إنه منطقنا بالحكمة صغارا ويجعلنا حجة في الأرض كبارا.

فغيب عني نرجس فصرخت إليه ، فقال (عليه السلام): ارجعي فستجدينها ، فرجعت فإذا بها عليها نور غشيني ، فإذا الصبي ساجدا لوجهه ، رافعا إلى السماء سبابته ، ناطقا بتوحيد ربه ورسالة نبيه وإمامة آبائه إلى أن بلغ إلى نفسه وقال: «اللهم أنجز لي وعدي وأتمم لي أمري» (٤).

(١) سورة القصص: ٥-٦.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

(٣) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٠٩ ب ١٠ القطب الرابع ح ١.

(٤) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٣٤ ب ١١ ف ٣.

وبعد أربعين يوماً

وقالت السيدة حكيمه (عليها السلام): دخلت على أبي محمد (عليه السلام) بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس، فإذا مولانا صاحب الزمان (عليه السلام) يمشي في الدار، فلم أر لغة أفصح من لغته.

فتبسم أبو محمد (عليه السلام) فقال: «إنما معاشر الأئمة ننشأ في يوم كما ينشأ غيرنا في سنة».

قالت: ثم كنت بعد ذلك أسأل أبا محمد عنه؟

فقال: «استودعناه الذي استودعته أم موسى ولدها»^(١).

زيارتها الشريفة

كانت السيدة نرجس (عليها السلام) جليلة القدر، ومتميزة بمكانة عالية عند الله عز وجل، فهي صديقة طاهرة، تقيّة نقيّة، رضية مرضية، وقد ورد في زيارتها ما يدل على علو شأنها:

السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصادق الأمين.

السلام على مولانا أمير المؤمنين.

السلام على الأئمة الطاهرين الحجاج الميامين.

السلام على والدة الإمام، والمودعة أسرار الملك العلام، والحاملة لأشرف الأنام.

السلام عليك أيّتها الصديقة المرضية.

السلام عليك يا شبيهة أم موسى، وابنة حوارى عيسى.

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٤٦٦ ب ١٣.

السلام عليك أيتها التقية النقية.

السلام عليك أيتها الرضية المرضية.

السلام عليك أيتها المنعوتة في الإنجيل، المخطوبة من روح الله الأمين، ومن
رغب في وصلتها محمد سيّد المرسلين، والمستودعة أسرار رب العالمين.

السلام عليك وعلى آبائك الحواريين.

السلام عليك وعلى بعلك ووليدك.

السلام عليك وعلى روحك وبدنك الطاهر.

أشهد أنك أحسنت الكفالة، وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضات الله،
وصبرت في ذات الله، وحفظت سرّ الله، وحملت وليّ الله، وبالغت في حفظ حجة
الله، ورغبت في وصلة أبناء رسول الله، عارفة بحقّهم، مؤمنة بصدقهم، معترفة
بمنزلتهم، مستبصرة بأمرهم، مشفقة عليهم، مؤثرة هوامهم.

وأشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدية بالصالحين، راضية مرضية،
تقية نقية، زكية، فرضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك ومأواك، فلقد
أولاك من الخيرات ما أولاك، وأعطاك من الشرف ما به أغناك، فهناك الله بما منحك
من الكرامة وأمرأك^(١).

شفاعتها (عليها السلام)

ومن الشواهد الدالة على عظم مكانتها (عليها السلام) أنها أصبحت ملاذاً
ومأوى للمتوسّلين الذين يلتمسون شفاعتها (عليها السلام)، ففي الدعاء بعد
زيارتها نقرأ:

(١) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٧٠-٧١ ب ٦.

«اللهم إياك اعتمدت، ولرضاك طلبت، وبأولياك إليك توسلت، وعلى
غفرانك وحلمك اتكلت، وبك اعتصمت، وبقبر أم وليك لذت، فصل على محمد
و آل محمد، وانفعني بزيارتها، وثبتني على محبتها، ولا تحرمني شفاعتها،
وشفاعه ولدها، وارزقني مرافقتها، واحشرنى معها ومع ولدها، كما وفقتني لزيارة
ولدها وزيارتها، اللهم إني أتوجه إليك بالأئمة الطاهرين، وأتوسل إليك بالحجج
الميامين، من آل طه ويس، أن تصلي على محمد وآل محمد الطيبين، وأن
تجعلني من المطمئنين الفائزين، الفرحين المستبشرين، الذين لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون، واجعلني ممن قبلت سعيه، ويسرت أمره، وكشفت ضره، وآمنت
خوفه، اللهم بحق محمد وآل محمد، صل على محمد وآل محمد، ولا تجعله
آخر العهد من زيارتي إياها، وارزقني العود إليها، أبداً ما أبقيتني، وإذا توفيتني
فاحشرنى في زمرتها، وأدخلني في شفاعه ولدها، وشفاعتها، واغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين والمؤمنات، و آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا برحمتك
عذاب النار، والسلام عليكم ياساداتي ورحمة الله وبركاته»^(١).

التوسل بالسيدة نرجس (عليها السلام)

ثم إن السيدة نرجس (عليها السلام) هي باب من أبواب الله تعالى يقصده
المحتاجون والمنكوبون فلا يعودوا إلا بحوائج مقضية وهموم مكشوفة بإذن الله
تعالى، والشواهد على ذلك كثيرة ومنها:

ما نقل في أحوال الميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس سره) أنه قد أصاب مدينة
سامراء مرض الطاعون وأخذ من أهلها ما أخذاً عظيماً بحيث إن أهالي الموتى عجزوا
عن دفن موتاهم فأصبحوا يأتون بهم ويتركونهم في الشوارع آنذاك.

(١) الدعاء والزيارة: ص ٩٤٢-٩٤٣.

وفي شدّة المحنة جاء الميرزا محمد تقي الشيرازي إلى منزل السيّد محمد الفشاركي (قدس سره) الذي كان في منزله مع كوكبة من العلماء فدار البحث حول الوباء الذي يهدّد حياة الجميع وبينما هم على ذلك وإذ بالميرزا الشيرازي يلتفت إليهم قائلاً: إذا أصدرت حكماً فهل هو نافذ أم لا؟

فردّ الجميع: نعم إنه نافذ ويجب إجراؤه.

فقال الميرزا: إنني أصدرت حكماً على جميع الشيعة القاطنين في سامراء أن يقرؤوا زيارة عاشوراء من اليوم إلى عشرة أيام ويهدوا ثوابها إلى روح السيّدة نرجس (سلام الله عليها) والدة الإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لبيتعد عنهم البلاء.

فأبلغ الحاضرون حكمه ذلك لجميع الشيعة.

فشرع الموالون بقراءة الزيارة، وإذ بالطاعون يرتفع عنهم منذ قراءتهم للزيارة، بينما بقي غيرهم يموتون كالعادة حتى تجلّى الأمر للجميع.

فسأل بعض أتباع المذاهب الأخرى أبناء الشيعة في سامراء عن سبب ارتفاع الطاعون عنهم، فأخبروهم بالحال، فشرعوا بقراءة الزيارة وإهدائها إلى السيّدة نرجس (عليها السلام) فدفع البلاء عن الجميع.

الذاتمة

كان هذا موجزاً عن أحوال أمهات المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).
أما التفاصيل فغالبها اختفت علينا بسبب الظالمين الذين أحرقوا كتب أصحابنا
إلى هذا اليوم، حيث أحرق صدام وأمثاله من ظلمة التاريخ كتب الشيعة^(١).

(١) ففي عام ٤٤٨هـ حلت فتنة كبرى في بغداد أدت إلى حرق محلة الكرخ، وقتل الآلاف من الشيعة الأبرياء، ثم سعى الحاقلون إلى قتل الشيخ الطوسي، غير أن الشيخ هاجر إلى النجف، وعلى أثر ذلك أحرق كرسية الدراسات ومكتبته الكبرى التي تعد من أكبر المكتبات في الدنيا آنذاك، لما فيها من نفائس الأثر. وقد سبقت هذه الفتنة فتن أخرى غيرها: ففي سنة ٣٦٢ احترق الكرخ بما فيه من المحلات السكنية والتجارية والدكاكين والأبرياء من الناس، وقد أحصى التاريخ عدد الذين احترقوا في هذه الحادثة فكان عددهم ١٧٠٠٠ شخصاً، و٣٠٠ محلاً، و٣٣ مسجداً. هذا ومن الواضح اهتمام الشيعة الكبير بالعلوم والكتابة للحفاظ على آثار أهل البيت (عليهم السلام) فمثلاً ورد عن محمد بن مسعود العياشي أنه انفق على تلوين العلم ثلاثمائة ألف دينار، وأن داره كانت تعج بالناس وهم بين ناسخ وقارئ ومقارن، ولو كتب البقاء لمؤلفات الشيعة في القرنين الثاني والثالث، لكانت دور الكتب أغنى ما تكون بالآثار الشيعية، ولكن الظروف التي أحاطت بهم، والحروب الدامية التي كانت قى الغالب تستهدف دمايتهم وآثارهم كل ذلك قد ساهم في تبيد تلك الثورة الغنية بالكنوز والنفائس، وليس أدل على ذلك من إقدام الحكام والغزاة وبخاصة الأيوبيين منهم على حرق المكتبات الشيعية مباشرة. كمكتبة الطوسي، والوزير (نصر سابور بن اردشير) وزير بهاء الدولة، ومكتبة الأزهر التي أسسها الفاطميون في مصر وحشدوا فيها مئات الألوف من المجلدات في مختلف مواضيع وبقيت أكثر من قرنين من الزمن منها كريمة الرواد العلم من مختلف الأقطار، إلى أن جاء صد الأيوبيين الذي استهدف الشيعة وآثارهم وأكثر من أي شئ آخر ذلك العهد الذي مثل فيه صلاح الدين وأبناؤه الجريمة بأقبح صورها وأشكالها إلى غير ذلك من دور الكتاب التي كانت أكثر محتوياتها من كتب الشيعة وآثارهم، وقد أحرق صلاح الدين الأيوبي مكتبات الشيعة، فإن الشيعة - كما هو معروف - كانوا مضطهدين في كل الحقب الإسلامية إلا قليلاً، وإن الحوادث التي لقيها شيعة أهل البيت

←

أما الباقي فقد قال لي صاحب الغدير العلامة الأميني (رحمه الله): إنه لم يطبع من كتب الشيعة إلا العشر.

وقال لي أحد العلماء الأعلام معلقاً على كلام الأميني (قدس سره):

(إنه (رحمه الله) ذكر ما وجدته في المكتبات، وإلا فإنه لم يطبع منها (٩٩) في المائة، حيث لاحظت دور الشيعة ومكتباتهم في إيران واليمن والعراق والهند وغيرها).

→

(عليهم السلام) من أعداء أهل البيت، والحرائق والبواقي التي منيت بها مكتبات الشيعة في مختلف العصور والقرون، حيث لعبت بهم أيدي الحدثان، وعبثت بأثارهم ومآثرهم الأهواء والأغراض، أملاً في القضاء على سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تمثلت في أهل بيته، وفي شيعتهم من بعدهم، وبغية القضاء على علومهم ومعالمهم، ولكن ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمُّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ -سورة التوبة: ٣٢- وبالرغم من كل الكوارث والفواجع وحملات الإبادة نجد شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في كل صقع من أصقاع العالم، وفي كل بقعة من بقاع المعمورة، ونرى آثارهم وعلومهم ملا السمع والبصر فإن ما كان لله ينمو، وحسبنا أن نشير الى حادثه واحده مما يخص المؤلفات والمكتبات، فإن طغرل بك أول ملوك السلجقة لما ورد بغداد في سنة ٤٤٧هـ وشن حملته المشهورة على الشيعة أمر باحراق مكتبتهم التي أسسها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهية في محلة (بين السورين) في كرخ بغداد سنة ٣٨١هـ. وقد كانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل والاديب الفاضل وقد جمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الصين والروم ونافت كتبها على عشرة آلاف، من جلائل الاثار ومهام الاسفار، وأكثرها نسخ الاصل بخطوط المؤلفين، قال ياقوت الحموي: (وبها كانت خزانه الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الاثمة المعترية واصولهم المحررة...). وكان من جملتها مائة مصحف بخط ابن مقله على ما ذكره ابن الاثير. تلك حادثه واحده مما تعرضت له آثار الشيعة من ضياع وتلف، وقد ذهبت ضحيتها ألوف الاثار، وقد سبقتها ولحقتها حوادث مروعة يشيب لها الأطفال، وفضائح مخزية يندى منها جبين الإنسان، غير أن عناية الله تعالى شأنه قد حفظت أصول المذهب الجعفري وفروعه من العبث وصانتها من الدنس.

أقول: والغالب لم أصل أنا إليه، والله المستعان.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب
العالمين.
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفهرس

.....

.....

..... الفصل الاول

..... ()

..... ()

.....

.....

.....

.....

..... ()

.....

.....

.....

.....

..... ()

.....

..... ()

.....

.....

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
.....
..... ()
..... ()
.....
..... ()
..... ()
..... ()
.....
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
.....
.....

..... ()
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
..... ()
..... () ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
..... ()
.....
..... ()
..... ()
.....
..... ()
..... ()

.....
.....
..... () ()
..... ()

.....
.....
.....
..... الفصل الرابع والخامس :
..... ()

.....
..... ()

..... ()

..... ()

..... ()

..... ()

..... مادة من السماء
.....

..... ()

..... ()

..... ()
.....
..... ()
.....
.....
..... ()
.....
..... ())
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
..... () ()
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()
.....
..... ()
.....

..... ()
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()

.....
.....
.....
..... ()
..... ()
..... ()
..... ()

..... الفصل السادس

..... ()
..... ()

.....
.....
.....
..... ()
..... ()

.....
..... الفصل السابع:

..... ()

..... ()

..... ()

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

..... الفصل الثامن:

..... ()

.....

..... ()

.....

.....

.....

..... ()

..... ()

.....

.....

..... ()

.....

.....
.....
.....
.....

..... الفصل العاشر

..... ()
..... ()
.....

.....
.....

..... ()
..... ()
.....

..... الفصل الحادي عشر

..... ()
..... ()
.....

.....
.....

..... ()
.....

..... الفصل الثاني عشر

..... ()
..... ()
.....

.....
.....
.....
.....

الفصل الثالث عشر

..... ()
..... ()

.....
.....
.....

الفصل الرابع عشر

..... ()
..... ()

.....
..... ()

..... () ()

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
.....
..... ()
..... ()
.....
.....